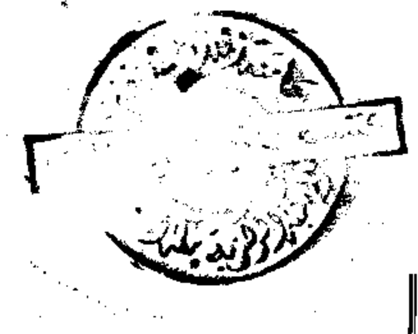
جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم التاريخ





الحياة السياسية والتنظيمات الادارية والمالية

فى

دول أتابكية الموصل والجزيرة

رسالة مقدمة من

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى

للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب ـ قسم التاريخ

باشراف

الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور
استاذ التاريخ الاسلامى
بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

١٣٩١ هـ
١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وبعد ، فهذا بحث يتناول الحياة السياسية والتنظيمات الادارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، يتجلى لنا فيه قيام هذه الدول ، والموقف السياسي الداخلي في هذه الدول ، وموقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكام البلاد الاسلامية المجاورة ، والجهود التي بذلها الأتابكة لدرء الخطر الصليبي عن البلاد الاسلامية ، وعلاقة الأتابكة بالمغول ، والتنظيمات الادارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، وما طرأ عليها من تغييرات .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه استقل كل أمير بولايته ، فانقسمت الدولة السلجوقية الى دويلات مستقلة ، اتخذ كل أمير من أمرائها قائدا تركيا يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ، وأساليب الادارة والحكم ، ويسمى أتابك ، أي الأمير الوالد ، فلما تقرر تعيين عماد الدين زنكي أتابكا على الموصل ، كان مؤدبا لصغيرين من أولاد السلطان السلجوقي محمود ، غير أنهما لم يقوما بادارة شؤون البلاد .

طغى نفوذ الأتابكة على الأمراء بسبب ماكانوا يتمتعون به من سلطة أبيه ، ومما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير

أرملة

السلجوقى المتعفى ، ستتنى الامر الجديد من أبنة الاتابك ، وقد يسر ذلك للأتابك اقامة أسرات حاكمة مستقلة فى بلاد الموصل والجزيرة ، فحكم الأراتقة أتابكيات ماردين وحصن كيفا وخرتبرت فى ديار بكر ، على حين حكم عماد الدين زنكى وبنوه أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر .

حرص الاتابكة على توطيد سلطانهم ، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد والعصيان التى قامت ضدهم ، واستعانوا برجال تمكنوا من معاونتهم فى الوقوف فى وجه أعدائهم ومنافسيهم فى السياسة والحكم .

على أن بعض أتابكة الموصل والجزيرة كانوا لايعهدون لأحد بالحكم من بعدهم ، مما أدى الى حدوث نزاع حول تولى السلطة بعد وفاتهم . وعلى الرغم من أن كثيرا منهم عهد لمن يخلفهم ، فان بعض الامراء تطلع للحكم ، مما ترتب عليه حدوث اضطرابات داخلية ، أضعفت من شأن هذه الدول .

ومما أدى الى ضعف هذه الدول وانهيارها فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى تعرضها للغزو المغولى ، فاستولى المغول على الموصل سنة ٦٦١هـ (١٢٦٢م) ، ونكلوا بسكانها ، كما استولوا على سنجار أثناء حصارهم الموصل ، وأغاروا على اربل واحتلوها أثناء حصارهم بغداد . أما أتابكية ماردين ، فقد أرغمها هولاكو على الدخول فى طاعته . على أن أتابكية خرتبرت لم تتعرض للغزو المغولى ، فقد استولى عليها سلاجقة الروم سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) .

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الطاعة والولاء للخلفاء العباسيين فـــى بغداد ، على الرغم من حدوث بعض الخلافات بينهم ، كما ظلوا على ولائهـــم للسلاطين السلاجقة حتى نهاية عهدهم . على أن هذه الأمر لم يقف حائـــلا بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين تحقيق سياستهم الرامية الى توسيع رقعة دولهم فاتسعت أملاك عماد الدين زنكى بن آقسنقر حتى أصبح سيدا على شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى وبعض مدن الشام ، كما أن مظفرا لدين كوكبورى ـ أتابك اربل ـ كان يقدم على كثير من المخاطر والمغامرات فى سبيل توسيع رقعـــة دولتـــه .

على أن بنو أيوب عولوا على السيطرة على بلاد الموصل والجزيرة ، فأرغم صلاح الدين يوسف بن أيوب أتابكة الموصل وسنجار واربل وجزيرة ابن عمـــر على الدخول فى طاعته ، كما أن خلفاءه حرصوا على السيطرة على هذه البلاد ، وامتد نفوذهم الى أتابكيات ديار بكر .

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهدا فى دفع الخطر الصليبى عن البـــلاد الاسلامية ، ففى بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عـــن الشام والعراق ، ولما علا شأن الاتابكة وقوى بأسهم ، وكثر جندهم ، تحول موقفهم من الدفاع الى الهجوم ، فأغاروا على الامارات الصليبية ، بل وانتزعوا مـــدن الفرنجة ، كما حدث فى عهد ايلغازى بن أرتق ـ أمير ماردیـــــن ـ و ـ عماد الدين زنكى بن آقسنقر ـ أتابك الموصل ـ .

ويكن القول بأن معقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية للجهود التي بذلها الأيوبيون والمماليك من بعدهم في سبيل اجلاء الصليبيين نهائيا عن البلاد الاسلامية •

قامت أتابكيات الموصل والجزيرة في ديار ربيعه وديار مضر وديار بكر نسبة الى القبائل العربية ربيعه ومضر وبكر التي نزلت اقليم الجزيرة قبل الاسلام ، وكانت ، وكانت كل من هذه الاتابكيات ينقسم الى عدد من البلدان على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتا بل تعرض للتغيير من وقت الى آخر ذلك لأن الاتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم •

استعان الاتابكة في ادارة دولهم بعدد من الموظفين ، نخص بالذكر منهم النائب والوزير والوالي والشحنه ، كما وزعوا الأعمال الادارية على عدة دواوين ومن أهمها ديوان الرسائل وديوان الجيش وديوان البريد • وعني الاتابكة الى جانب ذلك بزيادة موارد دولهم المالية ، وتنظيم انفاق هذه الموارد •

وقد بدأت البحث بتمهيد أوضحت فيه العوامل التي أدت الى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كما عنيت ببحث الحالة السياسية في بلاد الموصل والجزيرة خلال العصر الاتابكي ، فاشرت فيه الى سياسة الاتابكة في توطيد سلطانهم ، والأحداث الداخلية في دول الاتابكة والعوامل التي أدت الى ضعف هذه الدول وانهيارها •

كذلك تناولت بالبحث علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالخلفاء العباسيين وبالسلاطين السلاجقة ، والجهود التي بذلها الاتابكة في سبيل توسيع ممتلكاتهم ، وأوضحت علاقة الاتابكة ببني أيوب حتى دخولهم في طاعة السلاطين والامراء الايوبيين .

ومن الموضوعات التي عنيت ببحثها ، العلاقات الخارجية لدول اتابكة الموصل والجزيرة ، أوضحت فيها الجهود التي بذلها أتابكة الموصل والجزيرة لدرء الخطر الصليبي عن بلاد الشام كما أشرت الى عدم استطاعة الاتابكة التصدى لخطر المغول ، بل ودخولهم في طاعتهم ، وسقوط بلادهم في أيدى المغول ، البلدة تلو الاخرى .

وكان لتطور النظم الادارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، نصيب كبير من عنايتى ، فتحدثت عن التقسيم الادارى في هذه الدول ، والدواوين التي اختصت بالشؤون الادارية ، كما تحدثت عن الموارد المالية لهذه الدول ونظام انفاق هذه الموارد على مصالحها .

وأخيرا أجد لزاما على أن أتوجه بالشكر الى استاذى الجليل الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب — جامعة القاهرة على مابذله من جهد وأنفقه

من وقت لي بسبب توجيهي الوجهة العلمية السليمة ، وانني اعـــتز
بـل وأفخـــر بأن أكــون من تلاميـذ مدرستــه .

والله أسأل أن يوفقني لمتابعة البحث في تاريخ الاسلام وحضارته .

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي

فهرست الرسالـــــــة

الباب الثانـــــــــي

الصفحـة

صفحة

الباب الثالث

صفحة

صفحة

بحث في مصادر الرسالة

من "الكتب الهامة التي أفادتني في موضوع بحثي كتاب " التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل " لعزالدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وتنحصر أهميته في أن مؤلفه ينتمي الى أسرة التحقت بخدمة أتابكة الموصل ، فكان ابن الأثير — والد عزالدين — رئيس ديوان خراج جزيرة ابن عمر في عهد قطب الدين مودود — أتابك الموصل — كما أن مجد الدين أبو السعادات وضياء الدين وهما أخوة هذا المؤلف — وليا ديوان الانشاء لبعض أتابكة الموصل • ومن ثم فان كتاب " التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية " يمدنا بمعلومات قيمة عن قيام أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ، والاحداث الداخلية في هذه الاتابكيات كما يوضح سياسة أتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر في توطيد سلطانهم ، كذلك تناول باسهاب علاقة هؤلاء الاتابكة بالخلفاء العباسيين والبلاد الاسلامية المجاورة • ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا الحد بل أفادني في دراسة موضوع الوظائف والدواوين الادارية في أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ، كما أوضح لي الموارد المالية لهذه الاتابكيات ومصارفها •

يأت بعد ذلك مصدر ذو أهمية خاصة اعتمدت عليه في بحثي عن أتابكيات دياربكر ، وهو كتاب " الكامل في التاريخ " لعزالدين بن الأثير

فقد أفادني هذا الكتاب في دراسة قيام أمراء بني أرتق بحكم أتابكيات حصن كيفا وماردين وخرتبرت ، وعلاقة هذه الاتابكيات بأتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر واربل . وأمدني الى جانب ذلك بمعلومات قيمة عن الجهود التي بذلها أتابكة الموصل وديار بكر لاجلاء الصليبيين عن بلاد الشام .

وهناك كتاب آخر رجعت اليه له أهمية كبيرة في بحثي وهو كتاب " مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب " لابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ وترجع أهمية هذا الكتاب الى أن مؤلفه أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامها الى نهايتها في تفصيل واف ، وتحقيق شامل دقيق ، فاتصل بمعظم ملوكهم في الشام ومصر ، وبكثير من علماء وأدباء هذه الدولة . وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات وافية عن علاقة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بأتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر واربل ، ودخول هذه الاتابكيات في طاعته . كما أفادني هذا الكتاب في دراسة موقف الملك العادل بن أيوب وغيره من سلاطين بني أيوب ، من أتابكة الموصل والجزيرة . كذلك اعتمدت على هذا الكتاب في دراسة موقف نور الدين محمود بن زنكي من أتابكة الموصل ، وموقف أتابكة الموصل من الامارات الاسلامية والصليبية في بلاد الشام .

كذلك رجعت الى كتاب " الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية " ابوشامه/ المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) فى دراسة العوامل التى أدت الى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة ، والسياسة التى اتبعها هـؤلاء الاتابكة فى توطيد سلطانهم ، وعلاقتهم بالايوبيين ، كما أمدنى ببعض المعلومات عن موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها .

ومن المصادر التى رجعت اليها فى دراسة العلاقات الخارجيـة لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب " ذيل تاريخ دمشق " لابن القلانسى الذى ولى بعض الوظائف الرئيسية فى مدينة دمشق ، عاصر خلالهـا الحروب الصليبية الدائرة على أرض الشام . لذلك اشتمل هذا الكتـاب على أخبار هذه الحروب ، ودور أتابكة الموصل وديار بكر فيها . ويتضمن هذا الكتاب مقتطفات من كتاب التاريخ المنسوب للفارقى الذى عاش فـى ديار بكر ، وعاصر فترة من حكم بنى أرتق فيها . لذلك رجعت اليـه فى دراسة قيام أتابكيات كيفا وماردين وعلاقتهما بالبلاد المجاورة .

كذلك رجعت الى كتاب " زبدة الحلب فى تاريخ حلب " لكمال الديـن بن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) فى دراسة علاقة أتابكـة الموصل والجزيرة بالبيزنطيين والصليبيين ، ولم تقتصر أهمية هذا الكتـاب عند هذا الحد ، بل أفادنى فى دراسة العلاقات السياسية لدول أتابكـة الموصل والجزيرة بالبلاد الاسلامية المجاورة .

يأتى بعد ذلك كتاب له أهمية خاصة فى دراستى لموضوع "علاقة الخلفاء العباسيين بأتابكة الموصل والجزيرة وهو كتاب "المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزى .

ومن الكتب التى رجعت اليها فى دراسة دخول بلاد الموصل/ والجزيرة تحت لواء السلاجقة ، وعلاقة ذلك بقيام نظام الأتابكة ، "كتاب راحة الصدور وآية السرور" للراوندى ، المتوفى سنة ٥٩٩هـ وكتاب "تاريخ دولة آل سلجوق" للبندارى ، وكتاب أخبار الدولة السلجوقية " المنسوب الى ناصر الحسينى من كتاب القرن السابع الهجرى .

أما سبط بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ صاحب كتاب " مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان " فقد أمدنى بمعلومات وافية عن علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالبلاد الاسلامية المجاورة ، كما تضمن اشارات عن التنظيمات الادارية والمالية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، ومما يذكره هذا المؤلف أن كتابه يقع فى أربعين مجلدا ، نقل فيه الكثير عن جده ابن الجوزى ومصادر أخرى .

ومن بين الكتب التى رجعت اليها كتاب " عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان " لبدر الدين محمود العينى المتوفى سنة ٨٥٥هـ ، وترجع أهمية هذا الكتاب الى أن صاحبه نقل عن مؤرخين بعض كتبهم ، ومن بينهم ابن الجوزى وابن العميد . وقد أفادنى هذا الكتاب فى دراسة علاقة

دول أتابكة الموصل والجزيرة بالبلاد الاسلامية المجاورة وبالأيوبيين وموقف هؤلاء الاتابكة من حركة الجهاد التى خاضها المسلمون ضد الصليبيين .

ولكتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر " لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ أهمية خاصة لموضوع بحثى ، فقد أفرد ابن خلدون فى هذا الكتاب فصلا عن بنى أرتق ، أوضح فيه الأحداث التى أدت الى قيام أتابكيات كيفا وماردين وخرتبرت يحكمها أمراء بنى أرتق ، وأوضح علاقة حكام هذه الاتابكيات بالبلاد الاسلامية المجاورة ، كما أفادنى هذا الكتاب فى دراسة العوامل التى أدت الى ضعف أتابكيات الموصل والجزيرة وزوالهما .

أما أبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فقد اشتمل كتابه " المختصر فى تاريخ البشر" على معلومات غزيرة أفادتنى فى موضوع بحثى ، فاعتمدت عليه عند دراسة السياسة الداخلية لدول أتابكة الموصل والجزيرة وعلاقة الاتابكة بالخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة ، وموقف بنى أيوب بنى الاتابكة ، وعلاقة الاتابكة بالبيزنطيين وسعيهم الى اجلاء الصليبيين عن بلاد الشام .

ومن الكتب الهامة التى اعتمدت عليها فى دراسة علاقة المغول بأتابكة الموصل والجزيرة ، وخضوع هذه البلاد لسلطان المغول ، كتاب " تاريخ المغول " ، لرشيد الدين فضل الله ، فقد شغل منصب الوزارة فى

الامبراطورية المغولية في فارس فترة من الوقت ، لذلك ألم هذا المؤلف بالكثير من أخبار المغول ، ومما يذكر لرشيد الدين أنه اشتغل بتصنيف كتب في الفلسفة والطب والتاريخ . توفى سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦م) .

كذلك أفادني كتاب "ذيل مرآة الزمان" لقطب الدين البعلبكي في موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الخطر المغولي والظروف التي أدت الى خضوعها للمغول .

وأفادني كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ في دراسة بعض جوانب الحياة السياسية في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي ، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم لأتابكة ووزراء هذه البلاد ، أوضح فيها نشاطهم السياسي ، والجهود التي بذلوها لتنظيم ادارة بلادهم .

ومن أهم الكتب التي أفادتني في دراسة التنظيمات الادارية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب معجم البلدان لياقوت ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فقد وصف اقليم الجزيرة الذي قامت فيه دول الأتابكة وصفا دقيقا ، وأوضح أسماء المدن والبلدان الواقعة في هذا الاقليم وقد أفادني ذلك عند دراسة التقسيم الاداري في دول الأتابكة .

تمهيـــــــد : قيام دول أتابكة الموصل والجزيـــــرة

الباب الأول : الموقف السياسي الداخلي في دول اتابكة الموصل والجزيرة

١ ـ سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهـم

٢ ـ الأحداث الداخلية في دول الأتابكة

٣ ـ انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالهــا .

تمهيد : قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة

انتزع السلاجقة بلاد الموصل والجزيرة من أمراء بني عقيل ، كما استولوا على ديار بكر التي كان يحكمها بنو مروان ، ففي سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) سيّر السلطان السلجوقي ملكشاه عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير الى الموصل للاستيلاء عليها ، فحاصرها حتى طلب أميرها — شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي الأمان في مقابل تسليم المدينة (١) ، فأمنه القائد السلجوقي ، واستولى على أموال وذخائر الأمير العقيلي غير أن السلطان ملكشاه مالبث أن أعاد الموصل اليه (٢) .

اعترف السلطان ملكشاه على تولية ابراهيم بن قريش الموصل بعد مقتل

---

(١) كان الأمير قسيم الدولة آقسنقر — والد عماد الدين زنكي — أحد قادة هذا الجيش ، وانضم اليه الأمير أرتق بن أكسب — جد أمراء بني أرتق — على رأس جمع كبير من التركمان ، ولما اشتد الحصار على أهل الموصل أرسل اليهم ينصحهم بالدخول في طاعة السلطان ، ويحذرهم من عاقبة العصيان ، فقبلوا نصحه ، وسلموا الموصل الى القائد السلجوقي .

(ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥)

(٢) تاريخ الفارقي ، ص ٢٢١

أخيه مسلم ،وأسند ولايتها الى أبى عبدالله محمد بن مسلم ، وأضاف اليه الرحبة وحرّان وسروج وبلد والخابور ، غيرأن بنى عقيل رفضوا تدخل السلاجقة فى تنصيب أمير عليهم ،وأبقوا على ابراهيم بن قريش حتى سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩م) ،فاستدعاه ملكشاه ،واعتقله ،وأنفذ وزيره فخر الدولة بن جهير الى الموصل حيث استولى عليها (١) .

لما توفى السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢م) أطلق سراح ابراهيم بن قريش بشفاعة زوجته صفية عمة السلطان السلجوقى (٢) ، وسارت مع ابنهما على بن مسلم الى الموصل ، فنازعه أخوه محمد فى حكمها ،ودار بينهما قتال انتهى الأمر فيه بهزيمة محمد ،ثم انتزع أخوه على الموصل من ابن جهير وتولى حكمها (٣) .

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٢٣

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ٢٧٠ .

على أن على بن مسلم سرعان مانزل عن حكم الموصل لعمه ابراهيـــــم ابن قريش . وبذلك أمتد نفوذه الى سائر بلاد بنى عقيل ، لكن السلاجقـــة عولوا على استعادة الموصل ،فطلب تاج الدولة تتـــش من صاحبها أن يقيم الخطبة له (١) ، ولما رفض ابراهيم بن قريش ،توجه تاج الدولة الى نصيبين (٢) واستولى عليها عنوة من نائب صاحب الموصل (٣) ، ثم قصد الموصل ،واشتبك فى معركة مـــع ابراهيم بن قريش انتهت بهزيمته ومقتلـــه ،وأعاد السلطان السلجوقى الموصـــل وأعمالها سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) الى على بن مسلم (٤) .

لكن الأمور فى الموصل لم تستقر لبنى عقيل ،فحدث نزاع بين محمد بن مسلم العقيلى ـ صاحب نصيبين ـ وعلى بن مسلم ـ أمير الموصل ـ ،فاستعـــان محمد بن مسلم علـــى أخيـــه بالأمـــير السلجوقـــى تربوشـــا (٥) ، فسار الى حـــران

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٦ هـ
(٢) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على الطريق من الموصل الى الشام وفيهـــا وفى قراها بساتين كثيرة .
(ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٢٩٢)
(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٦٥
(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٢ .
(٥) كان ملكشاه قد أقطع مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية وبيـــت المقدس لتاج الدولة تتـــش ، فلما توفى ملكشاه طمع تاج الدولة فـــى السلطنة ،فسار الى حلب وأخذها ،ثم عاد الى الشام ،وأشتبك فى قتـــال =

(١)
واستولى عليها ، ثم توجه الى نصيبين (٢) وغدر بصاحبها وانتزعها منه واتجه بعد ذلك الى الموصل فحاصرها ، ولم يستطع الأمير العقيلى الدفاع عنها ففارقها واستولى عليها كربوقا سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥م) ، وبذلك آلت الموصل وأعمالها (٣) الى الدولة السلجوقية .

(٤)
كذلك عمل السلاجقة على انتزاع ديار بكر من الأمير أبى المظفر منصور بن مروان منذ أن وليها سنة ٤٧٢هـ (١٠٧٩م) ، فأمر السلطان ملكشاه وزيره فخرالدولة ابن جهير بالاستيلاء على ديار بكر ، واقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على السكة فسار اليها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م) ، وضم السلطان اليه جيشا بقيادة الأمير أرتق بن أكسب ، فمضى الأمير المروانى الى شرف الدولة مسلم

= مع بركياروق — ابن أخيه — بالقرب من حلب ، انتصر فيه تتش ، واعتقل قواد بركياروق ومن بينهم الأمير كربوقا الذى ظل معتقلا حتى أفرج عنه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة .
(أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٦٦)

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ١٧

(٤) أول من حكم ديار بكر من بنى مروان أبوعلى الحسن عقب مقتل خاله باذ الكردى =

ـ صاحب المرض وطلب منه أن يعاونه ضد من يحاول مهاجمته ، على أن (١) يسلم اليه آمد ، فأجابه الى طلبه ، واتفقا على محاربة فخر الدولة ، واشتبك الفريقان في قتال على مقربة من آمد انتهى الأمر فيه بانتصار القائد السلجوقى وعاد شرف الدولة منهزما الى بلاده (٢) .

امتد نفوذ ابن جهير الى آمد ثم ميافارقين ، كما استولى على أموال بنى مروان ، وأرسلها الى السلطان السلجوقى (٣) ، ثم أنفذ جيشا الى جزيرة ابن عمر — وهى لبنى مروان — فضمها الى حوزته ، كما بسط نفوذه على معظم قلاع وحصون ديار بكر ، وقد أحسن ابن جهير الى أهلها ، ورفع عنهم ما كانوا يعانونه من المظالم (٤) .

= سنة ٣٨٠ هـ أثناء محاولته الاستيلاء على الموصل ، فتزوج الأمير المروانى من أمرأة خاله ، وتوجه الى حصن كيفا ، وحكمه ثم بسط نفوذه على سائر ديار بكر ولما توفى تعاقب بنوه على حكم ديار بكر حتى استولى عليها السلاجقة سنة ٤٧٨ هـ .

(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٨٠ هـ ، ٤٧٨ م)

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١٢

Encyc.of Islam: Art Marwanids.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ ١ ص ١٢

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٨

(٤) تاريخ الفارقى ص ٢١٦ .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، استقل كل أمير بولايته ، انقسمت الدولة السلجوقية الى ، ولايات مستقلة . ومع ذلك ظل أمراؤها يظهرون الولاء والطاعة للسلطان السلجوقى .

اتخذ كل أمير من هؤلاء الأمراء قائدا تركيا يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ، وأساليب الادارة والحكم ، يسمى أتابك ، أى الأمير الوالد[١] .

فلما عين عماد الدين زنكى أتابكا على الموصل ، كان مؤدبا لصغيرين من أولاد السلطان السلجوقى محمود[٢] ، غير أنهما لم يقوما بادارة شؤون البلاد[٣] .

أستأثر الاتابكة بالنفوذ دون الأمراء بسبب ماكانوا يتمتعون به من سلطة أبويه ، ومما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الاتابك كان يتزوج من أم الأمير السلجوقى المتوفى ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الاتابك ، وقد يسر ذلك للاتابكة اقامة أسرات حاكمة مستقلة فى بلاد الموصل والجزيرة[٤] .

أرملة

---

(١) اتا معناها بالتركية أب وبك أمير .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٧ .

(٤) Cambridge Medieval History. Vol.4.p.316
Gibb: Damascus Choronicle of Crusaders. p.23

ففى الشمال مكّن السلاجقة عماد الدين زنكى من حكمها ، ذلك أن أباه قسيم الدولة آقسنقر كان مملوكا تركيا من مماليك السلطان السلجوقى ألب ارسلان ، ثم صار من أعيان دولة ابنه السلطان ملكشاه وأكابر أمرائه وبلغ من علو منزلته عنده أن لقبه قسيم الدولة (١) ، ثم عهد اليه بولاية حلب بعد أن زال سلطان بنى عقيل عنها سنة ٤٧٩ هـ (١١٨٣م) (٢)

لما توفى السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ (١٠٩٢م) ، خرج آقسنقر على طاعة السلطان السلجوقى تاج الدولة تتش ، لكنه مالبث أن قضى عليه سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) ، واستولى على أملاكه . وبذلك حرم عماد الدين زنكى ابن آقسنقر من أملاك أبيه (٣) .

اجتمع مماليك آقسنقر حول عماد الدين زنكى (٤) ، وأحاطه الأمير كربوقا — الذى

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٥

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك . القسم الأول . جـ ١ ص ٣٢

(٣) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٦٥ — ٦٦

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

Lane Poole: Saladin. p.35.

استولى على الموصل - برعايته ، وضم مماليكه الى جنـــــده ، واقطعهم الاقطاعات واستعان بهم فى حروبه ، واشترك عماد الدين مع كربوقـــا فى غزوة آمـــد (١) . ولم يزل زنكى فى خدمـــة كربوقـا حتى وفاتـه سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٢م) (٢) .

ذاع صيت عماد الدين زنكى لما أبداه من الشجاعة اثنـــاء قتال الصليبيين فقد اشترك مع مودود - أمير الموصل - فى مهاجمة طبرية (٣) ، وقاتل الفرنجة على باب هذه المدينة (٤) ، وكافأه السلطان

---

(١) أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدرا ، وأشهرها ذكرا وهو بلــد حصين ركين تحيط به دجلة بشكل شبه مستدير كالهلال .
(ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦١)

(٢) لما حاصر كربوقا آمد واشتد القتال وكثرت جموع التركمان التى كربوقـا عماد الدين زنكى بين أرجل الخيل ، وقال له : "قاتلوا عن ابن صاحبكم" فحين اذن اشتد قتالهم ، وقوى حماسهم وانتهت المعركة باستيلاء كربوقا على آمد .
(ابوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦)

(٣) Lane-Poole: Saladin. p.37

(٤) Zoe Olden Bourg: Les Croisades. p.278

السلجوقي محمد ، بأن أسند اليه شحنكية البصرة (١) وواسط سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) (٢) .

ولما ولّى السلطان محمود الحكم أقر اخاه الملك مسعود مع اتابكه جيوش بك في امارة الموصل ، غير انه مالبث أن خرج على السلطان بتحريض من اتابكه الذي خطب له بالسلطنه ، مما ترتب عليه قيام حرب (٣) بينهما حلت فيها الهزيمة بمسعود وأتابكه . ثم عفا السلطان عنهما ، وولّى آقسنقر البرسقي على الموصل سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) (٤) وأضاف اليه الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها من أعمال الموصل (٥) .

---

(١) الشحنة : رياسة الشرطة ، أو الأمير المشرف على حراسة المدينة أو محافظها .

(المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ٣٥)

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٢٤

(٣) Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.170

(٤) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٣

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ٣٠

اشترك عماد الدين زنكي فى الحروب التى دارت بين آقسنقر البرسقى (١) ودبيس ابن صدقة — صاحب الحلة — وانتهت بهزيمة دبيس (٢) ولما استقر رأى آقسنقر (٣) على العودة الى الموصل طلب من عماد الدين زنكي أن يصحبه فى المسير اليهـا لكنه رفض وقال لأصحابه : " قد ضجرنا مما نحن فيه ، كل يوم قد يملك البلاد أمير ، ونؤمر بالتصرف على اختياره وارادته ، ثم تارة بالعراق ، وتارة بالموصل وتارة ببلاد الجزيرة ، وتارة بالشام (٤) ، ثم قدم على السلطان محمود ، فأكرم

---

(١) كان الأمير آقسنقر البرسقى فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ، ملازما له فى حروبه كلها وهو الذى أصلح بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ولما ولاه السلطان الموصل أمره بمجاهدة الفرنجة ، وقد اصلح أمر الموصل فى فترة ولايته عليها .

(ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٣٠

(٣) نشبت حرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة العباسى المسترشد سنة ٥١٦ هـ ، انضم فيها البرسقى — صاحب الموصل — وعماد الدين زنكى الى الخليفة العباسى ، فانهزم دبيس ، وذهب الى البصرة ، ودخلها ونهبها وهاجمها ، فأمر الخليفة البرسقى بحفظ البصرة ، فسار اليها وانتزعها من دبيس ، وولّى عليها عماد الدين زنكى :

(Zoe Olden Bourg: Les Croisades. p.276)

(٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٢٧

وفادته ،وتوثقت بينهما عرى الصداقة ، كما اتصل فى نفس الوقت بالخليفة المسترشد واكتسب وده واحترامه (١) .

لما هاجم أنصار دبيس بن صدقة صاحب الحله ـ البصرة ، وعاثوا فيها فسادا ، أعاد السلطان تولية زنكى شحنة لها ، فسار اليها ، واستطاع أن يصد المغيرين عنها ،ويعيد الأمن الى نصابه ،فعظم شأنه عند السلطان وأسند اليه شحنية العراق ،وفوّضها اليه مضافة الى مالديه من الاقطاع (٢) .

أما فيما يتعلق بامارة الموصل ، فانه بعد مقتل البرسقى سنة ٥٢٠ هـ(١١٢٦م) خلفه فى حكمها ابنه عزالدين مسعود ،وأقره السلطان على ممتلكات أبيه ،فضبط البلاد ، وأحسن الى الأهلين ، وكان يساعده فى الحكم الأمير جاولى ـ أحد مماليك أبيه ـ (٣) .

على أن عزالدين مسعود مالبث أن توفى ،وخلفه فى ولاية الموصل أخ لـه ، وظل جاولى يتولى مهام الحكم فى البلاد نيابة عنه ، وأرسل الى السلطان محمود القاضى بهاء الدين أبا الحسن على بن الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الباغيسيانى يطلب اقرار الأمير الجديد على مايليه من البلاد ، وبذل فى

---

(١) Lane Poole: Saladin. p 35

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٢١ هـ

ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ٤ ص ٦١

Zoe Olden Bourg: Les Croisades.p.278

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٢٤٩

سبيل ذلك كثيرا من الأموال[1] . غير أن السلطان محمود كان قد أصدر مرسوما بتسليم دبيس بن صدقة الموصل ، وأعد الحدة للمسير اليها ، لكن الخليفة المسترشد عارض توليته ، وترددت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في هذا الصدد ، وطلب من رسولي جاولي مطالبة السلطان بتولية زنكي[2] . فلقيت هذه الفكرة قبولا من الرسولين ، ذلك أنهما كانا يخشيان جاولي ويرفضان الدخول في طاعته ، وطلبا من أنوشروان بن خالد — وزير السلطان محمود — تولية زنكي الموصل لانه يستطيع الدفاع عن بلاد الموصل والجزيرة وبعد أن ازدادت هجمات الصليبيين عليها[3] ، فأبلغ الوزير ذلك الى السلطان ، فاستدعاهما

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٣٤ — ٣٥

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٩

(٣) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان ج ١٢ ورقة ٤ .

ليقف بنفسه على رأيهما في زنكي ، فحدثاه عن كفايته وشجاعته ، فوافق على توليته الموصل ، وبعث في طلبه حيث سلمه منشورا بذلك ، وسيّر معه الى الموصل ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجي ليشرف على تربيتهما (١) ، ولهذا قيل له الاتابك (٢) .

سار زنكي قاصدا الموصل ، فدخلها دون أن يتعرض له جاولي بل دخل في خدمته (٣) ، فأقطعه زنكي الرحبة وأعمالها ، وسيره اليها ، وأقام هو بالموصل ليرتب أمورها ، فجعل نصيرالدين جقر نائبا له ، وصلاح الدين الياغيسياني أمير حاجب ، وبهاءالدين الشهرزوري قاضيا لقضاة بلاده ، مكافأة لهم على جهود هم في توليته الحكم (٤) .

ظلت سنجار تتبع أتابكية الموصل حتى وفاة صاحبها قطب الدين مودود سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩م) ، اذ استقل بها ابنه الاكبر عماد الدين زنكي ذلك أن أباه لم يعهد له بالحكم ، انما عهد الى ابنه الآخر سيف الدين غازي ، فسار عماد الدين

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ١٢٨

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٨٠

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٦

(٤) Lane Poole : The Muhammadan Dynasties pp. 162 - 165

زنكي بن مودود الى عمه نورالدين محمود فى بلاد الشام ليمينه على أخذ الملك لنفسه ، فاستجاب له ، وسار الى بلاد الجزيرة حيث ضم الرقة الى حوزته ، ثم زحف الى الخابور وفتحه ، كما استولى على نصيبين وسنجار ، وولى (١) ابن أخيه عماد الدين زنكي بن مودود على هذه البلاد التى استولى عليها (٢) .

كذلك تمكن نورالدين محمود من الاستيلاء على الموصل وأقر أتابكها سيف الدين غازى بن مودود عليها ، وأضاف اليه جزيرة ابن عمر (٣) ، واشترط عليه أن يكون طوع ارادته .

أقام عماد الدين زنكي بن مودود أتابكية مستقلة عن الموصل فى سنجار مما ترتب عليه ظهور الشقاق بين أفراد البيت الأتابكى (٤) ، وعبر عن ذلك القاضى جلال الدين الشهرزورى بقوله : " وفى هذا طريق الى أذى يحصل للبيت الاتابكى لأن عماد الدين زنكي كبير ، لا يرى طاعة أخيه سيف الدين ، وسيف الدين

---

(١) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ١٤٨

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص١٥٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . القسم الأول ج ٨ ، ص ٢٨٢ .

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

هو الملك ، لايوى الاصغاء لعماد الدين ، فيحصل الخلف ، وتطمع الاعداء") .(١)

لما شعر سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بدنو أجله سنة ٥٧٦ هـ

(١١٨٠م) ، أشار عليه كبار رجال دولته ، بأن يعهد بالامارة من بعده

الى أخيه عزالدين مسعود لكفايته وحسن تصريفه الامور ، بدلا من ابنه معزالدين سنجرشاه الذى

لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وكان ذلك فى الوقت الذى قويت فيه شوكة صلاح (٢)

الدين الأيوبى فى بلاد الشام ، فاستجاب له ، وأقطع ابنه سنجرشاه جزيرة

ابن عمر ، فأقام بها أتابكية مستقلة ، عرفت باسم أتابكية الجزيرة سنة ٥٧٦ هـ (٣)

(١١٨٠م) .

كذلك قامت أتابكية مستقلة فى اربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧م) ، كانت فى

بداية الأمر ملكا لأبى الهيجاء الكردى الهذبانى ، ثم آلت الى ورثته من بعده ،

واستولى عليها السلاجقة فيما بعد ، وحكمها مسعود بن محمد بن ملكشاه صاحب

مراغة - قبل توليته السلطنة . وفى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١م) سار اليها

عماد الدين زنكى ، وهاجمها وظل يحاصرها حتى قصدها السلطان مسعود من

مراغة ، فرحل عنها ، ونزل السراب ، وترددت الرسل بينهما ثم اتفقا على أن

---

(١) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٥٢

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ .

(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٨١

يعاون زنكى السلطان فى اقامة الخطبة له فى بغداد وسائر العراق ، فى مقابل أن ينزل له عن اربل ، غير أن عماد الدين زنكى لم يلبث بعد أن آلت اليه هذه المدينة أن أقطعها للأمير زين الدين على كجك بن بكتكين (١) الذى ضم الى حوزته بلادا أخرى ، مثل شهرزور وملحقاتها ، وقلاع الهكارية والحميديّة وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل .

ولما تقدمت به السن وعجز عن مباشرة مهام الحكم ، نزل عن البلاد التى فى حوزته فيما عدا اربل الى قطب الدين مودود (٢) .

انقسمت أسرة بنى أرتق الى فروع حكمت ماردين ، وحصن كيفا ، وخرتبرت . وتنسب الى أرتق بن أكسب — أحد مماليك السلطان ملكشاه — فقد ولاه حلوان وما اليها من أعمال العراق (٣) ، ولم يستمر فى ولايته طويلا ، اذ فارق فخر الدين بن جهير —

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٣٥

(٢) نفس المصدر السابق .

Lane Poole: The Muhammedan Dynasties .p.165

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٧١ .

- وزير ملكشاه - بعد غزوه آمد سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣م) وسار الى الشام حيث التحق بخدمة السلطان تاج الدولة تتش ، فولاه القدس بعد أن استولى عليها[(١)] .

لما توفى أرتق بن أكسب خلفه ابناه سقمان وايلغازى فى حكم بيت المقدس ، وظلت على هذه الحال حتى انتزعها الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧م) ، فخرج سقمان وايلغازى الى العراق ، فاسند السلطان محمد الى ايلغازى شحنة بغداد ، أما سقمان ، فسار الى الرها وحدثت بينه وبين كربوقا - صاحب الموصل - فتن وحروب ، ولما توفى كربوقا ، خلفه موسى التركمانى - نائبه على حصن كيفا[(٢)] - ، فزحف اليه جكرمش - صاحب جزيرة ابن عمر - وحاصره بالموصل[(٣)] ، فاستنجد بسقمان ، ووعده باعطائه حصن كيفا ، فسار اليه ، وأنقذه من جكرمش وجنده ، واستولى على حصن كيفا سنة ٤٩٥ هـ[(٤)] (١١٠١م) ، وأقام بها امارة صغيرة توارث حكمها بنوه[(٥)] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧١

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ .

(٣) Runciman: A History of the Cvusades Vol.2. p.168

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

(٥) زامباور : معجم الانساب ج ٢ ص ٣٤٤ .

تعاقب بنو ارتق على حكم حصن كيفا حتى وليه نورالدين محمد بن قرا أرسلان سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦م) ، وكان حليفا لصلاح الدين الأيوبي ، واشترك معه في حصار الموصل على أن يساعده في الاستيلاء على آمد (١) ، فعاونه في حصارها وأخذها من وزيرها ابن نيسان سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢م) ، وضمها الى دولته (٢) . وبذلك اتسع نطاق أتابكية حصن كيفا .

أما ماردين وأعمالها فكانت تتبع السلطان بركياروق ثم أقطعها لأحد مماليكه ، ولما حاصر كربوقا – صاحب الموصل – مدينة آمد ، استنجد صاحبها بسقمان – صاحب حصن كيفا – فأنجده ، واشتبك في عدة معارك مع كربوقا ، انتهت بهزيمته ، وأسر ابن أخيه ياقوتي ، ولما اشتدت غارات الأكراد على ماردين ، وعجز صاحبها عن صدهم ، طلب ياقوتي منه اطلاق سراحه ، على أن يساعده في صد غارات الأكراد ، فأجاب طلبه ، وشرع ياقوتي في شن الغارات

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢١٢ .

(٢) Cambridge Medieval History Vol.4 p.317

على الأكراد ، وتمكن من الاستيلاء (١) على ماردين ، ولم يكتف بذلك ، بل اعتزم التوسع في منطقة الجزيرة ، فسار الى نصيبين ، واستولى عليها ، ثم قصد جزيرة ابن عمر ، لكن صاحبها جكرمش ، أوقع به الهزيمة وقتله (٢) . على أن ماردين لم تستمر طويلا في حوزة جكرمش ، فقد انتزعها منه سقمان صاحب حصن كيفا (٣) ـ ثم آل حكمها بعد وفاته سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤م) الى أخيه ايلغازى بن أرتق وأقام بها أتابكية مستقلة عن كيفا ، توارث أبناؤه ولايتها (٤) .

وكان يحكم ميافارقين السلطان قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش ، ثم استولى عليها الأمير سكمان ـ صاحب خلاط (٥) ـ سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨م) ، وأحسن معاملة أهلها ، وخفف عنهم عبء الضرائب وعين عليها واليا من قبله

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٥ هـ

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢١٢

لما اعتزم سقمان بن أرتق الانتقام لابن أخيه ، أرضاه جكرمش ـ صاحب الموصل ببعض المال ، على أن سقمان انتزع ماردين من على الذى خلف أخاه ياقوتى في حكم ماردين ـ لدخوله في طاعة جكرمش ، وقال انما اخذتها لئلا يخرب البيت ، وأقامه جبل جور بالقرب من ماردين . (ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٥

(٣) Cambridge Medieval History Vol. 4 p.317

(٤) زامباور : معجم الأنساب جـ ٢ ص ٣٤٥

(٥) قصبة أرمينية الوسطى (ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٥٣)

وفى عهد هذا الوالى طمع أمراء البلاد المجاورة فى ميافارقين وانتزعوا بعض أراضيها ، فرأى السلطان أن يسند ولايتها الى حاكم آخر يدعى ايلغازى فضبط أمورها ونشر العدل بين أهلها (١) . ولما توفى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) ولى ابنه تمرتاش حكم ماردين ، على حين استقل ابنه الآخر سليمان بحكم ميافارقين (٢) .

أما عن حصن كيفا وآمد ، فان أميرهما نورالدين محمد توفى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥م) وخلفه ابنه الاكبر قطب الدين سقمان على الرغم من أن عماد الدين — أخو نورالدين محمد — كان مرشحا للامارة ، الا أنه لم يتمكن من توليتها ، لاشتراكه وقتذاك مع صلاح الدين الأيوبى فى حصار الموصل فلما بلغه ماحدث ، سار الى حصن كيفا ، غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليه فقصد خرتبرت وضمها الى حوزته ، وكون بها امارة ، توارث أبناؤه حكمها (٣) .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١ .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر جـ ١ ص ٥٨

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢١٨ .

الباب الأول

الموقف السياسي الداخلي في أتابكة الموصل والجزيرة

الباب الأول

الموقف السياسى الداخلى فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

١ — سياسة أتابكة الموصل والجزيرة فى توطيد سلطانهم :

حرص أتابكة الموصل والجزيرة على توطيد سلطانهم ، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد والعصيان التى قامت ضدهم ، ففى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) أعلن والى حلب — سليمان بن ايلغازى بن أرتق — العصيان على أبيه ايلغازى — صاحب ماردين وحلب — (١) فلما علم بذلك أسرع فى المسير الى حلب (٢) (٣) ، وشرع فى مهاجمتها مما حمل ابنه سليمان على الخروج اليه معتذرا (٤) ، فعفا عنه (٥) ، وقبض على المشتركين معه فى الفتنة وعادت المدينة الى طاعته وأناب بحلب ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق ، ولقبه بدر الدولة ، ثم عاد الى ماردين (٦) .

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٠٠ — ٢٠١

(٣) Runciman: A History of The Crusades Vol.2 p.161

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص

(٦) ابن الاثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ

كذلك حاول سودكين الكرجى الاستقلال عن امارة عماد الدين زنكى صاحب الموصل — على الرغم من أن زنكى أقطعه حران سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) كما انضم الى الخليفة العباسى المسترشد أثناء حصاره الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢م) ، وعين واليا من قبله على حران ، فأحبط زنكى محاولته بأن أرسل جيشا الى حران سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٨م) ، تمكن من استعادتها ، وانتزاع قلعتها من واليها (١).

وفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) خرج أهل الحديثة على طاعة عماد الدين زنكى ، فأرسل جيشا كبيرا اليهم (٢) ، وحاصر البلدة ، ولم يزل يحاصرها حتى استعاد نفوذه عليها (٣).

لما قتل عماد الدين زنكى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) ، استرد حسام الدين تمرتاش — صاحب ماردين — مدينة دارا التى كان زنكى قد استولى عليها غير أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — مالبث بعد ثلاث سنوات أن تمكن من ضمها الى حوزته ، كما استولى على كثير من أعمال ماردين (٤).

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٤

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

(٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٩٠

سار قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — على سياسة أبيه فى القضاء على حركات التمرد والعصيان ففى سنة ٥٤٢ هـ خرجت عليه جزيرة ابن عمر ، فقد كانت اقطاعا للأمير أبى بكر الدبيسى (١) • ولما توفى هذا الأمير ، تحصن بها أحد مماليكه ، فسار اليها قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وحاصرها عدة شهور حتى استعادها (٢) •

كان زين الدين على — نائب قطب الدين مودود — أتابك الموصل — قد أسند ولاية تكريت (٣) لغلام له ، يدعى تبر (٤) ، فلما اعتزل عمله بالموصل ، وانتقل الى اربل ، وآلت البلاد التى كانت فى حوزته الى قطب الدين مودود ، امتنع تبر عن تسليم تكريت لصاحب الموصل • وأنفذ اليه رسولا يطلب منه أن يجعله نائبه فى تكريت فأجاب طالبه ، خشية أن ينزل عنها للخليفة العباسى (٥) •

ولما توفى تبر ، خلفه اخوته فى حكم تكريت ، غير أن الخلاف والشقاق

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٢ — ١١٣

(٣) كانت تكريت اقطاعا لزين الدين على •

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

(٥) نفس المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٧ •

مالبث أن وقع بينهم ، وعجزوا عن حكمها كما أن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — لم يحاول استمادتها (١) .

ولما آلت أتابكية الموصل الى سيف الدين غازى بن مودود سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) ، أعلن الأمير شهاب الدين محمد بن بوزان — والى شهرزور — استقلاله لعداوة كانت بينه وبين مجاهد الدين قيماز — نائب سيف الدين غازى بن مودود أتابك الموصل — فأرسل اليه رسولا من قبله ومعه كتاب يحثه فيه على القدوم الى الموصل ، وترك التمرد والعصيان (٢) ، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ فى نفس شهاب الدين ، فتوجه الى الموصل ، ودخل فى طاعة أتابكها (٣) .

استعان أتابكة الموصل والجزيرة برجال تمكنوا من معاونتهم فى توطيد سلطانهم ، والوقوف فى وجه أعدائهم ومنافسيهم فى السيادة والحكم ، فقد استناب عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — نصير الدين جقر بن يعقوب الهمذانى (٤) ، فسيطر على شؤونها الداخلية (٥) ، واستطاع أن يقف فى وجه

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٦٧

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٨

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٢ هـ

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٢

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٥

الخليفة العباسي المسترشد حين هاجم بلاده سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢م) (١) ، كما صد الأكراد الذين عاثوا فسادا في بلاد الجزيرة ، واستولى على بعض بلادهم (٢) .

كذلك علا شأن زين الدين على بن بكتكين الذى جعله عماد الدين زنكى نائبا له سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) (٣) ، وامتد نفوذه الى اربل وشهرزور وقلاعهما وجميع قلاع الهكارية (٤) ، كما ضم اليه السلطان السلجوقى مسعود سنة ٥٤٤ هـ تكريت وحران وسنجار (٥) .

أبقى سيف الدين غازى بن زنكى — أتابك الموصل — زين الدين على نائبا له ، واتخذ وزيرا له يدعى جمال الدين محمد بن على الأصفهانى . وظل الحال على ذلك حتى ولى قطب الدين مودود بن زنكى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧م) أتابكية الموصل (٦) — فأقرهما فى عملهما ، وقد أثار ازدياد نفوذهما حقد بعض الأمراء ، فأرسلوا الى نورالدين محمود بن زنكى — صاحب الشام — يطلبون

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٢) ابوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص ١

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٤

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦

(٦) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠

منه القدوم اليهم ، وحكم بلادهم ، فاستجاب لهم ، وقصد الموصل (١) . ولما علم قطب الدين مودود بن زنكى — أتابك الموصل — بذلك ، اعتزم الوقوف فى وجه أخيه ، فسار على رأس جيش كبير الى بلاد الشام ، ولما اقترب هذا الجيش من تلك البلاد ، أرسل الى نور الدين ينكر عليه محاولة الاغارة على بلاده ، ويهدد بمحاربته ان لم يرجع عنه (٢) . غير أن الوزير جمال الدين محمد بن على الاصفهانى أشار بالصلح (٣) ، واستطاع أن يصلح بين الأخوين (٤) .

كان الوزير جمال الدين محمد بن على الأصفهانى كثير البر والصدقات كما قام بكثير من الاصلاحات فى الموصل وسنجار ونصيبين وجزيرة ابن عمر (٥) ، وكانت الموصل فى أيامه ملجأ لكل ملهوف ، ومأمنا لكل خائف (٦) ، وبلغ من علو منزلته أن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جعله مشرف مملكته كلها ، غير أن

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٤

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٩

ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ١٤٨

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٩

(٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٢٤٨

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٩ — ١٢٠

خواص قطب الدين مودود أوغروا صدره عليه ، فأمر بحبسه ، مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات فى أتابكية الموصل (١) .

كذلك استناب سيف الدين غازى بن مودود — أتابك الموصل — مجاهد الدين قيماز — وفوّض اليه الحكم فى سائر أتابكيته ، كما قام بادارة شؤون أتابكيتى الجزيرة واربل نيابة عن أميريهما (٢) . غير أن سيف الدين غازى مالبث أن قبض عليه بتحريض من بعض خواصه ، فاضطربت البلاد ، وطمع فيها الطامعون (٣) ، فأرسل الخليفة العباسى جيشا ، استولى على دقوقا (٤) ، واستقل زين الدين على بن بكتكين باربل ومعز الدين سنجرشاه بالجزيرة (٥) ، ولم يستطع عز الدين مسعود — أتابك الموصل — السيطرة على أتابكيته ، فأطلق سراح مجاهد الدين قيماز ، وأعاده نائبا له (٦) .

اتخذ سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جلال الدين أبا الحسن على بن جمال الدين وزيرا له سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥م) .

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، ص ١١٨ — ١١٩

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج٢ ص ١٥٤ — ١٥٥

(٤) مدينة بين اربل وبغداد (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١١٦)

(٥) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧١

(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦١ .

وفوّض اليه كافة أمور الدولة (١)، فأظهر كفاية فى مباشرة مهام عمله ، وادارة البلاد غير أن سيف الدين غازى قبض عليه بتحريض من بعض أخصائه سنة ٥٧٣ (١١٧٧م) ثم أطلق سراحه ، فذهب الى آمد (٢) .

كما كان لبدر الدين لؤلؤ — نائب نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود — أتابك الموصل — أثر كبير فى توطيد سلطانه ، فأسند اليه ادارة الجيوش والعساكر وسياسة القبائل والعشائر (٣) ، وأوصاه بأن يدبر أمر ابنه عز الدين مسعود الثانى بعد وفاته . ولما توفى أرسلان شاه الأول تصدى بدر الدين لؤلؤ لمعاونة عز الدين مسعود الثانى فى توليته أتابكية الموصل ، ولم يمكن عمه عماد الدين زنكى — صاحب قلعتى العقر وشوش (٤) من انتزاع الحكم من الاتابك الجديد . ثم عين بدر الدين لؤلؤ ، نور الدين أرسلان شاه الثانى أتابكا على الموصل بعد وفاة عز الدين مسعود ، وحرص على عدم تحقيق أطماع أمراء البلاد المجاورة فى أتابكية الموصل (٥) ، ثم انفرد بحكم هذه الاتابكية وظل يلى أمورها حتى وفاته سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٨م) ، فخلفه ابنه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل ، وهو آخر أتابكتها (٦) .

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٥٤

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٢٠٢

(٤) احدى قلاع الموصل .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٥٧
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٦٩

(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ — تاريخ المغول المجلد الثانى جـ ١ ص ٣١٧ .

كذلك حرص أتابكة حصن كيفا على الاستعانة برجال أكفاء تمكنوا بمعاونتهم من توطيد سلطانهم ، فاستعان فخر الدين قرا أرسلان — أتابك حصن كيفا — بنور الدين محمود — صاحب الشام — فى صد المغيرين على امارته . ولما عهد الى ابنه محمود ، اعتزم أن يؤمنه فى دولته بعد توليته الحكم ، فأوصى نور الدين محمود بأن يصد الأعداء عن أبنه (١) فأجاب طلبه (٢) .

على أن بعض أتابكة الموصل والجزيرة لم يقبل سيطرة النواب والوزراء على شؤون الحكم ، فلما توفى ايلغازى الثانى بن البى بن تيموتاش — صاحب ماردين سنة ٥٧٥هـ (١١٧٩م) ، خلفه ابنه بولق أرسلان — وكان طفلا صغيرا — فقام بتدبير أمور أتابكيته وزير أبيه — نظام الدين — ولما توفى بولق خلفه أخوه الأصغر — ناصر الدين أرتق — ، فظل تحت وصاية الوزير نظام الدين حتى سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤م) (٣) ، حيث عوّل على استعادة نفوذه وسلطانه فى امارته ، فدبر مؤامرة للتخلص من نظام الدين ، كما حارب أنصاره ، وأوقع بهم الهزيمة ، وتمكن بذلك من أن يصبح الحاكم الفعلى فى أتابكيته (٤) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب ج ١ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ — ٢١٩

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ج ٨ ص ٥١٨ .

٢ — الأحداث الداخلية في دول الأتابكــــة

كان الخلاف والنزاع كثيرا مايظهر في دول الأتابكة حول الحكم مما أضعف من شأن هذه الدول . فبعد مقتل عماد الدين زنكي بن آقسنقر — صاحب الموصل — (١) اضطرب الجند ، وقصدوا خيمة الملك ألب أرسلان بن محمود (٢) ، ونادوا بـه أميرا على الموصل ، لكن وزراء زنكي بذلوا قصارى جهدهم للاحتفاظ بالملك (٣) في بيته ، وأنهى وزيراه جمال الدين محمد بن على الأصفهاني ، وصلاح الدين الياغيسياني العداوة التي كانت بينهما (٤) ، وأرسل جمال الدين الى صلاح الدين يقول : " ان المصلحة أن نترك ماكان بيننا وراء ظهورنا ، ونسلك طريقـا يبقى به الملك في أولاد صاحبنا ، ونعمر بيته جزاء لاحسانه الينا " فاستجـاب صلاح الدين له ، وتصافيا ومن ثم استطاعا الحيلولة دون تولية ألب أرســلان

---

(١) كان عماد الدين زنكي أتابكا له .

(٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥
Setton : A History of the Crusades.Vol.I p.462.

(٣) ابوشامة : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ١١٥
ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٣ ص ١٧٦

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ١ ص ١٠٨ — ١٠٩
Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 p.239.

الموصل ، وتنصيب سيف الدين بن عماد الدين زنكى ، أتابكا عليها (١) . وقد أشاد ابن الأثير (٢) بالدور الذى قام به جمال الدين محمد بن على الاصفهانى — وزير زنكى — لابقاء حكم الموصل فى بيته ، فقال : " فانظر الى فعل جمال الدين وحسن عهده وكمال مروءته ، ورعايته لحقوق مخدومه واحسانه ، وهذا المقام الذى ثبت فيه ، يعجز عنه عشرة ألف فارس " .

لم يحكم سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى دولة أبيه كلها ، بل ولى أخوه نورالدين محمود بعض نواحيها ، وامتدت أطماعه الى ولاية حلب ، وشجعه (٣) على ذلك أسد الدين شيركوه فقال له : " قد رأيت أن أصيرك الى حلب ، وتجعلها (٤) كرسى ملكك ، وتجتمع فى خدمتك عساكر الشام ، وأنا أعلم أن الأمر يصير جميعه اليك ، لأن ملك الشام بحلب ، ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق " (٥) ولم يلبث نورالدين محمود بن زنكى (٦) أن سار قاصدا حلب ، وضمها الى حوزته ، كما استولى على

---

(١) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج١ ص ١٢١ — ١٢٢

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦

(٣) نفس المصدر .
Lane Poole: Saladin. p.60

(٤) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٥

(٥) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج١ ص١٢٢

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤١ هـ
ابوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٩

وحماة ومنبج وحران وحمص ، وجميع ماكان بيد أبيه من بلاد الشام (١) .

لما استقر سيفالدين غازى بن زنكى فى حكم الموصل سار الى بلاد الشام لاقرار أخيه على البلاد التى رثيها على اعتبار أنه الوريث الشرعى لمملكة أبيه (٢) ، وقد تبودلت المراسلات بين الأخوين فى هذا الصدد . وعلى الرغم من أن سيفالدين غازى بن زنكى — أتابك الموصل — استمال أخاه ، فان نورالدين محمود بن زنكى لم يسرع فى القدوم اليه خشية منه ، ولما التقيا تصرف نورالدين محمود على أخيه ، فقبل الأرض بين يديه (٣) ، ودخل فى خدمته ، فأقره على مابيده من بلاد الشام (٤) ، وعاد سيفالدين غازى الى الموصل ونورالدين محمود الى حلب (٥) .

لم يترك سيفالدين غازى ولدا يخلفه فى الحكم ، فلما توفى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) ، اتفق كبار رجال دولته على تولية أخيه قطب الدين مودود (٦) ، لما

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥

(٢) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.241

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٨

(٤) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢٢

(٥) Zoe Olden Bourg: Les Croisades. p.338

(٦) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٨

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٧

عرف عنه من كرم الأخلاق ، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة ، كما أقسم لهم أن يحكم بالعدل ، وتسلم جميع ما كان بيد سيف الدين من البلاد (١) .

٥٦٤ ، ١١٦٧

أوصى قطب الدين مودود قبل وفاته سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩م) بالملك بعده لابنه عماد الدين زنكي - وهو أكبر أولاده - (٢) ثم عدل عنه الى ابنه الآخر سيف الدين غازي ، الذي عاونه النائب فخر الدين في تولية الملك بعد وفاة أبيه وأحضر الأمراء والأجناد ، واستحلفهم له ، ذلك أنه كان يبغض عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي ، لأنه كان طوع ارادة عمه نور الدين محمود بن زنكي الذي اعترض على بقاء هذا النائب في الموصل (٣) .

اعترض عماد الدين زنكي بن مودود على تحويل الملك منه الى أخيه وطلب من عمه نور الدين محمود بن زنكي أن يعاونه في تمكينه من حكم الموصل (٤) ، فاستجاب له (٥) ، واضطر صاحبها سيف الدين بن قطب الدين بن مودود بن زنكي الى الاستنجاد (٦)

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧١

(٣) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2.p.390

(٤) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ١٤٨

ابوالفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٥١

(٥) نفس المصدر .

بشمس الدين أيلدكز — صاحب همذان والجبل واذربيجان واصفهان والري — فأنفذ رسولا الى نور الدين محمود يحذره من المسير الى الموصل (١) ، فاستاء نور الدين من هذه الرسالة ، وقال للرسول : قل لصاحبك : أنا أصلح لأولاد أخي منك (٢) .

ولما تمكن من الاستيلاء على الموصل ، أبقى سيف الدين غازي بن مودود أتابكا عليها (٣) ، وعهد الى أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بحكم سنجار وأضاف اليه الرقة ونصيبين والخابور (٤) .

لم يعهد سيف الدين غازي بن مودود بأتابكية الموصل من بعده لابنه الاكبر معز الدين سنجرشاه ، لأنه كان حدثا لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ،

---

(١) كذلك قال نور الدين محمود للرسول قل لصاحبك : " ولم تدخل نفسك بيننا ، وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة ، وأهملت الثغور ، حتى غلب الكرج عليها ، وقد بليت أنا ولي مثل ربع بلادك بالفرنج — وهم أشجع العالم — ولا يحل لي السكوت عنك ، فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت وازالة الظلم عن المسلمين " .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج١ ص ١٩٢

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٤ ص ٢١٦

(٤) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٤٠٧ .

فى الوقت الذى قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبى فى بلاد الشام ، وخشى أن تمتد أطماعه الى الموصل ، فعهد الى أخيه عزالدين مسعود ، لما عرف عنه من حسن السياسة ، وولّى ابنيه بعض البلاد (١) ، وأمرهما أن يكونا طوع ارادة عمهما عزالدين مسعود ، فلما توفى سيفالدين غازى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ ـ ١١٨١م) (٢) ركب عزالدين مسعود الى دار الاتابكية (٣) ، وتولى مقاليد الأمور فى أتابكية الموصل .

على ان معزالدين سنجر شاه لم يعمل بوصية أبيه ، بل أوقع بينه وبين جيرانه فحاصره صاحب الموصل ، وضيق عليه الحصار ، واعتزم أخذ الجزيرة منه ، فلما عجز سنجر شاه عن الدفاع عن أتابكيته ، سأله العفو والصفح ، فأجاب طلبه وأنعم عليه ، وأمنه ، وأقره على بلده ثم عاد الى الموصل (٤) .

---

(١) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماة ص ٢٧٧

(٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ٢٥٨

(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٧ هـ .

على أن عزالدين سنجر شاه مالبث أن عاد سيرته الأولى ، وأساء السى عمه ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد تغاضى أتابك الموصل عن أخطائه (١) .

ولما أحس عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود ، بدنو أجله ، أوصى بأتابكية الموصل من بعده لولده نورالدين أرسلان شاه ، فاعترض أخوه شرف الدين على ذلك ، وطلب منه أن يوليه أتابكية الموصل ، وأعد جندا لتحقيق هذه الغاية (٢) . ولكن مجاهد الدين قيماز — نائب الموصل — لم يمكنه من تحقيق غرضه ، فأسرع في أخذ البيعة لنورالدين أرسلان شاه . وكان لذلك أثر سيء في جند شرف الدين ، فانفضوا من حوله . ولم يمض غير قليل حتى توفى عزالدين مسعود ، واستقر نورالدين في الحكم (٣) .

عهد نورالدين أرسلان شاه الأول بن مسعود بالحكم من بعده الى ابنه عزالدين مسعود الثاني (٤) ، وأخذ له البيعة من الجند وكبار رجال الاتابكية ، واقطع (٥)

---

(١) قال عزالدين مسعود : مايمنعني من أخذ بلده ، والعجز عليه ، الا الخوف من ظن الملوك انني فعلت ذلك شرها على مابيده ، والا كنت فعلت معه مايستحقه .

(ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٧)

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٩١ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ٢٠٢ — ٢٠٣

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٩٩ .

ولده الأصغر عماد الدين زنكى بعض القلاع ، واسند الى بدر الدين لؤلـــؤ تدبير مقاليد الأمور فى أتابكية الموصل (١) .

ولما توفى الملك القاهر عز الدين مسعود سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) عمـــل بدر الدين لؤلـؤ على تولية ابن هذا الأتابك مكان أبيه (٢) ، وأقام له الخطبـــة ونقش أسمه على السكة ، وأرسل الى الخليفه العباسى الناصر لدين الله ، يطلب التقليد له كما بعث الى أمراء البلاد المجاورة يطلب منهم تجديد العهـــد للأتابك الجديد الذى توطدت سلطته بعد أن وصل اليه تقليد من الخليفـــه العباسـى (٣) .

لم يرض عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه الأول عن تولية ابن اخيه أتابكية الموصل ، وعول على الاستقلال ببعض القلاع التى اقطعت له ، ودار القتال بينهما ، واستعان عماد الدين زنكى بمظفر الدين كوكبورى بن زين الدين — صاحب اربل — ، فحاول بدر الدين لؤلؤ أن يثنيه عن عزمه (٤) . غــــير

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٧ هـ

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٦ ص ٢٢٥

(٣) أبو الفـــدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٢٥

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٧١

أن مظفرالدين أصر على الوقوف الى جانب عماد الدين زنكى ، الذى مالبث أن أوقع الهزيمة بجند الموصل ،وأرغمهم على الارتداد على أعقابهم منهزمين (١) •

كان لهذا الانتصار الذى أحرزه عماد الدين زنكى أثر بالغ فى نفسه فأرسل الى سكان قلاع الهكارية والزوزان (٢) يطلب منهم الدخول فى طاعته ، فأجابوا طلبه ،وعين ولاة من قبله (٣) •

لما رأى بدرالدين لؤلؤ خروج قلاع الهكارية والعمادية والزوزان من يده واتفاق مظفرالدين ، وعمادالدين عليه ، وسعيهما الى الاستيلاء على بلاده ، وتعرضهما لأطرافها بالنهب والأذى ، أرسل الى الملك الأشرف موسى ابن العادل ـ صاحب ديار الجزيرة وخلاط ـ يطلب منه العون والتأييد ، فوافق الأشرف على مساعدته فى استعادة البلاد التى أخذت منه (٤) •

أرسل الملك الأشرف الى مظفرالدين كوكبورى ، يحذره من مغبة تأييده

---

(١) أبوالفدا : المختصرفى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٧ •

(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

(٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥ •

لسلطان الدين زنكي ، يطلب منه اعادة ما أخذ من قلاع الموصل ، وقال :

" لنجعل شغلنا جمع العساكر ، وقصد الديار المصرية ، واجلاء الفرنج عنها قبل أن يعظم خطبهم ويستطير شرهم " (١).

لم يستجب مظفر الدين كوكبوري لتحذير الملك الأشرف له ، وانضم اليه ناصر الدين محمود — صاحب حصن كيفا وآمد — وكذلك صاحب ماردين ، فأرسل الأشرف جيشا الى نصيبين لمعاونة بدر الدين لؤلؤ (٢).

أما عن موقف عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه الأول ، فانه أرسل فرقا من جنده للاغارة على أعمال الموصل ، غير أن بدر الدين لؤلؤ أوقع به هزيمة ساحقة (٣) واضطره الى الفرار هو وجنده الى اربل ، وجاءت الرسل من قبل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، والملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي واستطاعت عقد صلح بين بدر الدين لؤلؤ ، وعماد الدين زنكي (٤).

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١
(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٢
(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٠

رن مسعود ١/١/١

كذلك اعترض عماد الدين زنكى على تولية ناصر الدين محمود أتابكيـــة الموصل ، وعاد الى التمرد والعصيان ، وأعانه على ذلك مظفر الدين كوكبورى — أتابك اربل — وأغار جندهما على أطراف الموصل (١) ، فاستعان بدر الديـن لؤلؤ بجند الملك الأشرف بن العادل الأيوبى المرابطين فى نصيبين ، ودار قتـــال بين الفريقين ، انتهى بعقد صلح بينهما ، تضمن أن يحتفظ كل منهما بما تحت يده من البلاد (٢) . غير أن هذا الصلح لم يستمر طويلا ، فعاد النزاع بيـن بدر الدين لؤلؤ وعماد الدين زنكى سيرته الأولى ، مما اضطر بدر الدين الـى الاستنجاد بالملك الأشرف بن العادل الأيوبى الذى كان وقتذاك بحلب ، فقدم اليه (٣) .

أما مظفر الدين كوكبورى فانه استطاع أن يضم اليه أمراء الجزيرة فى صراعـه ضد صاحب الموصل ، وحليفه الملك الأشرف بن العادل ، كما استمال بعـض أمراء الملك الأشرف بن العادل الأيوبى ، وقد أغار هؤلاء جميعا على قرى وأعمـال الموصل غير أن بدر الدين لؤلؤ سرعان ما تمكن من صد هجماتهم (٤) .

---

(١) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٢٨

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٧٢

(٤) ابوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٣١

لما قدم الملك الأشرف بن العادل الأيوبي الموصل بعد أن استولى على سنجار وفد اليه رسل الخليفة ، ومظفر الدين ، وعقد بين الفريقين صلح ، استرد بمقتضاه بدر الدين لؤلؤ بعض القلاع ، ولم يمض غير قليل حتى انتهت فتنة عماد الدين زنكى ، واسترد بدر الدين جميع القلاع التى كانت فى حوزته (١) .

لم يستمر سكان قلعة العمادية على ولائهم لبدر الدين لؤلؤ بل خرجوا عليه بزعامة أولاد خواجه ، وأرسلوا الى عماد الدين زنكى يطلبون منه القدوم اليهم ، ومنعوا أصحاب بدر الدين لؤلؤ من البقاء بينهم ، بل تحصنوا فى القلعة ، فحاصرهم جند بدر الدين ، وقطعوا الميرة عنهم ، فاضطروا الى التسليم ، ثم عفا بدر الدين عن مثيرى الفتنة (٢) .

كذلك حدث فى سنجار نزاع بين أفراد البيت الأتابكى حول الحكم ، مما عرض هذه الأتابكية لاضطرابات داخلية ، فلم يكد يتولى شاهنشاه بن قطب الدين محمد الحكم فى سنجار حتى نازعه أخوه عمر ، ثم عمل على التخلص منه ،

محمود

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٥ هـ

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢٢ هـ

ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٧٤ .

وخلفه مخبر أنه مالبث أن اضطر الى تسليم سنجار الى الملك الاشرف بن الملك العادل الأيوبى (١)، وأخذ الرقة عوضا عنها (٢)، لكنه لم يستمر طويلا فى حكمها فقد انتزعها منه الأيوبيون، وتوفى بعد قليل (٣).

ولم يكن فى أتابكية اربل نظام ثابت لتولى الحكم، فلما توفى زين الدين على كجك - إتابك اربل - سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧م) خلفه ابنه مظفرالدين أبوسعيد لكن نائبه مجاهد الدين قيماز عزله، وولى مكانه أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف (٤)، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠م) فطلب أخوه مظفرالدين من صلاح الدين الأيوبى اعادته الى اربل، فأقره عليها مقابل نزوله له عن حران والرها، واضاف اليه شهرزور واعمالها (٥).

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٦٠٩ .

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١

(٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٣٦

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ص ٢٧٣ .

لم يرض أهل اربل عن تولية مظفر الدين عليهم ، فكاتبوا مجاهد الدين قيماز ، يطلبون منه القدوم الى بلادهم وتسلمها ، لكنه خشى من صلاح الدين وبذلك أتيح لمظفر الدين أن يوطد سلطانه فى اربل (١). على أن هذه المدينة لم تبلغ أوجها الا فى عهد هذا الأمير ، فزاد فى رقعتها بأن ضم اليها اقليم شهرزور بما فيه كركوك (٢).

لم يكن لمظفر الدين وارث يخلفه فى الحكم ، فأوصى بامارته من بعده الى الخليفة العباسى المستنصر (٣). فلما توفى سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣١م) آلت السيادة عليها الى هذا الخليفة ، فولى عليها أبا المعالى محمد بن نصر ابن صلايا (٤).

كذلك حدثت خلافات فى أتابكية حصن كيفا حول ولاية الحكم ، ففى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٦ هـ

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٢) Encyc. of Islam: Art Irbil.

(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٤) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣

سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥م) لم يتمكن عماد الدين أبوبكر بن قرا أرسلان من تقلد الامارة ، على الرغم من أنه كان مرشحا لها بعد أخيه نورالدين محمد صاحب حصن كيفا ـ ذلك أن قطب الدين سقمان ـ أكبر أبناء هذا الأمير ، انتهز فرصة غياب عمه عمادالدين أبوبكر بن قرا أرسلان ، وأعلن نفسه أميرا على حصن كيفا ، فاستاء من ذلك عمادالدين ، وعول على المسير الى حصن كيفا للاستحواذ عليه من ابن أخيه (١) ، غير أنه لم يتمكن من تحقيق غايته ، فاستولى على خرتبرت (٢) ، وولى حكمها (٣) .

لم يعهد قطب الدين سقمان ـ صاحب حصن كيفا ـ لأخيه محمود من بعده ، على الرغم من أحقيته في الامارة اذ كان شديد الكراهية والبغضاء له ، كما لم يعهد لأحد من أفراد أسرته ، بل عهد الى أحد مماليكه ، ويدعى اياس ، وزوجه أخته ، فلما توفى خلفه اياس ، غير أن أهل حصن كيفا لم يرضوا بانتقال الحكم من بنى أرتق الى أحد المماليك ، وانفوا من

---

(١) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٧٢

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢١٨ـ٢١٩

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ .

ذلك • والتفوا حول محمود أخى قطب الدين ، ونادوا به أميرا عليهم ، فسار الى آمد على رأس جمع كبير من أنصاره • ولما عجز اياس عن صدهم ، اضطر الى تسليم البلدة لهم ، فاستولى عليها محمود ، كما استولى على حصن كيفا سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢م)(١) • وبذلك آلت اليه الاتابكية التى كان يليها أبوه •

كذلك تعرضت أتابكيات الموصل والجزيرة لفتن داخلية أضعفت من شأنها • فعلى الرغم من أن عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — كان يظهر الولاء والطاعة للسلطان السلجوقى ألب أرسلان(٢) ، ويكتب الرسائل باسمه ، ويقيم الخطبة له ، وينقش اسمه على السكة ، ويعتزم أن يخطب له بالسلطنة فى الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان مسعود ، الا أن ألب أرسلان لم يكن وفيا لأتابكه(٣) ، فوجه اهتمامه الى استعادة نفوذه فى الموصل ، منتهزا فرصة غياب عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، وحرضه أصحابه على قتل نصير الدين جقر — نائب أتابك الموصل — فوافقهم على ذلك(٤) •

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٣١٥ — ٣١٦

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧١

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٤) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusaders p.288.

استاء أنصار نصيرالدين جقر من مؤامرة ألب أرسلان ، فقاتلوا رجالـــه قتالا شديدا(١) . وفى نفس الوقت عمل القاضى تاج الدين يحيى بن الشهرزورى على تهدئة الفتنة ، فخدع السلطان السلجوقى بأن أقنعه بالصعود الى قلعة الموصل حتى يملكها(٢) ، وبذلك يتيسر له الاستيلاء على الموصل(٣) ، ولما تقدم ألب أرسلان الى قلعة الموصل ، حاصره أصحاب نصيرالدين ، وأوقعوا الهزيمة بجنده وأنصاره ، فأدى ذلك الى اخماد هذه الفتنة(٤) .(٥)

تعرضت الموصل لفتنة أخرى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) ، فقد تسلل بعض الخدم الى مخيم عماد الدين زنكى ابن آقسنقر أثناء حصاره قلعة جعـــبر

---

(١) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٠٤

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٣) قال له : " انك ان قتلته ، ملكت الموصل وغيرها ، ويعجز أتابك أن يقيم بين يديك ، ولا يجتمع معه فارسان عليك . (ابن الاثير : الكامـــل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ)

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٦

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ .

وذلك بتحريض من خصومه ، ثم وثبوا عليه ، وطعنوه طعنة أدت الى وفاته ، مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات ، غير أن بعض وزرائه ، تمكنوا من أخمادها (١) .

كذلك تآمر بعض أبناء سنجرشاه - أتابك الجزيرة عليه ، بسبب ما عرف عنه من سوء السيرة ، وعدم اقراره العدل بين رعاياه (٢) ، وانتهى الأمر بمقتله ، وتولية ابنه محمود الحكم (٣) .

---

(١) Archer: The Crusades. p.203

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٥ هـ

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٣ ص ١١٧

٣ ــ انحلال دول اتابكة الموصل والجزيرة وزوالها

تعرضت بلاد الموصل والجزيرة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري للغزو المغولي ، مما أدى الى ضعفها وانهيارها ، ففي الموصل اضطر صاحبها بدرالدين لؤلؤ الى اظهار ولائه لهولاكو ، وارسال الأموال اليه ،واشترك معه في بعض غزواته [١] . ولما توفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨م) خلفه ابنه الملك الصالح بعهد من هولاكو [٢] ، غيرأنه لم يلبث أن رحل عن الموصل بسبب تدخل المغول في امارته ، ولجأ الى السلطان الملك الظاهر بيبرس في مصر ، فأكرم وفادته ،وعيّن له راتبا شهريا [٣] .

ثم أعاده الى الموصل على رأس ألف فارس فدخلها قبل قدوم المغول اليها [٤] ، وأغلق أبوابها ، وكان بها جيش كبير من الأكراد والتركمان ،فوزع عليهم الرواتب الوفيرة ، وحثهم على القتال .

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١

(٢) Howorth: History of the Mongols.Vol.4.p.181

(٣) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٤٥٢

(٤) نفس المصدر جـ ٢ ص ١٥٦

ولما بلغ المغول الموصل ، نزلوا حولها وأقاموا المتاريس ، ونصبوا المجانيق ، وتأهب أهلها للقتال (١) . فاضطر هولاكو الى ارسال جيش آخر لاخضاعهم واعترض جيش المغول قوات الظاهر بيبرس التي قصدت الموصل لنجدتها عند سنجار (٢) ، ودارت بين القوات المغولية والقوات المملوكية معركة ، قتل فيها كثير من جند السلطان بيبرس ، ولم ينج منهم الا من استطاع الفرار من هذه المعركة (٣) .

أدى حصار المغول للموصل الذى استمر ستة أشهر الى اضطرار كثير من أهلها الى الرحيل الى الصحراء ، فساروا طعمة لسيوف المغول ولما اشتد بهم الكرب ، أرسل الملك الصالح ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل - الى سند ياغو - قائد المغول -

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى ، جامع التواريخ - المجلد الثانى تاريخ المغول جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٢) Howorth: History of the Mongols. Vol. 4 p. 181

(٣) قطب الدين البعلبكى ، ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ١٥٦

يطلب الأمان ويقول : " انى نادم على مافعلت ،وسأخرج اليك لاتلافى ماقات ،ولكن بشرطين ، أحدهما : ألا تأخذنى بأخطائى السالفة ، وثانيهما : أن تبعث بى الى هولاكو خان ، وتشفع لى عنده حتى لا يهدر دمى " ، فأمنه القائد المغولى ، وخرج اليه يحمل الهدايا والأموال ، ولم يسمح للصالح بالمثول امام هولاكو ، وأمر بعض الجند بقتله (١) .

دخل المغول الموصل فى رمضان سنة ٦٦٠ هـ ، ونكلوا بسكانها ، وأسروا بعض أرباب الحرف والصناعات ، بحيث لم يبق فى هذه المدينة أحد (٢) . وهكذا زالت أتابكية الموصل .

كذلك استولى المغول على سنجار أثناء حصارهم الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) وكان الملك الأشرف بن العادل الايوبى قد أخذ سنجار من أتابكها محمود بن محمد بن زنكى الثانى سنة ٦١٧ هـ (٣) (١٢٢٠ م)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ المجلد الثانى ج ١ ص ٣٢٨ .

(٢) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٩

(٣) هاجم محمود بن محمد بن زنكى قرى الموصل بتحريض من عماد الدين أحمد ابن على المشطوب الذى خرج على الملك الأيوبى الأشرف موسى بن الملك العادل ، فخرج بدر الدين لؤلؤ من الموصل ،وهاجم ابن المشطوب بتل أعفر =

وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها بدرالدين لؤلؤ — أتابك الموصل — سنة ٦٣٨ هـ (١٢٣٩م) ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨م) فخلفه ابنه علاءالدين الذى استمرفى ولايتها حتى دخلت فى حوزة المغول (١) .

وكان بدرالدين لؤلؤ قد انتزع جزيرة ابن عمر من أتابكها مسعود بن محمود سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) (٢) ، وظل يحكمها حتى وفاته ، فخلفه فى ولايتها ابنه المجاهد اسحق ، وأبقاه هولاكو حتى سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢م) حيث

= واستولى عليه ، وقبض على بن المشطوب ، وأبلغ الاشرف بذلك ، فعظمت مكانة صاحب الموصل عنده ، ولما طلب منه مساعدته على الوقوف ضد هجمات صاحب سنجار ، أجاب طلبه ، وسار بجيشه عبر الفرات الى حران فاستولى عليها ، ثم قصد سنجار ، وبينما هو فى طريقه اليها ، لقيه رسل صاحبها ، يعرض على الاشرف تسليمه سنجار ، فى مقابل تعويضه الرقة ، فأجاب الاشرف طلبه ، وفارق محمود بن محمد بن زنكى سنجار سنة ٦١٧ هـ .

(ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ) .

(١) ابوالفدا : المختصرفى تاريخ البشرج ٣ ص ٢٠٦

(٢) حدث نزاع بين مسعود بن محمود — أتابك الجزيرة وبدرالدين لؤلؤ ، فصمم على الانتقام منه ، وأرسل جيشا استولى على بلاده سنة ٦٤٨ هـ

(محمد على عونى : تاريخ الدول والامارات الكردية فى العهد الاسلامى ص ١٦٤) .

انتزعها منه (١) .

ولم تكن اربل أحسن حالا من دول أتابكة الموصل والجزيرة ، فقد تعرضت لغزو المغول / وأوصى صاحبها مظفر الدين كوكبورى ، بأن تؤول اربل من بعده الى الخليفة العباسى ، اذ لم يكن له وارث يرثه / فى الحكم ، فلما توفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) (٢) أرسل الخليفة المستنصر بالله / العباسى ، الشريف تاج الدين بن صلايا الى اربل ، فدخلها بعد أن قاومه أهلها مقاومة عنيفة ، وظل أهلها غير راضين عن حكم العباسيين لهم (٣) حتى هددها المغول بغاراتهم سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) ، ثم انسحبوا مقابل جزية كبيرة .

ولما اعتزم هولاكو الاستيلاء على بغداد ، عوّل على أخذ اربل فى نفس الوقت ، وعهد الى أحد قواده بفتحها ، وكان لهذه المدينة قلعة عظيمة مشيدة على مرتفع يجعل فتحها أمرا عسيرا (٤) ، فظلت حاميتها تقاوم قوات

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٦١

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ج ٨ ص ٦٨٠ .

(٤) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١

المغـــول حتى عجز القائد المغولى عن المضى فى القتال ، وأرسل الى بدر الدين ـ صاحب الموصل ـ يطلب مساعدته (١) ، فأشار عليه بدرالدين لـؤلـؤ بأن يرجئ الاستيلاء على القلعة حتى الصيف ، حيث يلجأ الأكراد الـــى الجبال هربا من حرارة الجو ، ثم عهد القائد المغولى الى بدرالديـــن لؤلـؤ بمهمة الاستيلاء على القلعة (٢) ، فهدم أسوارها . وبذلك سقطـــت القلعة فى أيدى المغول (٣) .

كذلك هاجم المغول ماردين سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩م) ، فاعتصـــم الملك السعيد بقلعتها ، ودافع جند الأكراد والتركمان عنها دفاعا مجيـــدا واستمرت الحرب على أشدها أكثر من ثمانية أشهر ـ ولما تعذر على المغـــول الاستيلاء على القلعة أغاروا على مدن ماردين القريبة منها (٤) .

---

(١) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ٩١

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ ـ المجلـــد الثانى جـ ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٣) Howorth: History of the Mongols.Vol.4.pp.133-134.

(٤) Ibid : Vol.4.P.161.

أرسل مظفرالدين - بعد أن خلف أباه فى امارة ماردين - الى القائد المغولى يطلب منه وقف القتال على أن يسلم اليه قلعتها ، فأجاب طلبه ، وعقد بينهما الصلح ، ثم عفا عنه هولاكو وظل مظفرالدين وأبناؤه موالين للمغول (١) . ومن ثم أخذت أتابكية ماردين فى الضعف والانحلال .

كذلك استولى المغول على ميافارقين سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٨ م) وكان صلاح الدين يوسف ابن ايوب يطمع فى امتلاكها (٢) . فى عهد ولاية أميرها حسام الدين ابن قطب الدين ايلغازى ، غير أن وزيرها تصدى للدفاع عنها ، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على محاصرتها ، ثم أرسل الى أميرها والى والدته الخاتون يرغبهما فى الصلح فاستجابا لدعوته (٣) . وبذلك تيسر لصلاح الدين الأيوبى مد نفوذه الى ميافارقين (٤) . وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها المغول (٥) .

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى ، جامع التواريخ المجلد الثانى جـ١ ص٣٢٥

(٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٣) محمد ابن شاهنشاه مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٢١٨ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٥) محمد ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ٢١٨ - ٢١٩

أما أتابكية خرتبرت فلم تتعرض للغزو المغولى ، فقد استولى عليها علاء الدين كيقباد — سلطان دولة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى — ذلك أن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب ، سار قاصدا دولة سلاجقة الروم ، فاشتبك معه سلطانها علاء الدين كيقباد فى معركة انتهت بهزيمة الملك الكامل ، واستولى الملك علاء الدين كيقباد على خرتبرت وماتبعها من القلاع سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) لتأمين حدود دولته من مطامع بنى أيوب . ثم آمن سلطان سلاجقة الروم نور الدين أرتقشاه آخر أتابكة خرتبرت . (١) وبذلك انتهى حكم بنى أرتق فى خرتبرت .

---

(١) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان جـ١٨ ورقة ١٥٨ .

الباب الثاني

موقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكام البلاد الاسلامية المجاورة

١ ـ الخلفاء العباسيون فى بغ[illegible] .

٢ ـ السلاجقة .

٣ ـ أتابكة المشرق الاسلامي .

٤ ـ الايوبيون .

الباب الثاني

موقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكام البلاد الاسلامية المجاورة

١ - الخلفاء العباسيون في بغداد

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الولاء والطاعة للخلفاء العباسيين في بغداد ، على الرغم من حدوث بعض الخلافات بينهم ، فظل عماد الدين زنكي بن آقسنقر على ولائه للخليفة المسترشد - الذي أشار على السلطان السلجوقي محمود بتعيينه أتابكا على الموصل - (١) فترة من الوقت ، غير أن زنكي مالبث أن أعرض عن الخليفة حين رفض تسليمه دبيس بن صدقه - صاحب الحله - (٢) ، وزادت العلاقات سوءا بينهما حين توفي السلطان

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٧٩

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ٣٣

(٢) كان دبيس بن صدقه قد هاجم البصره سنة (٥٢٣هـ - ١١٢٨م) ونهبها ، فسير اليه السلطان السلجوقي محمود جندا للقبض عليه ، ففارق دبيس البصرة الى بلاد الشام حيث قبض عليه تاج الملوك بوري ابن طغتكين - صاحب دمشق - ولما بلغ عماد الدين زنكي ذلك ، أرسل الى تاج الملوك يعرض عليه اطلاق سراح ابنه بهاء الدين سونج =

محمود سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠م)[1] وطلب السلطان السلجوقى من الخليفة العباسى اقامة الخطبة له فى بغداد ، فرفض الخليفة وقال : ان الحكم فى الخطبة للسلطان سنجر ، من أراد خطب له . فعزم السلطان مسعود على دخول بغداد ، وتولى السلطنة ، وطلب من عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - الوقوف الى جانبه حتى يتيسر له تحقيق غرضه ، فسارع الى نصرته .[2]

لما بلغ الأمير ابراهيم بن سقمان بن أرتق - صاحب حصن كيفا - أن عماد الدين زنكى سار الى بغداد على رأس جيش كبير ، أنكر ذلك ، وزحف اليها نجدة للخليفة[3] ، وانضم اليه فى الحرب التى دارت بينه وبين السلطان السلجوقى

= فى مقابل تسليمه دبيس بن صدقه ، فاستجاب صاحب دمشق لطلب زنكى ، وسلمه دبيس ، وأطلق سراح سونج .

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٥

Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades.p.201

(١) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٩

العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٥ - ٤٧

Lane Poole: Saladin.p.52

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١م)

Setton: A History of the Crusades. Vol.I p.456

وطيفه أتابك الموصل[١] ، وانتهت باحرازه النصر على أعدائـــــه (٥٢٦ هـ) (١١٣١ م) وأسر الكثير منهم[٢] ، وفر عماد الدين زنكي الى تكريت[٣] ، حيث يسّر له — دزدارها[٤] — نجم الدين أيوب عبور نهر دجله الى الموصل[٥] ، وقد تم ذلك في عهد السلطان مسعود ، فكف عن القتال[٦] .

لم يقف انعداء بين أتابك الموصل والخليفة العباسي عند هذا الحـد بل أشتبكا في قتال آخر[٧] ، ذلك أن السلطان سنجر — صاحب خراســان — سار على رأس جيش كبير — وبصحبته الملك طغرل بن السلطان محمـــد —

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٢

(٣) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٤) دزداريه : كلمة فارسية مكونه من لفظين دز ويقال دز — أي قلعه ، ودار الحافظ أو الممسك فكان معناها صاحب القلعة أو متوليها .
(ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨)

(٥) قدر عماد الدين زنكي هذا الموقف لنجم الدين أيوب وأدخله من أسرته منذ ذلك الوقت في خدمتـه .

(ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨)

(٦) أبن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٤٤

(٧) ابن العديم : زبدة حلب في تاريخ الحلب ج ٢ ص ٢٥١
Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.194

الى بغداد ، ليوليه السلطنة (١) ، فأثار ذلك غضب الخليفة المسترشد ، وعقد الصلح مع السلطان مسعود ، وعهد اليه بالسلطنة ، ثم صحبه الى خارج بغداد لمنع السلطان سنجر من دخولها (٢) ، فأرسل سنجر الى عماد الدين زنكى يأمره بالمسير الى بغداد ، ومعه دبيس بن صدقه — صاحب الحله — ليكونا عونا له على الخليفة المسترشد (٣) ، واشتبك سنجر وصاحب الموصل فى معركة مع الخليفة المسترشد ، دارت فيها الدائرة على السلطان السلجوقى وحليفه فى رجب سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١م) (٤) . وقد وصف بعض أصحاب زنكى المعركة وصفا يتجلى فيه ماكان يتمتع به الخليفة من هيبة فى نفوس أهل الموصل بقولهم :

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٩ـ٥٠

العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٦

أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١

Grousset: Histoire des Croisades Vol.2 p.55

" اشتد القتال ، وظهرنا على عسكر الخليفة ، ولم يبق غير أن ينهزموا ، فرأينا خيمة سوداء قد نصبت عند المعركة ، وخرج المسترشد بالله منها راكبا بسواده وبيده سيف مسلول ، فكلهم قالوا لما رأيناه : لحقنا دهشة ورعدة حتى كاد السلاح يسقط من أيدينا ، فكانت الهزيمة علينا ، ولن نطق الثبات ، فانهزمنا ، ونحن لا نعقل " (١) .

استقر رأى الخليفة المسترشد — بعد ماشاهده من عداء عماد الدين زنكى له — على مهاجمة بلاده (٢) ، فسار قاصدا الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣١ م) على رأس ثلاثين ألف مقاتل (٣) ، منتهزا فرصة وقوع الخلاف بين الأمراء السلاجقة (٤) ولما اقترب منها انصرف زنكى فى بعض عسكره ، وترك أمر الدفاع عنها لنائبه ، فحاصرها

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٦

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٣

(٢) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ، ورقة ٤١

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٢

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١

Setton: A History of the Crusades. Vol.I p.432

الخليفة ، وأخذ يضيق عليها الحصار[١] حتى اضطرعماد الدين زنكى الى طلب وقف القتال ، لكن الخليفة أبى أجابة طلبه[٢] .

استمر حصار الخليفة للموصل ثلاثة أشهر متوالية[٣] ، كان زنكى خلالها يرابط فى سنجار ، ويعمل على قطع الميرة عن جند الخليفة[٤] ، ولما لم يظفر الخليفة بشيء أثناء ذلك الحصار ، وبلغه أن السلطان مسعود هاجم بغداد[٥] ، اضطر الى رفع الحصار عن الموصل ، وعاد الى حاضرة دولته[٦] .

رأى عماد الدين زنكى أن يعدل عن موقفه العدائى من الخليفة العباسى ويعمل على تحسين علاقته به ، رغبة فى اكتساب رضاه ، فبعث بابنه سيف الدين غازى الى الخليفة العباسى فى بغداد للسعى فى احلال الصفاء بينه وبين

---

(١) تاريخ العظيمى ص ٤١١

(٢) Setton: A History of the Crusades. Vol.I. p.432

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٧ هـ

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٤٧ ــ ٤٨

(٥) Archer: The Crusades. p. 201

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٣

أبيه ، فأستقبله الخليفة ومعه قاضى القضاه فى موكب عظيم . ولما دخل سيف الدين غازى بن زنكى قصر الخلافة قبّل الأرض ، وطلب من الخليفة العفو والصفح بقوله : " أنا وأبى عبيد هذه الدولة ، ومازالت العبيد تجنى والموالى تصفح ، ونحن بحكم الخدمة فى أى شىء " (١) فأعلن عفوه عن زنكى ، وساد الوئام بينهما ، بل ان زنكى أظهر ولاءه للمسترشد ، وليس أدل على ذلك من أنه طمع فى ضم دمشق الى حوزته بعد مقتل أتابكها تاج الملوك بورى بن طغتكين - أرسل أهل هذه المدينة الى الخليفة أموالا ، وطلبوا منه أن يعمل على صد زنكى عنهم ، فبعث اليه يأمره برفع الحصار عن دمشق ، فاستجاب له ، وسار الى العراق (٢) . ولما طلب الخليفة من زنكى مساعدته فى محاربة السلطان مسعود سنة ٥٢٩هـ (١١٣٤م) (٣) ، قدم اليه وأنجده (٤) .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ١ ص٤٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى دولة بنى أيوب جـ١ ص ٥٣

(٣) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades p.235

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ١٠ ص٤٣

استمرت العلاقات الودية سائدة بين عماد الدين زنكي والخليفة الراشد ، فوقف الى جانبه في النزاع الذي دار بينه وبين السلطان مسعود الذي حرض شحنة بغداد على مهاجمة دار الخلافة (١) ، فأمر الخليفة بحذف اسم السلطان مسعود من الخطبة ، وأرسل الى زنكي يطلب منه معاونته ، ويطمعه في الملك (٢) ، فانضم زنكي الى جانب الراشد ضد مسعود ، على حين انحاز بعض أمراء البلاد المجاورة الى السلطان السلجوقي (٣) ، وخرج الخليفة الراشد من بغداد في صحبة زنكي لمحاربة السلطان مسعود (٤) .

سار السلطان مسعود الى العراق على رأس جيش كبير ، ولم يستطع الأمراء في بغداد قتاله لما كان بينهم من خلاف وشقاق ، فحاصرهم السلطان مسعود أكثر من خمسين يوما (٥) ، ثم دخل بغداد ، واضطر الراشد

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ٢٥٨

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٥٥

(٤) أبو شامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ٨٠

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٥٥

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٥

بالله الى الرحيل الى الموصل ملتجأ الى أتابكها عماد الدين زنكى (١)، ومعه وزيره ابن صدقه ، وجماعة من أصحابه ، وأعوانه ، فأكرم زنكى وفادة الخليفة فى الموصل (٢)، بينما استقر السلطان مسعود ببغداد (٣).

شرع السلطان مسعود بعد دخوله بغداد فى حذف اسم الخليفة من الخطابة تمهيدا لخلعه ومبايعة غيره ، فلقى عمله موافقة من الأمراء وكبار رجال الدولة (٤). ثم أحضر السلطان القضاة والفقهاء والشهود وأثبتوا محضرا تضمن اتهام الخليفة بالظلم ، وأخذ الأموال ، وسفك الدماء (٥)، كما عرض السلطان عليهم اليمين الذى حلف به الراشد له ، وفيها بخط يده :

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٦

ابوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ص ٨٠

(٢) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٨١

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٣

أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ

(٥) الخزرجى : أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس ورقة ١٥٩

" أننى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان مسعود بالسيف ، فقد خلعت نفسى من الأمر " . فأفتوا بخلعه وصارت الخطبة لا تقام باسمه فى بغداد وسائر البلاد (١) .

استقر رأى السلطان مسعود على تولية أبى عبد الله بن المستظهر بالله الخلافة ، ولقّبه المقتفى لأمر الله (٢) ، فأرسل الخليفة الجديد رسولا الى زنكى فى الموصل ، يحملُ اليه الكتاب الذى تضمن خلع الراشد ، وفيه شهادة الشهود والقضاة ، وقرأه عليه فبايعه ، وأقام الخطبة له فى الموصل (٣) .

كما كتب السلطان مسعود الى زنكى يطلب منه تسليم الراشد اليه ، وارساله الى بغداد ، فامتنع عن اجابة طلبه (٤) ، ولم يلبث الخليفة المخلوع أن رحل عن الموصل الى أذربيجان (٥) ، ومنها الى همذان ، ثم قصد اصفهان (٦)

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٥٤

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢

(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٦٧ .
Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p.195

(٤) الخزرجى : أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس ورقة ١٥٩
(٥) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٠

حيث هجم عليه بعض الاسماعيليه وقتلوه سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧م) (١) .

ساءت العلاقات بين الخليفة العباسى المقتفى وبين قطب الدين مودود — اتابك الموصل — فى سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦م) (٢) ذلك أن الدولة السلجوقية اضطربت بموت السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢م) ، وكثر النزاع بين حكامها مما أتاح الفرصة للخليفة المقتفى لينفرد بأمر العراق (٣) وطرد نواب آل سلجوق ، فقصد محمد شاه بن محمود بغداد طالبا من الخليفة أن يخطب له بالسلطنة ، ولما امتنع الخليفة عن اجابة طلبه ، سار السلطان السلجوقى الى بغداد ، وانضم اليه قطب الدين مودود — أتابك الموصل — (٤) أما سليمان شاه ، فانه دخل فى خدمة

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٠

Setton: A History of the Crusades Vol.I p.458

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٣١

(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٤٧

أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٢٢

(٤) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ص ٣٨٣

الخليفة ، وسأله أن يخطب له ، ويمده بجند يمكنه من السير الى بلاد ابن أخيه الملك محمد بن السلطان محمود فلبى طلبه (١) . وسار سليمان شاه الى بغداد فى سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦م) (٢) ، وحلف للخليفة المقتفى يمين الولاء والطاعة ، وأمر الخليفة باقامة الخطبة له فى بغداد ، ولقّبه شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين (٣) ، ثم سار الى بلاد الجبل للاستيلاء على أملاك الملك محمد (٤) ، وخرج الخليفة الى حلوان لمساعدته .

التقى الملك محمد مع سليمان شاه على مقربة من همذان ، حيث وقع اشتباك بينهما انهزم فيه سليمان شاه ، فأرسل الملك محمد الى صاحب الموصل يطلب منه اعتراض خصمه وهو فى طريقه الى بغداد ، فأرسل قطب الدين مودود - أتابك الموصل - نائبه زين الدين على كجك للقبض عليه ، فهاجمه فى شهرزور وعاد به الى الموصل (٥) ، حيث قبض عليه ، على

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥١ هـ
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ١ص ١٣٢

(٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم جـ١٠ص ١٤٧
أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ١ص ٢٢٢

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ٣ ص ٣٠

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥١ هـ

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٧
الحسينى : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٤٢

الرغم من أن الخطبة كانت تقام له في بغداد (١) .

لم ينته العداء بين الخليفة العباسي المقتفي وقطب الدين مودود عند هذا الحد ، بل توترت العلاقات بينهما في سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ، حين سار الملك محمد بن السلطان محمود الى بغداد وحاصرها (٢) ، وبعث الى صاحب الموصل يطلب منه النجدة ، فأجاب طلبه ، وأرسل جيشا كبيرا الى بغداد بقيادة زين الدين على كجك . على أن الخليفة مالبث أن استمال زين الدين الى جانبه ، فكف عن القتال ، وعاد الى الموصل (٣) ، فأدى ذلك الى اضعاف شأن الملك السلجوقي الذى عاد الى همذان دون أن يحقق غرضه من محاربة الخليفة (٤) .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٠٨

(٢) الحسينى : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٣٤

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ ١ ص ١٣٢

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ١٦٩

ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٤

تحسنت العلاقة بعد ذلك بين زين الدين على كجك والخلافة العباسية ، ففى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) سار زين الدين — نائب أتابك الموصل — الى بغداد ، وطلب من الخليفة المستنجد العفو والصفح ، فعفا عنه ، وخلع عليه ، ومنحه بعض الهدايا (١) .

على أن العلاقات بين الخلافة العباسية ودول أتابكة الموصل والجزيرة مالبثت أن تطورت منذ ذلك الوقت ، فعمل الخلفاء على حماية هذه الدول من أطماع بنى أيوب ، فلما اعتزم صلاح الدين الأيوبى المسير الى الموصل سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م) ، أرسل الخليفة الناصر رسولا للصلح بينه وبين أتابكها عزالدين مسعود (٢) ، وكذلك كانت الحال حين حاصر العادل بن أيوب سنجار سنة ٦٠٦ هـ ، أنفذ الخليفة العباسى الناصر رسولا اليه يطلب منه الكف عن محاصرتها ومصالحة أتابكها (٣) .

ولما هاجم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ، اربل ، استنجد

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٥ ، ١١٩ .

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص٨٠

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى جـ ٨ ص ٥٤١ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٦ ص .

صاحبها مظفرالدين كوكبورى بالخليفة العباسى • بل سار الى بغداد ليعلن ولاءه له ، وأعطاه مفاتيح اربل وقلاعها فى موكب حضره أرباب الدولة كما قدم اليه التحف والهدايا ، فخلع عليه الخليفة خلع السلطنة ثم عاد صاحب اربل الى أتابكيته ، وقطع الخطبة لبنى أيوب ، وصارت تقام باسم الخليفة وحده (١) •

على أن بعض الخلفاء العباسيين انتهزوا فرصة ضعف دول الأتابكة وعملوا على ضم أجزاء من بلادهم الى حوزتهم • فلما قبض عزالدين مسعود — أتابك الموصل — على وزيره مجاهدالدين قيماز ، وعجز عن ضبط أمور دولته أرسل الخليفة الناصرلدين الله جيشا استولى على دقوقا (٢) ، كما أن الخليفة المستنصر أرسل جيشا استولى على اربل بعد أن توفى صاحبها مظفرالدين كوكبورى سنة ٦٣٠ هـ دون أن يكون له وريث • وكان قد طمع فيها بنو أيوب (٣) •

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٦٨

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ

(٣) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦١

٢ ــ السلاجقـــة :

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الولاء والطاعة لسلاطين السلاجقة في فارس والعراق ،فكان زنكي أتابكا لابن السلطان محمود (١) ، وحرص على أن يظهر للخليفة العباسي وأمراء البلاد المجاورة أن الولاء والطاعة للسلطان ألب أرسلان . ولما توفي السلطان محمود ، حاول زنكي تولية ألب ارسلان السلطنة سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠م) ، وأرسل الى الخليفة المسترشد ،يطلب منه أن يقيم الخطبة لألب أرسلان في بغداد (٢) ،فرفض المسترشد وقال : انه صبي ، وأن السلطان عهد بالسلطنة الى ابنه داود بن محمود (٣) .

على أن ألب أرسلان لم يقبل بقاءه في الموصل مسلوب السلطة بل حاول استعادة نفوذه فيها ، منتهزا فرصة غياب زنكي عنها

(١) البنداري : تاريخ دولة سلجوق ص ١٨٧
ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ٧١
(٢) أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين جـ ١ ص ١٠٤
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ١ ص ٤٦ .

سنة ٥٣٩ هـ(١١٤٤م) ودبر مؤامرة تخلص بها من نائب زنكى فى الموصل ظنا منه أن ذلك يمكنه من تحقيق غايته ، ولكن أعوان زنكى فى الموصل أحبطوا محاولته . ولما قتل عماد الدين زنكى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) نادى جند الموصل بألب أرسلان سلطانا عليهم ، وسار على رأسهم الى الموصل غير أن وزراء زنكى لم يمكنوه من تولية حكمها .(٢)

حرص عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — على ارضاء السلطان السلجوقى حتى يحتفظ بأتابكيته ، فلما قدم هذا السلطان الى بغداد سنة ٥٢٣ هـ (١١٢٨م)(٣) بتكليف من عمه السلطان سنجر بن ملكشاه — صاحب خراسان — ومعه الأمير دبيس بن صدقه ، ليصلح بينه وبين الخليفة المسترشد ، عفا الخليفة عنه (٤) ، وولاه الموصل ، فلما علم زنكى بذلك ، سار

---

(١) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crasades. p.288

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ١٠٨ — ١٠٩

Runciman: A History of the Crusades part 2 p.239

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٤

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج١٠ ص ١١

العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج٢ ورقة ١٧

الى بغداد ، وأرضى السلطان ببذله الأموال الكثيرة له ، فأقره السلطان (١)
على الموصل وخلع عليه (٢) .

كذلك أسهم عماد الدين زنكى فى الحروب التى دارت بين السلاجقة فلما توفى السلطان محمود ، وأقام الخليفة العباسى المسترشد الخطبة لابنه داود ، حاول مسعود الوصول الى السلطنة (٣) ، وانتزاعها لنفسه ، غير أن سلجوق شاه — عم داود — نافسه فى الحكم ، وسار فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١م) الى بغداد ، ونزل بدار السلطنة ، فاستمال السلطان مسعود عماد الدين زنكى اليه (٤) ، وطلب منه مساعدته فى تولية السلطنة (٥) ، فأجابه الى طلبه ، وسار من الموصل قاصداً بغداد ، ولما بلغ تكريت ، سار قراجه الساقى — أتابك سلجوق شاه — اليهما ، بينما أقام سلجوق شاه فى بغداد

---

(١) Archer: The Crusades. p.201

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٥ ص ٤٣٥

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ٤٣
ابو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٦

(٤) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ١٢ ورقة ٣٨
Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 p.194

(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ١٠ ص ٢٥ — ٢٦

مع نفر قليل من الجند[1] ، ودارت معركة بين زنكى وقراجه انتهت بهزيمة أتابك الموصل ، وأسر كثير من أتباعه ، وعودته الى بلاده سنة (٥٢٦ هـ — ١١٣١م)[2] . أما السلطان مسعود فدارت بينه وبين سلجوق شاه مناوشات على مقربة من بغداد ، ولما بلغه هزيمة زنكى ، فت ذلك فى عضده ، وعاد الى فارس[3] . غير أن الخليفة المسترشد استطاع أن يعقد صلحا بين السلطان مسعود وأخيه سلجوق شاه ، آلت بمقتضاه السلطنة الى مسعود ، وولاية العهد الى سلجوق شاه[4] ، على أن السلطان سنجر لم يمكن مسعود من الاستمرار فى السلطنة ، بل سار الى بغداد وأمر عماد الدين زنكى ، بالقدوم اليها ليكون عونا له

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ

(٢) Setton: A History of the Crusades. Vol.I. p.457

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص٤٨—٤٩

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص٤٣ — ٤٤

ابو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

على مسعود ، واستطاع سنجر دخول بغداد ، وعزل السلطان مسعود ، وتوليه الملك طغرل.(١)

عول مسعود على العودة الى بغداد بعد وفاة الملك طغرل سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤م) ، لكن الخليفة الراشد اعترض على توليته السلطنة،(٢) واستعان بعماد الدين زنكى — أتابك الموصل — لصده عن بغداد . غير أن السلطان السلجوقى أوقع بهما الهزيمة ، وولى السلطنة.(٣)

ساءت العلاقات مرة أخرى بين السلطان مسعود وعماد الدين زنكى ، حين خرج على السلطان السلجوقى كثير من أمراء الأقاليم ، واعتقد أن زنكى يحرض الأمراء ضده ،(٤) فعول على الانتقام منه ، بأن حشد جيشا كبيرا سار به الى الموصل سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) غير أن مسعودا لم

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٤٩ — ٥٠

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٦٦

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٤٣

يشتبك مع زنكى فى قتال ، ذلك أن الرسل تدخلوا فى الصلح[1] بينهما ، وقد تضمن هذا الصلح أن يؤدى زنكى للسلطان السلجوقى مائة ألف دينار . لكن زنكى لم يؤد غير جزء من هذا المبلغ ، ونزل له[2] السلطان عن الباقى ،لأنه رأى أن زنكى هو الشخص الوحيد الذى يستطيع درء خطر الصليبين عنها ، كما أن السلطان كان فى حاجة الى[3] مداراته بعد أن كثر خروج أمراء البلاد التابعة له عن طاعته .[4]

وكان مما حمل السلطان السلجوقى مسعود على مصالحة زنكى أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى كان نائبا عن أبيه فى خدمة السلطان مسعود ، فلما ساءت الملاقات بين زنكى والسلطان السلجوقى ،فر سيف الدين غازى هاربا الى أبيه ، غير أن زنكى

---

(١) أبوشامة : الروضتين فى اخبار الدولتين ج١ص ٩٢

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٥

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج١٠ ص ١٦٨

Setton: A History of the Crusades. Vol.I.p.460

أمر ابنه بالعودة الى السلطان ، فكان لمطلبه هذا أثر بالغ في نفس مسعود [1] ، ومن ثم علت منزلة زنكي عنده [2] .

سار قطب الدين مودود بن زنكي — أتابك الموصل — على سياسة أبيه في الاشتراك في الحروب التي دارت مع السلاجقة ، فلما سار السلطان محمد الى بغداد سنة ٥٥١ (١١٥٦م) [3] لارغام الخليفة المقتفي لأمر الله على اقامة الخطبة له ، وقف قطب الدين مودود الى جانبه [4] ، ودارت الحرب بين السلطان السلجوقي واتابك الموصل من ناحية ، والخليفة المقتفي من ناحية أخرى انتهت بانتصار الخليفة على أعدائه ، وارغامهم على الرحيل عن بغداد [5] .

---

(١) البنداري : تاريخ دولة سلجوق ص ١٨٩

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥١ هـ

(٣) البنداري : تاريخ دولة سلجوق ص ١٨٩

(٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر في دولة الاتابكية ص ١٠٩

(٥) المصدر السابق ص ١٠٨

كذلك انضم قطب الدين مودود — أتابك الموصل — الى السلطان محمد في نزاعه مع سليمان شاه الذى أغار هو وعسكره على أعمال الموصل ، فأرسل اليه واليها زين الدين على كجك يطلب منه الكف عن مهاجمة بلاده ، فلم يستجب له وأعد جيشا خرج به من الموصل واشتبك مع السلطان السلجوقي في معركة حلت فيها الهزيمة بالسلطان الذى قبض عليه ، وسجن بالموصل (١) .

ظل سليمان شاه في سجنه حتى سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) (٢) حيث قدمت رسل كبار الأمراء من بلاد الجبل الى الأتابك قطب الدين مودود يطلبون منه انفاذ الملك سليمان شاه بن محمد ليولوه السلطنة على أن يكون قطب الدين مودود مدبرا لأمور دولته ، فاستحسن قطب الدين مودود هذه الفكرة ، وأرسل سليمان شاه من الموصل الى همذان وسار بصحبته زين الدين على كجك في عسكر الموصل ، فلما اقتربوا

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٨

ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ١٠ ص ١٠٥

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٤ — ١١٥

ابن الجوزى : المنتظم في أخبار الملوك والأمم جـ١٠ ص ١٩٢

من بلاد الجبل ، انحازت العساكر الى سليمان شاه ، وزاد بذلك عدد جنده ، فخشى زين الدين على نفسه ، وعاد دون أن يحقق غرضه (١) .

كذلك كانت علاقة قطب الدين مودود — صاحب الموصل — بأرسلان شاه بن طغرل بن محمد يسودها الود ، فلما ولى السلطنة أرسل الى قطب الدين مودود رسولا يلتمس منه اقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على السكة ، وانفاذ ماكانوا يرسلونه الى السلاطين السلاجقة فأجاب بالسمع والطاعة ، وأقام له الخطبة فى الموصل والجزيرة وسائر بلاد دياربكر . واستمرت العلاقات الودية قائمة بينهما حتى وفاته (٢) . ولما ولى السلطان ركن الدين طغرل توثقت العلاقة بين قطب الدين مودود وبينه ، وأقام له الخطبة فى سائر بلاده (٣) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ هـ
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٤ — ١١٥
(٣) الحسينى : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٦٤

٣ ـ أتابكة المشرق الاسلامي :

لما استقر عماد الدين زنكي في الموصل ، اعتزم ضم شمال العراق الى دولته ، فزحف بجيشه الى جزيرة ابن عمر ، وعرض على مماليك البرسقي ـ وكانوا يسيطرون على هذه الجزيرة ـ أموالا في مقابل تسليم البلدة (١) ، لكنهم رفضوا ، فقاتلهم قتالا شديدا دارت فيه الدائرة عليهم ، فطلبوا منه أن يؤمنهم ، ويسلموا له المدينة (٢) ، فأجابهم الى ذلك ، ودخل الجزيرة سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) وضمها الى حوزته (٣) .

واصل عماد الدين زنكي ـ بعد ضبطه أمور الجزيرة سياسته التي تنطوي على توسيع رقعة أتابكيته ، فزحف بجيشه الى نصيبين ـ وكان يحكمها حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق ـ صاحب ماردين ـ

---

(١) Lane-Poole: Saladin. p.48

(٢) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٧

(٣) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية ص ٦٢

العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الاول ج ١٢ ورقة ٣

فلما بلغ هذا صاحب الموصل ، سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود - صاحب حصن كيفا - وطلب منه مساعدته في صد زنكي عن نصيبين ، فاستجاب له ، وأعد جيشا لهذا الغرض لكن زنكي لجأ الى الحيلة والخديعة (٢) ، حتى تمكن من الاستيلاء على نصيبين (١) .

ولما استولى عماد الدين زنكي على هذه المدينة ، سار الى سنجار فقاومه أهلها ، غير أنه تغلب عليهم ، وتيسر له بذلك ضمها الى حوزته ، ثم أرسل فرسانا الى الخابور ، فاستولوا عليه ، وقصد زنكي بعد ذلك حران فلما اقترب منها خرج أهلها اليه معلنين له الولاء والطاعة (٣) .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٢ هـ

(٢) Lane Poole: Saladin. p.49

(٣) يذكر ابن الاثير أن أهل حران قاسوا كثيرا من هجمات الفرنج فلما سمعوا بفتوحات زنكي في الجزيرة ، قويت نفوسهم ، وعلموا أنهم قد أتاهم نصر من الله وفتح قريب فراسلوه بالطاعة ، واستحثوه على الوصول اليهم ، فسار نحوهم . (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٣٧) .

أصبح عمادالدين زنكي يشكل خطرا على مصالح بنى أرتـــق في الجزيرة وديار بكر بعد أن آستولى على بعض بلادهم ، ففـــى سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩م) اجتمع ركن الدولة داود ــ صاحب حصن كيفا ــ وحسام الدين تمرتاش بن ايلغازى ــ صاحب ماردين ــ (١) وانضم اليهما صاحب آمد ، وعدد كبير من الأمراء ، وجهزوا جيشا كبيرا من التركمان وعولوا على التخلص من عماد الدين زنكي (٢) ، فساروا اليه ، والتقى بهم زنكي عند مدينة دارا ــ (٣) وهى تابعة لبنى أرتق ــ ودارت معركـــة بين الفريقين انتهت بهزيمة بنى آرتق (٤) ، وقد ضمن هذا النصـــر لزنكي سيادته على شمال العراق واطـــراف آسيا الصغرى (٥) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى دولة بنى أيـوب جـ ١ ص ٣٥ ــ ٣٦

(٣) أبوشامـة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٨

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٧١

(٥) Stevenson: The Crusaders in the East.p.129

واصل زنكي زحفه على البلاد المجاورة لدولته ، فاستولى على سرجة (١) ودارا (٢) ، كما أنه عمل على تعقب بني أرتق حين ساروا الى جزيرة ابن عمر وعاثوا فيها فساداً (٣) واضطرهم الى الرحيل عنها (٤) .

ولما تحسنت العلاقات بين حسام الدين تمرتاش بن أرتق — صاحب ماردين — وعماد الدين زنكي ، انضم اليه في حصاره لآمد (٥) ، فاستنجد صاحبها سعد الدولة أبومنصور ، بالأمير ركن الدين داود — صاحب حصن كيفا — فأعد جيشا توجه به الى آمد لصد المغيرين عنهما ، ودار قتال بين الفريقين على أبواب المدينة ، حلت فيه الهزيمة بركن الدين ، وقتل عدد

---

(١) حصن بين نصيبين ودنيسر ودارا

(ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٢٤

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١

Setton: A History of the Crusades. Vol.I.p.459

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٥٦

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج١ ص ٣٦ — ٣٧
Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.457

(٥) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج١٢ ورقة ٥٦

كبير من جنده (١) • وظل عماد الدين زنكى وحسام الدين تمرتاش يحاصران آمد سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣م) دون أن يتمكنا من الاستيلاء عليها (٢) •

كان عماد الدين زنكى يطمع فى الاستيلاء على بعض قلاع ديار بكر (٣) حتى يتيسر له ضم هذا الاقليم الى حوزته ، فقصد قلعة الصور ، وظل يحاصرها حتى استولى عليها سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣م) (٤) ثم حاصر قلعتى القصر وشوش وضمها الى أتابكيته (٥) • ثم واصل زنكى زحفه وتقدمه فى ديار بكر فهاجم قلاع الهكارية ، وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن عجز أميرها

---

(١) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. p.227

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥

(٣) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ١ ص ٧٩

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ٨ ص١٨٩

(٥) كان زنكى ينقم على صاحبها الأمير عيسى الحميدى لأنه أمد الخليفة المسترشد أثناء حصاره الموصل بعدد كبير من جند التركمان •

(ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ٥٤ ـ ٥٥)

Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades.p.264

أبو الهيجاء بن عبدالله عن مقاومة قواته (١) .

لم يكتف عماد الدين زنكي بما استولى عليه من بلاد وقلاع بل عوّل في سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩م) على المسير الى شهرزور (٢) فتصدى له حاكمها — قفجاق بن أرسلان شاه التركماني (٣) — الذي التف حوله التركمان ، وكثر جنده ، وحدثت مناوشات بين الفريقين انتهت بهزيمة التركماني ، واستيلاء عماد الدين زنكي على شهرزور وأعمالها (٤) .

على أن الأمور لم تستقر لعماد الدين زنكي في بلاد الهكارية ، فعاث الأكراد فيها فسادا سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢م) لكن نصيرالدين جقر — نائب زنكي — استولى على بعض بلادهم ، وحاصر قلعة الشعباني — وهي من أعظم

---

(١) كذلك تمكن نصيرالدين جقر — نائب عماد الدين زنكي — من الاستيلاء على جبل لهيجه وتوش وقلعة الجلاب ، كما استولى على جميع حصون الأكراد الهذبانيه . وترتب على ذلك استتباب الأمن والنظام في هذه البلاد ، بعد أن كان الأكراد يلحقون الضر والأذى بأهلها .
(ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ)

(٢) كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان .

(ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٣ ص٢٦)

(٣) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر ج٣ ص١٦

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

قلاعهم — فضمها الى حوزته ، ثم أزالها ، وأمر بيناء قلعة جديدة عوضا عنها سماها قلعة العمادية ، نسبة الى عماد الدين زنكى (١) ، وكانت حصنا عظيما يندر وجوده فى حصون الجبال (٢) . كذلك عول زنكى فى هذه السنة على مد نفوذه الى آمد ، وكان يلى حكمها ركن الدولة داود — صاحب حصن كيفا — فأرسل الى صاحبها يطلب منه الدخول فى طاعته ، واقامة الخطبة له ، وهدده بالسير الى آمد ، وأخذها منه عنوة ، اذا لم يستجب له ، غير أن صاحب آمد لم يوافق على تسليمها لزنكى (٣) .

لم يكف زنكى عن مهاجمة ديار بكر ، والتوسع فى أراضيها ، ففى سنة ٥٣٨هـ (١١٤٣م) استولى على عدة بلاد وبعض الحصون المجاورة لها (٤) ، ثم رتب

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ٨٤

(٢) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٨٠

Lane-Poole : Saladin. p.55

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٤

(٤) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ٣ ص ٧

أمورها (٢) ، وحاصر مدينتي عانه والحديثه (١) — على نهر الفرات — وامتلكهما

كانت سياسة زنكي تنطوى على الاستيلاء على جميع القلاع التي تتوسط بلاده حتى يكون آمنا في ملكه ، فسار سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦م) الى قلعة جعبر (٣) بغية الاستيلاء عليها (٤) ، كما سير جيشا الى قلعة فنك (٥) .

ولما طال حصار زنكي لقلعة جعبر ، دون أن يتمكن من فتحها ، أرسل الى صاحبها رسولا يدعوه الى تسليمها ، ويعرض عليه عوضا عنها لكنه رفض تسليمها (٦) .

---

(١) Settons A History of the Crusades.Vol.I.p. 460

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٥

(٣) كانت قلعة جعبر ملكا للسلطان ملكشاه ، فسلمها الى الأمير سالم بن مالك العقيلي ، فلم تزل بيده وبيد أولاده حتى سنة ٥٤١ هـ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج٢ ص ٢٨١

(٥) حصن مجاور لجزيرة ابن عمر من أمنع الحصون ، ومطل على دجله ، يمتلكه جماعة من الأكراد . (أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٥) .

(٦) Runciman: A History of the Crusades Vol.2.p.241

لم يتيسر لزنكى الاستيلاء على قلعة جعبر (١) ، فقد اغتاله بعض مماليكه كما أن القوات المحاصرة لهذه القلعة ، وقلعة فنك رفعت الحصار وعادت أدراجها (٢) .

واصل سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى سياسة أبيه فى المحافظة على البلاد التى ضمها الى دولته ، فلما توفى زنكى استرد حسام الدين تمرتاش — صاحب ماردين — مدينة دارا (٣) ، فقصدها سيف الدين غازى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) (٤) ولم يزل يحاصرها حتى استولى عليها وعلى كثير من أعمال ماردين نفسها ، كما عاث جنده فى ديار بكر فسادا وتخريبا (٥) ، فلما رأى حسام الدين أن لا طاقة له بسيف الدين صالحه ، وزوجه

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ٩٨

(٢) العينى : عقد الجمان فى أخبار الزمان القسم الأول جـ١٢ ورقة ١٦٧

ابو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٥ ص ٢٧٩

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ١١٥

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان القسم الأول جـ٨ ص٢٠٤

(٥) Runciman: A History of the Crusades.p.241

ابنته ورحل أتابك الموصل (١) عائدا الى بلاده (٢) .

تغيرت الأوضاع السياسية فى بلاد الموصل والجزيرة بوفاة نورالدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣م) ، فلما علم سيفالدين غازى الثانى بن قطب الدين - أتابك الموصل - بذلك اعتزم استعادة البلاد التى كان عمه نورالدين قد استولى عليها فى الجزيرة ، فسار الى نصيبين ، وضمها الى حوزته ، ثم استولى على الخابور (٣) ، وسار الى حران (٤) وحاصرها عدة أيام ، وكان بها مملوك لنورالدين يسمى قيماز ، فامتنع بها ، ثم أعلن ولاءه لسيفالدين غازى على أن تكون حران له . ولما أمن جانب سيفالدين ونزل من القلعة ، قبض عليه ، وأخذ حران منه (٥) ، ثم

---

(١) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦٧ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الأول ج ٨ ص ١٠٤ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٥

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ

(٥) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٩

سار الى الرها ، وأخذ يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها وعلى بلاد الجزيرة ماعدا قلعة جعبر (١) .

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهدا فى سبيل توسيع رقعة دولهم . ففى سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧م) سار نورالدين أرسلان شاه — أتابك الموصل — الى مدينة نصيبين (٢) ، فاستولى عليها بعد أن فشل أميرها قطبالدين محمد فى صده عنها (٣) ، وهرب جنده الى ديار بكر ومنها الى حران ، حيث طلبوا من الملك العادل أبى بكر بن أيوب أن يساعدهم على استرداد نصيبين لكنه أعرض عنهم (٤) .

على أن قطبالدين مالبث أن استعاد نصيبين ، بعد أن اضطر نورالدين أرسلان شاه الى الانسحاب منها والعودة الى الموصل بعد أن تفشو المرض بين جنده (٥) .

---

(١) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٩
(٢) استاء نورالدين أرسلان شاه — أتابك الموصل — من قطبالدين محمد — أمير نصيبين — لأن نوابه بها استولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل ، وهى تجاور ولاية نصيبين .
(ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٩١)
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج٣ ص ٧٩
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٩٢ — ١٩٣
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٧

لم تقف أطماع نورالدين آرسلان شاه أتابك الموصل — عند هذا الحــد بل أغار على تل يعفــر (١) — سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣م) وكانت تابعــة وقتذاك لسنجار — واستولى عليها ، فاستنجد صاحبها قطب الدين بالملــك الأشرف بن العادل ، وسنجرشاه — أتابك الجزيرة — وبعض أمراء بنى ايوب واجتمع جندهم لمحاربة صاحب الموصل (٢) ، واشتبكوا معه فى معركة ، حلت فيها الهزيمــة بنورالدين ، وعاد الى الموصل (٣) ، وتحصن بها ، ثــم دارت مراسلات بينه وبين الملك الأشرف ، انتهت بالصلح بينهما ، ورفع الحصــــار عن الموصــل (٤) .

كذلك حاول قطب الدين ايلغــازى بن ألبى تمرتاش — صاحب ماردين — أخذ بلدة البيرة ، وكانت ملكا لابن عمــه شهاب الدين الأرتقى ، ولما توفــى

---

(١) اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل فى وسط واد فيه نهر جار (ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ٤٠٦)

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٥٦

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٠

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانــى ج ٨ ص ٥١٨

خلفه ولد صغير دخل فى طاعة صاحب الموصل ، فطمع صاحب ماردين فى أخذ البيرة سنة ٥٧٧ هـ (١) وأرسل الى عزالدين مسعود ــ أتابك الموصل ــ يطلب منه أن يأذن له فى محاصرة البيرة والاستيلاء عليها ، فأجاب طلبه ، (٢) وسار فى عسكره الى سميساط ونزل بها ، ثم أنفذ العسكر الى البيرة فحاصروها واضطر صاحبها الى الاستنجاد بصلاح الدين ، فأنفذ رسولا الى صاحب ماردين يطلب منه الامتناع عن مهاجمة البيرة ، فأبى اجابة طلبه . ثم مالبث أن رحل عنها حين رأى أن حصاره لهذه المدينة قد طال دون جدوى . (٣)

وكان مظفرالدين كوكبورى صاحب اربل يقدم على كثير من المخاطر والمغامرات فى سبيل توسيع رقعة دولته ، ففى سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥م) اتفق مع علاء الدين ــ صاحب مراغه ــ على قصد أذربيجان (٤) ، وأخذها من صاحبها

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ١١٦

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٧ هـ

(٤) نفس المصدر حوادث سنة ٦٠٢ هـ

ابى بكر بن البهلوان الذى عرف بميله الى العبث واللهو ، فسار صاحب اربل الى مراغه ، واجتمع مع صاحبها علاء الدين ، ثم زحفا الى تبريز ، فأعد صاحبها العدة لمقاومة جيوشهما الزاحفة ، وأرسل أيتغمش — مملوك ابيه — الى أتابك اربل يحثه على الكف عن القتال ، والعودة الى بلده (١) . غير أن مظفر الدين واصل زحفه الى بلاده ، ولما أيقن صاحب اربل من مسير أيتغمش اليه على رأس جيش كبير ، عول على الانسحاب على الرغم من أن حليفه علاء الدين طلب منه البقاء فى مكانه ، لكن مظفر الدين عاد الى اربل خشية من اشتباكه مع قوات أيتغمش (٢) .

كذلك حاول ناصر الدين الأرتقى — أمير ماردين — مد نفوذه الى خلاط لكنه لم يستطع لأن بلبان أحد مماليك شاه أرمن بن سكمان ، انتزع الحكم من صاحب خلاط (٣) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٢ هـ

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى جـ ٨ ص ٥٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

كانت مدينة حلب تتبع أتابكية ماردين قبل استيلاء زنكى عليهـا ، فاضطربت أحوالها بعد وفاة صاحبها رضوان بن تتش سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣م) (١) واستدعى اهلها ايلغازى بن أرتق - صاحب ماردين - سنة ٥١١ هـ (١١١٧م) وسلموا اليه المدينة ، فأناب عنه فى حكمها ابنه حسام الدين تمرتاش ، واستطاع (٢) درء خطر الفرنجة عن حلب . ولما توفى أبوه عاد حسام الدين الى ماردين (٣) وأناب عنه فى حكمها ابنه سليمان . غير أن سليمان مالبث أن ثار على (٤) أبيه بتحريض من بعض مماليكه فعزله ، وولى مكانه سليمان ابن أخيه عبد الجبار سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) ، ولقبه بدر الدولة . (٤)

لما عجز سليمان بن عبد الجبار عن درء خطر الفرنجة عن حلب ، انتزعها منه مالك بن بهرام بن أرتق سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢م) كما استولى على حران (٦)

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ١٨١ - ١٨٢
Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p.134

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

(٣) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 pp. 151-152

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠

ومنبج ، ولم يزل مالك بن بهرام مستوليا على حلب حتى قتل ، فسار اليها تمرتاش بن ايلغازي ، وملكها ، غير أن الفرنجة ظلوا مصدر خطر كبير على حلب ، فاستدعى أهلها البرسقي — صاحب الموصل — ، فلبى (٢) طلبهم وتيسر له بذلك الاستيلاء على حلب ثم خلفه فى حكمها ابنه عزالدين مسعود .

اضطربت الأمور فى حلب بعد وفاة أتابكها عزالدين مسعود بن البرسقي ، فأصبحت ميدانا للنزاع بين سليمان بن عبدالجبار لارتقى ، وابراهيم بن رضوان السلجوقى فى الوقت الذى أراد فيه (٣) بلبيون الاستفادة (٤) من تلك الأوضاع فى الاستيلاء على حلب التى كانت فى حاجة الى حاكم قوى يتولى صد الأخطار التى تهددها (٥) .

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص ٣٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٧

(٣) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١١ .

Archer: The Crusades. p.199

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٣٧ — ٢٣٨

(٥) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.453

رأى زنكى أن الفرصة قد سنحت له للاستيلاء على حلب ، وضمها الى دولته فى شمال العراق ، وكان يأمل من وراء ذلك تكوين جبهة اسلامية متحدة يتيسر لها الوقوف فى وجه الخطر الصليبى ، ذلك أن الذى يحكم حلب يستطيع قطع الصلة بين امارة الرها من ناحية والامارات الصليبية بالشام من ناحية أخرى (١) .

وبينما كانت حلب تعانى من الاضطرابات الداخلية (٢) دخلها عماد الدين زنكى حاملا تقليدا (٣) من السلطان محمود بحكمها ، فوجه اهتمامه الى اصلاح أمورها (٤) ، كما عمل على تعمير ماخربه الصليبيون فى غاراتهم عليها ، وأقطع أعمالها الأمراء والأجناد (٥) ، وأناب عنه فى حكم

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦١

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٨ — ٣٩

(٣) ابو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٥٠

(٤) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٢ .

(٥) يقول ابن الأثير : " لولا أن الله تعالى من على المسلمين بولاية عماد الدين زنكى ، لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه ، فانهم كانوا لهم من أتابك طغتكين شاغل ومانع عن بعض أغراضهم وكانوا متى حصروا حلب وغيرها ، جمع طغتكين عسكره ، وسار نحوهم ، فيرحلون فقدر الله تعالى أنه توفى سنة ٥٢٥ هـ ، فخلت البلاد بالمرة من حام يذب عنها " .

(التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣٨)

حلب الرئيس صفى الدين أبا الحسن على بن عبد الرازق العجلانى فأحسن معاملة أهلها (١) .

اتبع زنكى بعد استيلائه على حلب سياسة تنطوى على ضم الامارات الاسلامية فى بلاد الشام الى حوزته ، فسار الى حماه سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) — وكان أتابك دمشق وقتذاك قد ولى عليها ولده سونج بن بورى (٢) — وأدعى

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص ٣٤

(٢) كانت البلاد الاسلامية فى الشام مقسمة بين ثلاث قوى ، الأولى يحكمها بورى بن طغتكين — أتابك دمشق — ويسيطر على دمشق وحماه فى الشمال وحوران فى الجنوب ، والثانية يحكمها صمصام الدين خيرخان بن قراجا أمير حمص ، والثالثة سلطان بن منقذ ، وهو الأمير العربى الذى يسيطر على شيزر ، ولم يستطع كل من خيرخان وسلطان بن منقذ مقاومة زنكى ، فأعلنا ولاءهما له . وبذلك لم يبق أمام زنكى سوى تاج الملوك بورى — أتابك دمشق — .

(ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨) .

أنه يريد محاربة الفرنجة (١) ، وأرسل الى تاج الملوك بورى بن طفتكين ـ أتابك دمشق ـ يستنجده ، ويطلب منه المعونة على جهادهم فأجاب (٢) طلبه ، اذ كان يخشى جانب بلدوين الثانى ـ ملك بيت المقدس ـ ولذلك أرسل جيشا الى ابنه سونج ـ صاحب حماه ـ (٤) وأمره بالمسير الى عماد الدين زنكى ، والوقوف الى جانبه فى محاربة الصليبيين (٥) ، لكن زنكى غدر بسونج حين وفد اليه ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أصحابه (٦) ونهب خيامهم وأثقالهم وأسلحتهم ، فهرب (٧) بعضهم ، واعتقل البعض الآخر فى حلب ، وبذلك تيسر له دخول حماه والاستيلاء عليها (٨) .

---

(١) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ص ٢٣٦

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ص ٢٤٥

(٣) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades.pp. 200-201

(٤) Ibid:

(٥) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨

(٦) Setton: A History of the Crusades.p.430

(٧) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ص ٣

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٤٦

أسند زنكى ولاية حماه لصمصام الدين خيرخان بن قراجه - صاحب حمص - بعد أن أدى له مبلغا من المال ، ثم لم يلبث أن غدر به ، فانقض عليه وحبسه بقلعة حلب ، واتجه بعد ذلك الى حمص ، فامتنع أولاد صمصام الدين بقلعتها ، ورفضوا تسليمها (١) .

استقر رأى شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك بورى - أتابك دمشق - على استرداد حماه ، فسار اليها سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢م) وشدد عليها الحصار ولم تستطع حاميتها الدفاع عنها ، كما أن أهلها طلبوا الأمان ، فأجاب أتابك دمشق طلبهم (٢) ، وانصرفت حاميتها عن الدفاع عنها ، مما مهد السبيل لأتابك دمشق الاستيلاء عليها (٣) .

هيأت الأحوال السياسية فى مدينة دمشق الفرصة لعماد الدين زنكى الاستيلاء عليها ، وتحقيق أطماعه فى اقامة دولته فى بلاد الشام ، ذلك أن اتابك دمشق شمس الملوك اسماعيل كان سىء السيرة (٤) ، فاشتدت كراهة الناس له ، ولما

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٣ هـ
العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان جـ١٢ ورقة ١٦

(٢) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades.pp. 219 - 220

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص٥٣

(٤) نفس المصدر جـ ١ ص ٥٧

خشى بأسهم ، أرسل الى عماد الدين زنكى يطلب منه القدوم الى دمشق ، والاستيلاء عليها (١) ، وألح فى ذلك ، حتى أنه أرسل اليه يقول : " ان أهملت المجىء سلمت المدينة الى الفرنج (٢) " ولما تحقق أصحاب أتابك دمشق من نواياه ، عمدوا الى التخلص منه ، وخلفه أخوه شهاب الدين محمود بن بورى (٣) .

عول عماد الدين زنكى على المسير الى دمشق سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤م) وأنفذ رسلا قبل وصوله اليها لمحاولة اقناع أهلها بالتسليم . غير أن أهلها لم يستجيبوا للصلح (٤) ، فلما بلغها زنكى أخذ فى محاصرتها ، فواجه مقاومة عنيفة تزعمها معين الدين أنر — أحد مماليك طفتكين — فاضطر

---

(١) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.457

(٢) أبوالفدا : (المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٧
Runciman: A History of the Crusades p.197

(٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٥ — ٢٤٦

(٤) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ١٢ ورقة ٣٠

زنكى الى رفع الحصار عنها ، وعقد صلحا مع أهلها ، وخاصة أن الخليفة المسترشد أمره برفع الحصار عن هذه المدينة والرحيل عنها (١) • وهكذا ظلت دمشق عقبة كبيرة فى سبيل تحقيق سياسة زنكى التى تنطوى على توحيد الجبهة الاسلامية فى بلاد الشام (٢) •

وعلى الرغم من فشل زنكى فى فتح دمشق فانه واصل سياسته فى التوسع فى بلاد الشام ، فزحف الى حمص (٣) سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦م) - وكان يحكمها معين الدين أنر نائبا عن أتابك دمشق - وحاصرها فترة من الوقت (٤) • غير أنه مالبث

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٩ هـ

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٧٥

(٣) كان يحكم حمص صمصام الدين خيرخان بن قراجا الذى قبض عليه زنكى سنة ٥٢٤ هـ ، وولى حمص بعده ابنه عين الدين ايلخان فقتله بعض مماليكه سنة ٥٢٦ هـ ، وخلفه أخوه الأمير قيرخان بن خيرخان ، وكان يدبر أمره ، أحد مماليكه واسمه خمرتاش ، الذى سلم حمص للأمير شمس الملوك اسماعيل بن بورى - أتابك دمشق - فلما قتل شمس الملوك ، وولى بعده أخوه شهاب الدين ، سلم حمص للأمير معين الدين أنر - مملوك جده طغتكين - وقد حال بين زنكى وبين الاستيلاء على حمص •

(ابن الجوزى : المنتظم فى التاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٤٣)

(ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٥٨)

(٤) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. p.242

مالبث أن رفع الحصار عنها حين علم أن الصليبيين أتوا لنجدتها (١) .

لم يكف عماد الدين زنكى عن محاولة ضم البلاد الاسلامية فى الشام الى حوزته فاستولى على حصن المجدل (٢) ودخلت بانياس فى طاعته (٣) ، ثم عاد الى محاصرة حمص ، لكنه مالبث أن رفع الحصار عنها حين هاجم الامبراطور البيزنطى حنا كومنين حلب (٤) ولما عاد الامبراطور البيزنطى الى بلده ، عاود زنكى الهجوم على حمص غير أنه توقف عن مهاجمتها بعد أن تحسنت العلاقات بينه وبين أتابك دمشق الذى وافق على ضم حمص الى حوزته ، ونزل له عن بعرين زنكى وحصنين آخرين (٥) .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨

(٢) مجدل : اسم بلد بالخابور ، الى جانبه تل عليه قصر

(ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٨٧

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٦٤

Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.261

(٥) ابوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٢

Stevenson: The Crusaders in the East.p.142

على أن زنكى ما لبث أن أتيحت له فرصة أخرى لتحقيق أطماعه فى دمشق (١) حين قتل أتابكها الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بيد غلمانه سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨م) اذ أرسلت والدته – وهى زوجة عماد الدين زنكى – تطلب منه القدوم الى دمشق ، والثأر لابنها ، فأعد زنكى العدة للزحف الى هذه المدينة سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨م) ، غير أن أهلها الذين أخلصوا لبيت بورى ، حشدوا قوات كبيرة للدفاع عن مدينتهم (٢) كما أن معين الدين أنر – نائب أتابك دمشق – أفسد على زنكى أطماعه ، فقبض على زمام الأمور فى دمشق ، ثم بعث فى طلب جمال الدين بن بورى – أمير بعلبك – ليحل محل أخيه أتابك دمشق (٣) ، فلما ولى الحكم ، فوض لمعين الدين أنر تدبير الامور فى أمارته (٥) ، فتصدى لزنكى وحال دون استيلائه على دمشق (٤) .

---

(١) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. p.254

(٢) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٦

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٢

(٥) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠

وعلى الرغم مما واجه زنكى من صعوبات فى سبيل الاستيلاء على هذه المدينة فانه لم يقلع عن سياسة التوسع فسار الى بعلبك وحاصرها (١) . غير أن أهلها استبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم ، ولما رأوا أن لا طاقة لهم بزنكى وجنده طلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، وسلموا اليه المدينة (٢) ، كما استسلمت حامية قلعتها بعد أن يئست من النصر (٣) (٤) .

لما فرغ زنكى من ضبط الأمور فى بعلبك ، عول على المسير الى دمشق محاولا فتحها للمرة الثالثة ، فأرسل قبل شروعه فى مهاجمتها الى أتابكها جمال الدين محمد بن تاج الملوك بورى يطلب منه النزول عن دمشق مقابل اعطائه حمص أو بعلبك (٥) ، لكن أتابك دمشق رفض هذا العرض ، فلم ير زنكى

---

(١) Zoe Olden Bourg: Les Croisades p.521

(٢) العينى : عقد الجمان فى أخبار الزمان القسم الأول ج١٢ ورقة ١١٤

(٣) لما استولى زنكى على بعلبك نكث بالعهد الذى منحه لأهلها ، فاعتدى على الرجال والنساء والأطفال اعتداءً ظالما ، ويقول ابن الاثير : " ان الناس استقبحوا منه ذلك ، وخافوه وحذروه ولا سيما أهل دمشق ، فانهم قالوا لو ملكنا بفعل ذلك ، فجدوا فى محاربته " .
(الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ)
Setton: A History of the Crusades. Vol.I.p.549

(٤) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٩
ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٨٦

بدا من الزحف الى هذه المدينة سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩م)[١] ، غير أن أتابكها توفى فى ذلك الوقت ، وحدث خلاف بين أفراد بيت بورى على من يتولى الحكم فى دمشق[٢] ، فاستغل زنكى ذلك الخلاف ، وشدد هجماته على المدينة[٣] ، غير أن معين الدين أنر مالبث أن قضى على هذه الخلافات ، وولى مجير الدين ابق بن جمال الدين أتابكية دمشق[٤] ثم استقر رأيه على الاستنجاد بمملكة بيت المقدس الصليبية ، فأرسل أسامه بن منقذ مبعوثا الى ملكها فولك[٥] ، فحذر من خطر زنكى اذا ما استولى على دمشق[٦] ، وكان لحديثه تأثير بالغ

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٢) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. p.259

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥ ـ ١٦

(٤) ابن الوردى : تتمة المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ص ٤٣

(٥) أسامه بن منقذ : الاعتبار ص ٨١

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٧٢

فى نفوسهم ، وخاصة بعد أن ضم الى حوزته حمص وحماه وحلب وبعلبك (١) ، ولم يبق أمامه سوى دمشق ، فأيقنوا أن امتلاكه هذه المدينة / يمكنه من تكوين جبهة اسلامية فى بلاد الشام وشمال العراق تشكل خطرا كبيرا عليهم (٢) . كذلك عرض أسامه بن منقذ رسول معين الدين أنر - نائب أتابك دمشق - على ملك بيت المقدس الاستيلاء على بانياس (٣) - وكانت وقتذاك تابعة لزنكى - فجمع الصليبيون جموعهم ، وتأهبوا للزحف الى دمشق لمعاونة معين الدين أنر فى الذود عنها (٤) ، ولما علم عماد الدين زنكى بذلك ، سار الى حوران (٥) ، معتزما لقاء الصليبيين قبل أن يجتمعوا مع أهل دمشق على قتاله (٦) ، غير أن

Archer: The Crusades.p.195 (١)

Zoe Olden Bourg: Les Croisades p.468 (٢)

Runciman: A History of the Crusades.Vol 2 pp. 226-227 (٣)

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٥) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٣

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ٨٨

الصليبيين مالبثوا أن عدلوا عن خطتهم ، وظلوا فى بلادهم ، فعاد عماد الدين زنكى الى حصار دمشق (١) .

أما معين الدين أنرفانه سار الى بانياس ، وحاصرها وأوقع الهزيمة بصاحبها ، وقتل كثيرا من رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على البلدة ، وتسليمها الى الفرنجة (٢) تحقيقا لوعده (٣) .

لما بلغ زنكى حصار بانياس ، وتسليمها الى الفرنجة ، عظم ذلك عليه وعول على الانتقام منهم (٤) ، فأغار على صور وأعمال دمشق ، ثم حاصر هذه المدينة ، واضطرب أهلها حين شاهدوا فى الصباح عسكر زنكى محاصرا لبلدهم (٥) . غير أن زنكى مالبث أن رفع الحصار ، ورجع الى مرج راهط

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص٢٧٣

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص١٦
Setton: A History of the Crusades Vol.I.p 460

(٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص٢٧٢
Grousset: Histoire des Croisades Vol.2 p.137

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان القسم الأول جـ٨ ص١٨٦

(٥) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.460

لأن كثيرا من جنده كانوا متفرقين . فلما عادوا اليه محملين بالغنائم ، رحل بهم عائدا الى الموصل (٢) .

انقسمت مملكة زنكى بعد وفاته سنة (٥٤١ هـ) (١١٤٦م) بين ولديه سيف الدين غازى ، ونور الدين محمود ، فاحتفظ الأول بالموصل ، على حين تمكن نور الدين محمود من تثبيت قوته فى حلب ، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور (٣) .

ولما ولى قطب الدين مودود الموصل سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) طمع أخوه نور الدين محمود فى بلاده ، وشجعه على ذلك بعض أمراء الموصل الذين أرسلوا الى نور الدين يلحون عليه فى المسير اليهم ، فقصد سنجار ، واستولى عليها (٤) . غير أن الأخوين مالبثا أن عقدا صلحا ، أعاد نور الدين محمود

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٨٩

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٤ — ٨٥

Steveson: The Crusaders in the East. p.154

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٨

بمقتضاه سنجار الى أخيه قطب الدين ، واتفقا على أن تكون ديار الجزيرة لقطب الدين مودود وأن يبقى الشام لنور الدين (١) .

ولي حكم الموصل بعد وفاة قطب الدين مودود ابنه سيف الدين غازي ولما علم نور الدين محمود باستبداد وزيره فخر الدين بأمر الموصل عول على المسير اليها لتدبير ملك أولاد أخيه (٢) ، فعبر الفرات على رأس قوة من الجند سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) (٣) ، واستولى على الرقة ، ثم سار الى الخابور ، وتغلب عليه ، كما فتح نصيبين ، وهناك انضم اليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٩٢

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٢

ابن دواد - صاحب حصن كيفا - فازداد عدد قواته ، الأمر الذي شجعه (١) على المسير الى سنجار ، فحاصرها وملكها ، ثم سار الى الموصل ، واستولى (٢) عليها ، وعزل وزيرها فخرالدين ، ورفع عنها مكان يعانيه أهلها من أنواع المظالم (٣) واتبع هذه السياسة في كل من نصيبين والخابور وسنجار ، ثم ترك لسيف الدين (٤) حكم الموصل ، ومع ذلك عين أحد رجاله سعد الدين كمشتكين نائبا عنه في هذه الامارة . وهكذا اتسعت سلطة نورالدين محمود ، فأصبح يحكم بلاد الجزيرة . غير أن سيف الدين غازي مالبث أن استرد هذه البلاد (٥) التي استولى عليها عمه نورالدين محمود . (٦)

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٣ - ١٥٤

(٣) Grousset: Histoire des Croisades.p.558

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ

(٥) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ١٤٩

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ٥

ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٥

٤ ـ الأيوبيـــــون :

استقر رأى الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ـ أحد كبار رجال دولة نورالدين محمود ـ على تولية الصالح اسماعيل مكان أبيه نورالدين سنة ٥٦٩ هـ ـ (١١٧٣م) [١] حتى لا يطمع سيف الدين غازى بن مودود ـ صاحب الموصل ـ [٢] فى الاستيلاء على حلب . غير أن سعد الدين كمشتكين ـ نائب نورالدين محمود فى الموصل ـ مالبث أن سار الى حلب ، وقبض على شمس الدين محمد ، وانفرد بأتابكية الصالح اسماعيل [٣] .

ولما علم صلاح الدين الأيوبى باستبداد سعد الدين بأمور حلب ، وتدبيره شؤون ابن سيده ، نورالدين محمود عظم ذلك عليه وأنكره ، واتخذ من ذلك ذريعة لتحقيق رغبته فى السيطرة على الشام [٤] ، فسار الى حلب

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ

ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص ٣٨

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص ٦

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٥

(٤) العيـــنى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول جـ ١٢ ورقة ٥٤٦ .

متظاهـــــرا انـــــه (١) يريد الاشراف على تنشئة الملك الصالح .

أثار اتجاه صلاح الدين الى حلب مخاوف أتباع الملك الصالح اسماعيـل وأيقنوا أن الملك سينتقل منه الى صلاح الدين (٢) . فأرسلوا الى سيف الدين غـازى - أتابك الموصل - يطلبون منه القدوم اليهم للوقوف الى جانب الملـــك الصالح ضد أطماع صلاح الدين (٣) .

غير أن صلاح الدين أرسل اليهم يحذرهم من منعه من دخول حلـب ، وتدبير أمر دولة الملك الصالح ويقول : " لو أن نور الدين علم أن فيكـــم من يقوم مقامى ، أو يثق اليه مثل ثقته بى لسلم اليه مصر التى هى أعظـــم ممالكه وولاياته ، ولو لم يعجل عليه الموت ، لم يعهد الى أحد بتربيــــة ولده ، والقيام بخدمته غيرى ، أو أراكم قد تفردتم بمولاى وابن مولاى دونـى وسوف أصل الى خدمته ، وأجازى انعام والده بخدمة يظهر أثرهـــا .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب ج ٢ ص ٧

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٤

(٣) أبو الفـدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦١ .

وأجازى كلا منكم على سوء صنيعه فى ترك الذب عن بلاده " .(١)

وكان صلاح الدين قد ضم الى حوزته فى ذلك الوقت دمشق(٢) وحمص وحماه وبعلبك . ولما قصد حلب ، استنجد أهلها بالصليبيين(٣) ، فهاجموا حمص ، واضطر صلاح الدين الى رفع الحصار عن حلب(٤) ، وتأهب لصد الصليبيين عن بلاده(٥) .

استجاب سيف الدين غازى لنداء ، أهل حلب ، وأرسل جيشا اليها لاعتقاده أن صلاح الدين قد استفحل خطره وعظم شأنه ومن ثم وجه اهتمامه الى الوقوف فى وجهه حتى لايستحوذ على البلاد ، وتتوطد فيها سلطته(٦) ، فأرسل جيشا بقيادة أخيه عزالدين مسعود لمعاونة ابن عمه

---

(١) العينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الثانى ج١٢ ورقة ٥٤٧

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٧

(٢) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٣٦

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٤ ص ٢٢ ـ ٢٣

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص ٣٩

Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.567

(٥) Archer: The Crusades p.243

(٦) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج٦ ص ٢٤

الملك الصالح فـى صد صلاح الدين عن بلاده . كما هاجم سنجـار وكان صلاح الدين قد طلب الى أتابكها الوقوف الى جانبه فى وجـه صاحب الموصل (١) ، لكنه لم يلبث أن رفع الحصار عنها بعد أن فشل فـى الاستيلاء عليهـا (٢) ، كما أوقع صلاح الدين الهزيمة بجيشه الذى أرسلـه للدفاع عن حلـب (٣) .

عول سيف الدين غازى بعد هزيمة جيشه فى حلب على محاربـة صلاح الدين الأيوبى (٤) ، فأعد جيشا كبيرا سنة ٥٧٠ (١١٧٤م) سـار به من الموصل وصحبته أخوه عز الدين مسعود ، غير أن صلاح الدين رغبـة منه فى تجنب الحرب ، أرسل الى سيف الدين يعرض عليه النزول عن حمـص وحماه ، على أن يقره على دمشق ، ويكون فيها نائبا عن الملك الصالـح اسماعيل ، فلم يجب طلبه (٥) ، وقال : " لابد من تسليم جميع ما أخـذ من بلاد الشام ، والعودة الى مصر " (٦) ، فكان ذلك مما حمل صلاح الديـن

---

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ١ ص٥٨ ـ ٥٩

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص٤٠
(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ٣ ص٦٠
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ
(٤) ابوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ٣ ص ٦٠

(٥) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٦ص ٢٥

(٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ٦ ص٥٩

على اعداد العدة لمحاربته ، والتقى مع عزالدين مسعود بالقرب من مدينة حماه في موضع يقال له قرون حماه (١)، حيث دارت معركة (٢) انتهت بانتصار صلاح الدين وهزيمة جيش الموصل (٣)، ثم تابع صلاح الدين تنفيذ خطته ، فسار الى حلب ، وظل محاصرا لها حتى اضطر أهلها الى طلب الصلح (٤)، على أن يكون له مابيده من بلاد الشام ، ولهم مابأيديهم منها ، فأجابهم الى ذلك ، ورحل عن حلب (٥).

لم يوافق سيف الدين غازي بن مودود على ذلك الصلح الذي تم بين أهل حلب وصلاح الدين ، فأرسل اليهم يطلب منهم نقضه ، وأعد العدة لمحاربة صلاح الدين (٦)، وحثهم على الاشتراك معه في محاربته

---

(١) Lamb: The Crusades.p.43

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤١

Lane-Poole: Saladin. P.139

(٣) أبوشامة ، الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ٢٤٧ – ٢٥٠

(٤) تاج الدين شاهنشاه بن ايوب ، تاريخ حماه ص ٢٧١

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ

المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ القسم الأول ص٥٩

Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.626

(٦) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني ايوب جـ٢ ص ٢٦

ولم يكتف بذلك ، بل أرسل الى ريموند الثالث - أمير طرابلس - يطلب مساعدته على صلاح الدين ، وأنفذ اليه أسرى الصليبيين المحتجزة عنده ، رغبة في استمالته اليه . أما صلاح الدين فانه عقد هدنة من مملكة بيت المقدس حتى يتفرغ لمحاربة سيف الدين غازي بن مودود (١) الذى حشد كل قواه لطرد صلاح الدين من دمشق ، ولم ينفرد وحده بمحاربته (٢) بل استنجد عليه بأمراء كيفا وماردين وسنجار ، وانضم اليه قوات من حلب ، وساروا جميعا الى دمشق سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥م) (٣) . غير أن صلاح الدين أعد العدة لصد هم ، وبعث في طلب جيش كبير من مصر والتقى (٤) في معركة كبيرة مع أتابك الموصل وحلفائه عند تل السلطان (٥) - على الطريق بين حلب وحماه - انتهت باحرازه النصر ، واستيلائه على كثير من الأموال

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهرة جـ٦ ص ٢٦

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٦١

(٣) Lane-Pool: Saladin. p.143

(٤) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٧٢

(٥) أبو شامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ٢٥٥

والذخائر . ثم وجه اهتمامه الى محاصرة حلب ، واضطر أهلها الى مصالحته بعد أن طال حصارها (١) . (٢)

ولما توفى سيف الدين غازى بن مودود — أتابك الموصل سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) خشى أهلها من مطامع صلاح الدين فى بلدهم فولوا عليهم عزالدين مسعود — أخا سيف الدين غازى — لكبر سنه ، لما عرف عنه الشجاعة وحسن السياسة . (٣)

ومما يجدر ذكره أن الصالح اسماعيل صاحب حلب توفى أيضا فى هذه السنة وأوصى بأن يخلفه ابن عمه عزالدين مسعود فى حلب (٤) حتى تتألف من حلب والموصل جبهة واحدة تستطيع الصمود فى وجه صلاح الدين (٥) . لذلك سارع عزالدين مسعود الى تنفيذ وصية ابن عمه (٦) ، وسار قاصدا حلب ،

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ٢ ص١٠٦

المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ١ص ٥٩

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٤ ص ٢٩١

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٨٠

(٤) Runciman: The Kingdom of Jerusalem.p.433

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ٢ص ١٠٨

(٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ص ٧٧

ودخلها وتولى الحكم فيها ، ثم ثار أهل حماه على أميرهم ، ونادوا بعزالدين مسعود أميرا عليهم (١) ، كما أن أمراء حلب أطمعوا عزالدين في المسير الى دمشق (٢) ، لكنه لم يستجب لهم ، بل نزل عن حلب لأخيه عمادالدين زنكى ابن مودود — صاحب سنجار — وهكذا لم يتيسر له اقامة جبهة اسلامية تضم الشام والعراق (٣) .

رأى صلاح الدين الأيوبي أن الخطر يتهدده من ناحية وجود بني زنكي في الموصل وحلب ، ومن ثم عمل على التخلص منهم ، كما يلقيه

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ٢ ص ١٠٨

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٢

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٥

(٥) لما دخل عزالدين مسعود حلب ، جاءته رسل من أخيه عمادالدين — صاحب سنجار — يطلب أن يسلم اليه حلب ، ويأخذ عوضا عنها مدينة سنجار فرفض اجابة طلبه ، فهدده عمادالدين بقوله ، ان سلمتم الي حلب والا سلمت أنا سنجار الى صلاح الدين ، فخشى عزالدين من عاقبة هذا العمل ، ووافق على تسليم حلب لأخيه ، وأخذ سنجار عوضا عنها ، وعاد الى الموصل . (ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٨٣) وابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ٢ ص ١٠٩)

أن أهل الموصل استعانوا بالصليبيين عليه (١) ، وشجعه مظفرالدين كوكبوري

ـ أتابك اربل ـ على غزو الموصل ، وأظهر استعداده لمده بكل

مايحتاج اليه (٢) ، فكان ذلك مما شجعه على الزحف الى الموصل ، فاستولى

في طريقه اليها على بعض مدن الجزيره ، ثم شرع في محاصرة

الموصل (٣) ، غيرأن صاحبها عزالدين مسعود أعد عدته لصد هذا

الحصار (٤) ، فحشد فيها عددا ضخما من العساكر ما بين فارس وراجل .

واضطر صلاح الدين الى رفع الحصار عنها بعد أن عجز عن الاستيلاء

عليها (٥) ، ثم قصد سنجار ، فخرج اليه أهلها مرحبين بمقدمه (٦) .

---

(١) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٦١

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٧

تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٨٠

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٩

Runciman: The Kingdom of Jerusalem.p.433

(٤) ابوشامه : الروضتين في اخبار الدولتين ج ٢ ص ٣١

Lane-Poole: Saladin.p.165

(٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص ٤٦

(٦) محمد بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٠

رأى عزالدين مسعود ـ أتابك الموصل أن يستعين على خصمه صلاح الدين ببعض أمراء وأتابكة البلاد المجاورة ومنهم شاه أرمن ـ صاحب خلاط ـ وقطب الدين بن نجم الدين ـ صاحب ماردين ـ (١) وسار عزالدين مسعود مع حلفائه خارج الموصل للقاء صلاح الدين ، قبل أن يهاجم بلاده (٢) . ولما علم صلاح الدين باجتماع هذه الجيوش اضطر الى العودة الى الشام (٣) ، كما عاد كل أمير الى بلده (٤) .

واصل صلاح الدين سياسته التى تنطوى على ضم بلاد الجزيرة الى حوزته فلما دخل نورالدين محمد بن قرا أرسلان ـ صاحب حصن كيفا ـ فى طاعته حرضه على المسير الى آمد (٥) ، فاستجاب له ، وزحف اليها (٦) ، ثم شرع

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٨ هـ

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ١ ص ٦٠

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص ٤٦
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ٦ ص ٢٩

(٤) Runciman: The Kingdom of Jerusalem.p.434

(٥) ابن شداد : النوادر السلطانيه والمحاسن اليوسفيه ص ٤٦

(٦) Lane-Poole: Saladin.p.172

في حصارها ٥٧٩ هـ (١١٨٣م) (١) وأرسل صلاح الدين الى أهلها يعدهم بحسن المعاملة ان سلموا البلدة له (٢)، فكفوا عن القتال، وطلبوا الأمان، وانفضوا من حول صاحبهم، ورحبوا بانضمام بلدهم الى حوزة صلاح الدين (٣)، فأعطاهم أمانا، ومكنوه من الاستيلاء على آمد، فولى عليها نورالدين بن قرا أرسلان — صاحب حصن كيفا (٤) ( ) — وكتب له تقليدا بأعمالها فأخذها بما فيها من الأموال والذخائر (٥)، واشترط عليه صلاح الدين أن يحسن معاملة الرعية، ويقيم بينهم العدل (٦)، ثم وفد الى صلاح الدين رسل من قبل صاحب ماردين وبعض أمراء بلاد الجزيرة يطلبون الأمان، فأجاب طلبهم (٧).

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ

(٢) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ٢ ص ٣٩

(٣) تاج الدين بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١١٤

(٤) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٩٦
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ٨ص ٣٧٥

(٥) تاج الدين بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ص ١٣٨

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ٢ ص ١٣٦

(٧) ابوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٤٢

غادر صلاح الدين الأيوبي العراق بعد أن زادت هجمات الصليبيين في بلاد الشام (١)، وحشد جيشا كبيرا ضم جندا من البلاد المجاورة (٢)، وحاصر حلب، فقاومه أهلها مقاومة عنيفة (٣)، غير أن أميرها عماد الدين زنكي ابن مودود، أرسل الى صلاح الدين سرا يعرض عليه نزوله عن حلب مقابل اعادته الى سنجار، فوافق صلاح الدين على ذلك (٤)، واشترط عليه أن يكون على أهبة الاستعداد للقتال معه. وبذلك خلا الجو لصلاح الدين في حلب، فضمها الى حوزته بعد أن غادرها صاحبها الى سنجار (٥).

---

(١) Runciman: The Kingdom of Jerusalem.p.435

(٢) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٦

المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جا ص ٨٠

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ

(٤) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٣٦٧

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٥٥، ١٩٤

امتد نفوذ صلاح الدين الى شمال العراق ، ولم يبق خارجا على طاعته سوى الموصل ، لذلك عاود مهاجمتها بعد أن بلغه أن عسكر الموصل قد أغار على اربل وأعمالها ، فعقد هدنة مع ريموند الثالث — أمير أنطاكية والوصى على مملكة بيت المقدس — مدتها أربع سنوات (١) وطلب من حلفائه فى بلاد الجزيرة معاونته فى فتح الموصل (٢) ، فاستجاب له كل من معز الدين سنجرشاه — أتابك الجزيرة — ونور الدين قرا أرسلان — صاحب حصن كيفا — ودارا ، وزين الدين على كجك — صاحب اربل — وعماد الدين قرا ارسلان — صاحب ماردين (٣) . ولما بلغ صلاح الدين الموصل سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) حاصرها . غير أن حرارة الجو حالت دون الاستمرار فى القتال ، كما أبلى أهلها بلاء حسنا (٤) ، واضطر صلاح الدين الى رفع الحصار عنها بعد أن بلغه وفاة شاه أرمن ابن سكمان الثانى — صاحب خلاط (٥) — دون أن يترك وارثا يخلفه . وقد رأى صلاح الدين أن يستغل

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٢) Lane-Poole: Saladin. p.192

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص ٥٤

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ٢ ص١٩٦

(٥) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ١ ص٨٩

هذه الفرصة لضم خلاط الى حوزته (١)، غير أنه فشل في ذلك، وسار الى ميافارقين (٢)، وبعد أن تمكن من الاستيلاء عليها أسند ولايتها الى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطي (٣)، ثم عاد الى حصار الموصل للمرة الثالثة (٤)، لكن أهلها طلبوا مصالحته (٥)، كما أن أتابكها عز الدين مسعود يئس من مساعدة الخليفة والسلاجقة له (٦)، فنزل لصلاح الدين بمقتضى الصلح الذي عقده معه عن شهرزور وأعمالها، وجميع ماوراء الزاب من البلاد (٧) والقلاع والحصون، وولاية بني قفجاق وغيرها، كما وافق على اقامة

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ٨ ص٣٨٣

(٢) Lane-Poole: Saladin. p.192

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ص ٥٦

(٤) تاج الدين شاهنشاه بن ايوب : تاريخ حماه ص ٢٨٦

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٩٤

(٦) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ٢ ص ٦٢

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

الخطبة لصلاح الدين بدلا من سلاطين السلاجقة (١) ، وتعهد فضلا عن ذلك بأن ينفذ عسكره لمعاونة صلاح الدين وينقش اسمه على السكة (٢) . وهكذا تيسر لصلاح الدين مد سلطانه الى جميع بلاد الموصل والجزيرة (٣) .

وجه أتابكة الموصل والجزيرة اهتمامهم بعد وفاة صلاح الدين الى التخلص من نفوذ بنى أيوب (٤) ، فسار عزالدين مسعود الى نصيبين (٥) سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) ، كما وفد اليه أخوه عماد الدين زنكى — صاحب سنجار — وأرسل عزالدين الى أمراء البلاد المجاورة للموصل يستنجدهم ، لكن الملك العادل — الذى خلف أخاه صلاح الدين — عوّل على الاحتفاظ بسيادته على بلاد الموصل والجزيرة ، فأعد جيشا كبيرا وزحف الى حران فى طريقه الى الموصل (٦) وضم الى حوزته الرقة والخابور (٧) ثم قصد ماردين

---

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج١ ص ٩٠

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٨٥

(٤) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج٢ ص ٢٢٧

(٥) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٢

(٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٩

(٧) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٢٨

وحاصرها ، واستطاع أن يستولى على بعض أعمالها (١) .

استقر رأى نورالدين قرا أرسلان — صاحب الموصل — على استخلاص ماردين من الملك العادل ، وانضم اليه قطب الدين بن عمادالدين زنكى — أتابك سنجار — ثم سارت القوات المتحالفة الى ماردين (٢) ، وكان الملك العادل بن أيوب قد أناب عنه الملك الكامل فى حصارها ، فاشتبك مع جند الموصل وسنجار فى معركة دارت فيها الدائرة عليه ، فاضطر الى رفع الحصار عن ماردين (٣) ، ثم عادالى حران سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨م) .

كان لانتصار صاحب الموصل وسنجار على بنى أيوب فى ماردين أثر بالغ فى تشجيعهما على المسير الى حران ، ومالبثا أن استوليا عليها وعلى الرها ، ثم انضم اليهما صاحب ماردين . غيرأن الرسل سعوا بين بنى أيوب ، وأمراء الموصل وسنجار وماردين فى الصلح ، وبخاصة

---

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الاول ج ١ ص ٩٢

(٢) ابن خلدون : العبرو ديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٣٦

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهرفى الدولة الاتابكية ص ١٩٥

بعد أن علموا أن الملك العادل بن أيوب قد زال عنه الخطر الذى كـــان يتهـــدده من ناحية/ ابنى أخيه الملك الأفضل والملك الظاهر (١) .

وكان الملك العادل يطمع فى استعادة ماردين ، فعهد سنــــــة ٥٩٩ (١٢٠٢ م) الى ابنه الأشرف موسى بمحاصرتها ، وانضم اليـــــه عسكر الموصل وسنجار . ولما تعذر على صاحب ماردين مقاومة جيـــوش خصومه ، أرسل الى العادل يطلب الصلح (٢) ، فأجاب طلبه . وكان ممـــا تضمنه هذا الصلح أن يؤدى صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألـــف دينار ، ويقيم له الخطبه فى بلاده ، وتضرب السكة باسمه (٤) ، ويمـــده بالجند اذا ماطلبها منه (٥) .

حدثت بين نورالدين أرسلان شاه الأول بن مسعود — أتابك الموصل — وقطب الدين محمد بن زنكى الثانى — أتابك سنجار — خلافات ترجع الـــى

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ٣ ص ١٢٩

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ ١ ص ١٦١

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٣٨

(٤) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ١ ص ١٦١

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٩٩ هـ

أن صاحب سنجار، دخل في خدمة الملك العادل ، وأقام الخطبة لـه في بلاده ، فخشى نورالدين من غائلة هذا العمل على نفسه وبلـده ، فهاجم أتابكية سنجار سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧م) ، وبدأ بمدينة نصيبين ، فظل يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها (١) . وفي أثناء حصاره لهـا ، هاجم مظفرالدين كوكبوري بعض بلاد الموصل ، حتى يضعف من شـأن أتابكها ، ويرغمه على رفع الحصار عن نصيبين (٢) .

لم يكتف نورالدين بانتزاع نصيبين من صاحب سنجار، بل سار الى تل يعفر — وكان صاحبها وقتذاك — قطب الدين محمد — فحاصرها وضمها الى حوزته ، ثم عمل على ترتيب أمورها ، وعاد الى الموصل (٣) .

رأى صاحب سنجار بعد هذه الاعتداءات التي تعرضت لها بـلاده أن يستنجد بالملك الأشرف موسى بن الملك العادل — صاحب ديـار الجزيرة وخلاط — الذى سار من حران ، وانضم اليه أصحاب اربل وآمـد

---

(١) أبوالفـدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٢

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ

ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٩٢

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج٣ ص ١٥٦

والجزيرة[١] ، فضلا من أخيه الملك الأوحد نجم الدين — صاحب ميافارقين — وقد صارت قوات الملك الأشرف وحلفائه نحو الموصل ، والتقت بصاحبها نور الدين على مقربة من هذه المدينة في معركة حلت فيها الهزيمة به ، وتفرق عسكره[٢] ، ولم يكتف الملك الأشرف بهذا النصر الذى أحرزه ، بل تابع زحفه حتى دخل الموصل ، ثم ترددت الرسل بين الملك الأشرف ونور الدين صاحب الموصل في الصلح[٣] . غير أن الملك الأشرف اشترط أن يعاد تل يعفر الى قطب الدين — صاحب سنجار — فوافق نور الدين على ذلك وتم عقد الصلح بين الفريقين سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م)[٤] .

امتدت أطماع الملك العادل أبوبكر بن أيوب — صاحب مصر ودمشق — الى بلاد سنجار وجزيرة ابن عمر ، فدارت مراسلات بينه وبين نور الدين ارسلان — صاحب الموصل — على تقسيم هذه البلاد بينهما ، على أن

---

(١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول جـ١ ص١٦٣

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ٣ص١٥٧ — ١٥٩

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ

(٤) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ١١٨

تكون بلاد قطب الدين — صاحب سنجار — للملك العادل ، وجزيرة ابن عمر لنور الدين ، ولما عزم الملك العادل على تنفيذ هذا الاتفاق نزل بحران (١) ، حيث انضم اليه صاحب خلاط وميافارقين ، وصاحب آمد وحصن كيفا وغيرهم من الأمراء ، ثم زحف الى سنجار سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٥م) على رأس جيش كبير فرأى صاحبها قطب الدين أنه لا قبل له بمواجهة العادل وجنده ، ومن ثم أرسل الى الملك العادل يعرض عليه أخذ سنجار ، على أن يعوضه عنها ، غير أن أهلها رفضوا هذا العرض (٢) ، وأعدوا العدة لمقاومة الملك العادل الأيوبي الذى زحف الى مدينتهم (٣) وشرع فى حصارها مما اضطر صاحبها الى الاستنجاد بالخليفة العباسى وأمراء البلاد المجاورة . واتفق مظفر الدين كوكبورى — صاحب اربل — ونور الدين أرسلان شاه — صاحب الموصل ، وصاحب ماردين على رفع الحصار عن سنجار (٤) ،

---

(١) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ج٢ص ٢٣٨

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

كما أنفذ الخليفة العباسي رسلا الى الملك العادل تطلب منه عدم التعرض (١) لأتابك سنجار، وانتهى الأمر بأن رفع العادل الحصار عن سنجار، وخاصة بعد أن حدثت خلافات بين أمراء بنى أيوب فى بلاد الشام (٢) .

عهد الملك العادل قبل وفاته ببلاد الجزيرة التى كانت فى حوزته الى ابنـــه الملك الأشرف موسى . ولما ثار عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه علـــى بدر الدين لؤلؤ — صاحب الموصل — استعان بالملك الأشرف، ودخـــل فى طاعته (٣) سنة ٦١٥ (١٢١٨م) ، كما أن محمود بن قطب الديـــن محمد — صاحب سنجار — عرض عليه أن يسلم اليه سنجار على أن يعوضه عنها بمدينة الرقـة ، فوافق الأشرف على ذلك سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠م) . ثم عقد صلحا مع صاحب ماردين ، على أن يعطيه رأس عين ، ويـــؤدى اليه ثلاثين ألف دينار (٤) .

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى جـ٨ ص ٥٤١

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٥ ص ٢٦٨ .

سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى جـ٨ ص ٥٤١

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٥ ص ٣٠٦

رأى مظفر الدين كوكبورى — صاحب اربل — أن الملك الأشرف موسى ازداد نفوذه حتى أصبح يهدد بلاده ، ومن ثم وجه سياسته الى أضعاف شوكته ، فتحالف سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤م) مع شهاب الدين غازى — صاحب خلاط — والملك المعظم عيسى — صاحب دمشق — وساروا نحو بلاد الملك الاشرف ، غير أن حليفى مظفر الدين مالبثا أن توقفا عن مهاجمة بلاد الملك الأيوبى (١) . أما مظفر الدين كوكبورى فانه سار الى الموصل ، وحاصرها لكن صاحبها بدر الدين لؤلؤ ، أحكم أمورها ، فاضطر مظفر الدين بعد أن امتنعت عليه البلد الى الرحيل عنها (٢) . لكنه لم يلبث أن عاد الى مهاجمتها بعد أن اتفق مع بعض أمراء الجزيرة وديار بكر على قصد بلاد الأشرف، غير أن الأشرف أحبطت محاولته (٣) .

عول الملك الأشرف على الانتقام من الأمراء الذين تحالفوا مع صاحب اربل فهاجم ماردين سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٨م) وعاث جنده فيها تخريبا ونهبا ، كما حرض علاء الدين كيقباذ — صاحب بلاد الروم السلاجقة — على المسير الى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٢١ هـ

(٢) ابو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٣ ص ١٤٠ — ١٤١

(٣) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٨٠

بلاد الملك المسعود - صاحب آمد - مما حمله على أن يتعهد للملك الأشرف الأيوبي بصد محالفة أعدائه (١) .

على أن آمد لم تنج من أطماع ملوك الأيوبيين ، فزحف اليها الملك الكامل ~~الثاني~~ الأول سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) وحاصرها ، وانتزعها من صاحبها الملك المسعود بن محمود ، كما استولى على البلاد التي كانت تابعة له ، وضمها الى حوزته (٢) .

ولما توفي الملك الكامل طمع بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل في سنجار (٣) - وكانت تتبع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل فهاجمها واستولى عليها (٤) سنة (٥) ٦٣٨ هـ (١٢٤٠م) كما امتلك جزيرة ابن عمر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) .

---

(١) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٤٤

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ١٧٠

(٤) حاصر بدر الدين لؤلؤ سنجار سنة ٦٣٥ هـ ، فاستنجد صاحبها الملك الصالح الأيوبي بالخوارزمية ، وبذل لهم حران والرها في مقابل نجدته فوفقوا الى جانبه في صد غارات جند الموصل وهزيمتهم . وفي سنة ٦٣٦ هـ اتفق الملك الصالح مع أخيه الجواد يونس - صاحب دمشق وأعمالها - على أن يحكم الملك الصالح دمشق بدلا من سنجار على حين يلي الجواد يونس حكم سنجار والرها والرقة . ولما استقر الجواد يونس في حكم سنجار ، عاد بدر الدين لؤلؤ الى مهاجمتها ، والاستيلاء عليها .
(ابوالفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧٠ ، ١٧٧)

(٥) محمد على عوني : تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي ص ١٦٤

مما تقدم يمكن القول أن علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بأمراء البلاد الاسلامية المجاورة ، تغيرت تبعا لقوة الاتابكة وضعفهم ، فاستطاع الاتابكة ابان قوتهم بسط سيطرتهم على مساحات كبيرة في شمال العراق وبلاد الشام ، فاتسع نفوذ نجم الدين ايلغازي — صاحب ماردين — ، في ديار بكر ، وسيطر على بعض مدن الشام / وبسط عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — سلطاته على شمال العراق ، وبعض مدن الشام . ولما ضعف شأن الاتابكة عجزوا عن صد هجمات بني أيوب .

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ — مع البيزنطيين

٢ — مع الصليبيين

٣ — مع المغول

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ — مع البيزنطيين :

لم يقف البيزنطيون الى جانب الصليبيين فى حروبهم مع أتابكة الموصل والجزيرة عندما بدأوا يوجهون حملاتهم الى أطراف بلاد الشام والعراق لأنهم رفضوا تنفيذ الاتفاق الذى عقدوه معهم (١) ، والذى يقضى بأن يسلم الصليبيون البيزنطيين البلاد التى يستولون عليها على اعتبار أن هذه البلاد كانت ملكا للدولة البيزنطية قبل أن يستولى عليها المسلمون (٢) ، فلما استولى الصليبيون على انطاكية سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨م) سار اليها كربوقا — أتابك الموصل — وسقمان بن أرتق — أمير ماردين — لاستعادتها (٣) ، وحاصر المسلمون أنطاكية (٤) ، وشددوا عليها الحصار حتى نفذت منها الاقوات ، فاستنجد الصليبيون بالامبراطور البيزنطى ألكسيوس كومنين (٥) ، لكن الامبراطور أعرض عنهم الأمر الذى شجع كربوقا على تشديد هجماته على أنطاكية (٦) ، وكادت المدينة تسقط فى أيدى المسلمين لولا الخلافات التى ظهرت بين قادتهم (٧) ، والتى شجعت الصليبيين المحاصرين بأنطاكية على هزيمتهم وتشتيت شملهم .

(١) Setton: A History of the Crusades. Vol.I p.313-314

(٢) Runcimon: A History of the Crusades.Vol.I.p.224

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٥

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ص ١٣٦
Runciman: A History of the Crusades.Vol. I p.237

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٦

(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ص ١٣٧

كذلك عمل الامبراطور ألكسيوس كومنين على الاستفادة من الهزيمة التى ألحقها أتابكة الموصل وأمراء الجزيرة بالصليبيين فى موقعة حران سنة ٤٩٧هـ (١١٠٣م) ، فاسترد البلاد التى انتزعها منه الصليبيون فى الجنوب الشرقى لآسيا الصغرى ، وأرسل أساطيله لاستعادة اللاذقية والبلاد الواقعة على الشاطئ بين اللاذقية وانطرسوس (١) . ولم يكتف الامبراطور البيزنطى بذلك بل أنفذ رسولا الى السلطان السلجوقى سنة ٥٠٤ هـ (١١١١م) يعرض عليه عقد تحالف معه لمحاربة الصليبيين ، وطردهم من بلاد الشام (٢) .

على أن البيزنطيين عادوا الى التحالف مع الصليبيين بعد أن تتابعت انتصارات عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — على الفرنجة فى بلاد الشام (٣) (٤) وفتح حصن بارين سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧م) — الذى مكنه من بسط سيطرته على حماه وحمص — (٥) واعترف الأمير ريموند دى بواتيه — أمير (٦)

Stevenson: The Crusaders in the East.pp.78-79 (١)

Grousset: Histoire des Croisades.Vol.I.p.414 (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ

(٤) يذكر ابن واصل أن رجال الدين الفرنجة قصدوا القسطنطينية ، واستنجدوا بالبيزنطيين على عماد الدين زنكى لأنه هاجم بارين ، وحذروا الروم من سقوط بارين فى أيدى أتابك الموصل ، وإبادة من فيها .
(مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ٢٧٦)

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.439 (٦)

أنطاكية ــ بالسيادة البيزنطية على امارته (١) ، ووافق البيزنطيون على الاشتراك مع الفرنجة فى انفاذ حملة صليبية كبرى لتحطيم قوة عماد الدين زنكى فى بلاد الشام ، فى مقابل أن ينزل ريموند عن أنطاكية للامبراطور البيزنطى (٢) ، ويتخذ ريموند لنفسه امارة تشمل حلب وشيزر وحماة وحمص ، بعد انتزاع هذه البلاد من المسلمين (٣) .

أحاط البيزنطيون حملتهم على بلاد الشام بالسرية والكتمان (٤) ، فأرسل امبراطورهم حنا كومنين الى عماد الدين زنكى يؤكد له أنه لن يحاربه (٥) ، كما أن ريموند (٦) ألقى القبض على جماعة من التجار المسلمين ، وعلى المسافرين من أهل حلب حتى لاتتسرب أنباء الاستعدادات الصليبية الى زنكى (٧) .

(١) Cambridge Medieval History. Vol.4 p.359

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٦١

(٣) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.213

(٤) Vasiliev : A History of the Byzantine Empire. p.416

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ٧٨

(٧) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.215

سار الامبراطور البيزنطى حنا كومنين الى بلاد الشام سنة (٥٣٢ هـ - ١١٣٧م)(١) على رأس جيش كبير تسانده جيوش أنطاكية والرها(٢) . ولما بلغت قوات الروم بزاعة - وهى على مقربة من حلب - حاصروها وشددوا عليها الحصار(٣) ، حتى اضطر أهلها الى طلب الأمان من الامبراطور البيزنطى(٤) ، فأجاب طلبهم ، غير أنه مالبث أن نكث بالعهد بعد استيلائه على البلدة ، وقتل من أهلها خلقا كثيرا(٥) .

كان عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - يحاصر حمص أثناء هجوم البيزنطيين على بزاعة ، فخشى أهل حلب من مهاجمة البيزنطيين لهم(٦) ، فسار فريق منهم الى عماد الدين زنكى ، وطلبوا منه النجدة ، فسير معهم جندا كثيرا ، ودخلوا حلب ليحولوا دون مهاجمة الروم لها(٧) . ولما أغار بعض فرسان الروم على حلب ،

---

(١) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جا ص ٨١

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٥ ،

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ٧٨

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣
Runciman: A History of the Crusades. Vol.2.p.215

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٥
Setton: A History of the Crusades. Vol.I.p.439

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ٧٨

قاتلهم أهلها ، وجند عماد الدين زنكى قتالا شديدا ثلاثة أيام ، وأوقعوا بهـــم خسائر فادحة ، مما اضطرهم الى الرحيل عنها والمسير الى قلعة الاثارب (١) ،

خشى أهل الاثارب بأس قوات الروم ، فهربوا منها ، مما أعان الروم على امتلاكها (٢) ، كما امتلكوا معرة النعمان وكفر طاب (٣) ، على أن سيف الدين ســوار (٤) — نائب زنكى بحلب — لم يقف مكتوف اليدين حينما هاجم الروم الاثارب ، بل عوّل على استعادتها ، فسار اليها على رأس جيش كبير ، وحمل على الروم حملــة مكنته من استعادة الاثارب (٥) ،

فارق عماد الدين زنكى حمص ، وزحف الى سلمية — من أعمال حماه — ثم عبر الفرات الى الرقة ، ومنها أخذ يتتبع البيزنطيين ، ويقطع الميرة عنهـــم (٦) ، وكان ذلك مما حمل الروم على عدم التوسع فى الاستيلاء على البلاد الخاضعة لزنكى فى الشام ، فقصدوا قلعة شيزر — وهى من أمنع الحصون — وضيقوا عليها الحصـــار ،

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٥

(٣) يذكر ابن العديم أن سوارا كان فى خدمة بورى بن طغتكين — أتابك دمشق — وتركه ، ودخل فى خدمة عماد الدين زنكى ، فأقطعه اقطاعات كثيرة ، وولاه حلب واعمالها ، واعتمد عليه فى قتال الفرنجة ، فظهرت شجاعته ومقدرته الحربيـــة فى قتال الصليبيين ، (زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٤٥)

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.194

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

حتى يتيسر لهم السيطرة على أواسط وادى نهر العاصى ، ليحولوا دون تحقيق أطماع عماد الدين زنكى فى بسط سيطرته على المزيد من الاراضى الشامية (١) .

استنجد سلطان بن منقذ - صاحب شيزر - بعماد الدين زنكى (٢) بعد أن أشرفت البلدة على الهلاك ، وقتل كثير من أهلها (٣) ، فاستجاب زنكى لطلبه ، ونزل على نهر العاصى بالقرب من شيزر (٤) ، وشرع فى مهاجمة الروم (٥) ، كما عمد الى مد البلدة بالرجال والعتاد والمؤن (٦) ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل الى الامبراطور البيزنطى يحذره من مغبة مواصلة القتال (٧) .

---

(١) Runciman: A history of the Crusades Vol.2 p.215

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٥٥

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

(٥) أسامه بن منقذ : الاعتبار ص ٨١

(٦) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ١ ص ٨١

(٧) أرسل زنكى الى الامبراطور يحذره ويقول : " انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فأنزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى ، فان ظفرت بكم ، أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم بى استرحتم ، وأخذتم شيزر وغيرها " . ولقد كان لتحذير زنكى أثر بالغ على امبراطور الروم حتى أنه رفض نصيحة الفرنجة له فى مواصلة القتال ، وقال لهم : " أتظنون ان له من العسكر الا ماترون ، انما هو يريد أن تلقونه ، فيجيئه من نجدات المسلمين ما لاحد له " .
(ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٥٥ - ٥٦
أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ٨١ - ٨٢)

كذلك طلب عماد الدين زنكى من بنى أرتق فى ديار بكر معاونته فى محاربة الروم ، فسار داود بن أرتق الى بلاد الشام على رأس جمع كبير من التركمان لقتال البيزنطيين (١) سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨م) وخرجت عساكر من دمشق نجدة لعماد الدين زنكى ، كما أنفذ أتابك الموصل رسولا من قبله الى السلطان السلجوقى مسعود يستنجده ويحذره من التوانى عن نجدته (٢) ، ويبلغه أن الروم زاحفون الى حلب ، وأن امتلكوها عبروا الفرات قاصدين بغداد (٣) ، فاستجاب السلطان السلجوقى لطلبه (٤) ، وأعد عشرة آلاف فارس للمسير الى بلاد الشام (٥) ، وفى نفس الوقت أرسل زنكى قوات للاغارة على آسيا الصغرى ليوجه اهتمام البيزنطيين اليها (٦) .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص٢٦٨

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٠ — ٨١

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٤) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص٢٦٦

ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٥٦ ٥٧

Runciman: A history of the Crusades Vol.2.p.216-217(٥)

(٦) ابن واصل مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب ج ١ ص ٨٠ — ٨١

على أن الامبراطور البيزنطى لم يواصل مهاجمة البلاد الخاضعة لزنكى لأن حليفيه أميرى أنطاكية والرها (١)، انصرفا الى تحقيق مآربهما الخاصة عن الوقوف الى جانبه فضلا عن ظهور الخلاف بين أمراء الفرنجة، وتجدد العداء بينهم وبين البيزنطيين فكان جوسلين الثانى — أمير الرها — يخشى من انتصار الفرنجة والبيزنطيين على المسلمين، لاعتقاده أن ريموند سيحصل عقب النصر — بمقتضى الاتفاق (٢) بينه وبين البيزنطيين — على حلب وغيرها من البلاد الاسلامية (٣). وبذلك يصبح قريبا منه، وهذا ماكان يحذره منه جوسلين (٤).

وقف زنكى على الخلافات بين الفرنجة والبيزنطيين (٥) فعمل على زيادة الفرقة بينهما ولما رأى الامبراطور البيزنطى أن جهوده لن تكلل بالنجاح بسبب موقف الفرنجة منه، ومقاومة عماد الدين زنكى له، رحل عائدا الى بلاده، فسار زنكى فى أثره وقضى على كثير من قواته، وغنم مغانم كثيرة. وهكذا فشلت الحملة الصليبية على بلاد الشام فى أضعاف نفوذ أتابك الموصل فى هذه البلاد، بل اتسع سلطانه باستيلاء قواته على كفرطاب والاثارب (٦).

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ٨١

(٢) Runciman: A history of the Crusades.Vol.2 p.216

(٣) Setton: A history of the Crusades Vol.I p.440

(٤) اسامه بن منقذ : الاعتبار ص ١١٣ — ١١٤

(٥) أرسل عماد الدين زنكى الى الامبراطور البيزنطى يحذره بأن الفرنجة فى الشام خائفون منه، فلو فارق مكانه، تخلفوا عنه، وبعث الى الفرنجة يخوفهم من الامبراطور البيزنطى، ويقول لهم : "ان امبراطور الروم ان ملك حصنا واحدا فى بلاد الشام ملك بلادكم جميعا". (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦، ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ٨١ — ٨٢)

(٦) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.441

لم يشترك البيزنطيون بعد ذلك مع الفرنجة فى حرب ضد عماد الدين زنكى بسبب قيام الخلافات بينهما ، ولما سقطت الرها فى أيدى زنكى سنة ٥٣٩ هـ - (١١٤٤م) عاد ريموند - أمير انطاكية - الى محالفة البيزنطيين ليقفوا الى جانبه فى وجه زنكى الذى أصبح يشكل خطرا كبيرا على امارته ، فسار الى القسطنطينية ،وأعلن (١) ولاءه للامبراطور البيزنطى مانويل كومنين ، فعفا عنه ، ووعده بمساعدته ضد عماد الدين زنكى . (٢)

غير أن تحالف البيزنطيين مع الصليبيين لم يمكن الصليبيين من درء خطر القوات الاسلامية ، فهزم نورالدين محمود ، ريموند - أمير أنطاكية - وقتله سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) (٣) ، واستولى على معاقل وحصون أنطاكية شرقى نهر العاصى (٤) بينما وقع جوسلين الثانى - أمير تل باشر - أسيرا فى أيدى المسلمين . (٥)

---

(١) Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 pp.265-266

(٢) Grousset: Histoire des Croisades. Vol.2 pp.228-229

(٣) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص٥٧ - ٥٨

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ١ ص ١٢١

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٦ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ١ ص١٢٣

ولما عرض الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين على بترس - زوجة جوسلين الثاني ، والوصية على امارة الرها - شراء ماتبقى من البلاد التابعة لامارة الرها ، وافقت على الفور ، واستولى الامبراطور على هذه البلاد سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٠م) (١) على أن الامبراطور البيزنطي لم يستطع الاحتفاظ بها لبعدها عن مركز الامبراطورية البيزنطية ، وقربها من البلاد الاسلامية ، (٢) الأمر الذى شجع الأمراء المسلمين على انتزاع هذه الحصون من البيزنطيين ، فاستولى نجم الدين ألبى بن تمرتاش الأرتقى (٣) - صاحب ماردين - على سميساط والبيره سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١م) . أما نورالدين محمود ، وسلطان سلاجقة الروم ، فقد استوليا على بقية هذه البلاد (٤) .

لم يقف العداء بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين البيزنطيين عند هذا الحد فقد انضم قطب الدين مودود - أتابك الموصل - وقرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - ونجم الدين ألبى بن تمرتاش - صاحب ماردين - الى نورالدين محمود فى حروبه مع البيزنطيين والصليبيين عندما هاجم حارم سنة ٥٦٠هـ (١١٦٤م)

---

(١) Stevenson: The Crusaders in the East.p.168

(٢) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.534

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جا ص ١٤٤

وقد انتهت هذه الحروب بانتصار نورالدين محمود وأتابكة الموصل والجزيرة على أعدائهم البيزنطيين والصليبيين (١) .

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص١٢٣

٢ - مع الصليبيين :

لما أيقن الفرنجة فى بلاد الشام أنهم فى مأمن من الدولة البيزنطية عولوا على التوسع فى البلاد الاسلامية ، فشنوا عدة غارات على حلب وأعمالها (١) منتهزين فرصة انشغال الأمراء المسلمين وجندهم بقتال بعضهم بعضا فضلا عن تفرق كلمتهم (٢) ، فقضى الفرنجة على كثير من سكان حلب ، وفرضوا عليهم مبالغ كبيرة من المال ليتقوا أذاهم (٣) ، كما اعتزم جوسلين - أمير تل باشر - وبوهمند - صاحب أنطاكية - الاستيلاء على حران - التى تقع بين الرها ونهر الفرات ليقطعوا مابين المسلمين فى الشام واخوانهم فى العراق وفارس من صلات (٤) .

نهض الاميران سقمان بن أرتق - صاحب ماردين - وجكرمش - أتابك الموصل - للذود عن بلادهم ، فتناسيا مابينهما من خلافات ، وأرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه للتشاور معه فى جهاد الفرنجة . فاجتمعا فى الخابور ومعهما عشرة آلاف جندى من العرب والأكراد والتركمان (٥) وهاجما الرها ، فانضم

---

(١) Grousset: Historie des Croisades. Vol.I. p.401

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.40

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

بلدوين دى بورج - أمير الرها - السى جوسلين - صاحب تل باشر - وبوهمند - أمير أنطاكية - وهاجموا حران (١) حتى تنصرف القوات الاسلامية عن مهاجمة الرها ولكن المسلمين لم يمكنوهم منها ، اذ اشتبكوا معهم فى معركة حاسمة سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤م) (٢) دارت فيها الدائرة على الصليبيين ، وغنم التركمان كثيرا من الغنائم (٣) ، بل وقع بلدوين دى بورج - أمير الرها - أسيرا وكذلك جوسلين ، أما بوهمند وجنده ، فعادوا الى أنطاكية لا يلوون على شىء واتجه سقمان الى ديار بكر ، واستولى وهو فى طريقه اليها على عدة حصون للفرنجة ، أما جكرمش ، فسار الى حران وفتحها (٤) .

على أن ايلغازى بن أرتق - الذى ولى ماردين بعد وفاة سقمان - أطلق سراح جوسلين مقابل الحصول على مبلغ قدره عشرون ألف دينار (٥) ، ثم سعى جوسلين الى اطلاق سراح بلدوين بفدية قدرها ثلاثين ألف دينار (٦) .

---

(١) Setton: A History of the Crusades. Vol. I p. 389

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

(٣) Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p. 43

(٤) Ibid.

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٣

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

كان لموقعة حران أهمية كبيرة ، اذ أوقفت توسع الصليبيين نحو الشـــرق على حساب المسلمين ، كما أدت الى تأمين مدينة حلب بصفة خاصة وسوريـــة الشمالية من خطر الفرنجـــة ، بل أثبتت أن الصليبيين لا يستطيعون قطع الصلة بين القوى الاسلامية فى العراق والشام وآسيا الصغرى (١) .

على أن الفرنجة لم يكفوا عن الزحف على المدن الاسلامية فى الشام ، فأغاروا سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤م) على طرابلس ، فاستنجد فخر الملك عمار — صاحبهـــا بسقمان ابن أرتق — أمير ماردين — فاستجاب له (٢) ، وتوجه الى طرابلس ، غير أنه توفى وهو فى طريقه اليها ، وضم الفرنجة طرابلس الى حوزتهم سنـــــة ٥٠٣ هـ (١١٠٩م) (٣)

ولما ولى محمد بن ملكشاه السلطنة السلجوقية عول على قتال الفرنجـــــة (٤) فأنفذ جيشا كبيرا يتكون من جند الموصل بقيادة أتابكها مودود (٥) ، وجنـــــد

---

(١) Stevenson: The Crusades in the East.p.78

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٨ هـ

(٣) نفس المصدر حوادث سنة ٥٠٣ هـ

(٤) Runciman: The History of the Crusades.Vol.2 pp. 114-115

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٩

التركمان تحت امرة ايلغازى بن أرتق — صاحب ماردين — وجند من خلاط نميافارقين ، وطلب اليهم الاستيلاء على الرها (١) .

زحفت قوات الموصل والجزيرة الى الرها سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠م ، فاستنجد بلدوين دى بورج — صاحبها — ببلدوين الاول — ملك بيت المقدس — فخرج لنجدته وانضم اليه الامراء الصليبيون فى بلاد الشام (٢) ، غير أن الفرنجة تفرق شملهم ، اذ وصل الى تانكرد — أمير أنطاكية — أن رضوان — أمير حلب — غزا امارته (٣) ، كما أن بلدوين الاول — ملك بيت المقدس — عاد الى مملكته بعد أن بلغه أن الفاطميين ازدادت هجماتهم عليها (٤) .

ولما اشتدت هجمات قوات الموصل والجزيرة على امارة الرها ، وعجز أميرها عن حماية بلاده الواقعة شرقى الفرات ، أمر السكان المسيحيين بأن يغادروا هذه البلاد ، فرحلوا الى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات لانها أكثر أمنا . ولما شرع هؤلاء السكان فى المسير الى تلك البلاد

---

(١) Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 p.115

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٠

(٣) Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 P.116

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

التى اتخذوها دونا لهم ، باغتهم مودود — أتابك الموصل — ونكل بهم[١] .

استقر رأى تانكرد — أمير أنطاكية — بعد عودة جند الموصل والجزيـــرة الى بلادهم على الانتقام من رضوان — أمير حلب —[٢] الذى هاجم بلاده ، فأغار على حلب ، وأخذ يشدد الحصار على حصن الأثارب[٣] ، حتى يتيسر له الاستيـــلاء عليه ،[٤] ثم قصد حصن زردنا ، وأمتلكه سنة ٥٠٤ هـ — (١١١٠م)[٥] ولما بلغ ذلك أهل منبج وبالس غادروا بلديهما مما أتاح للفرنجة الفرصة لدخول هذين البلدين لكنهم سرعان مارحلوا عنهما ، وساروا الى صيدا ، واستولوا عليها[٦] ، الأمــــر الذى أدى الـى اثـارة المسلميـن ، وتخوفهـم من اقدام الفرنجـــــة

---

(١) Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 pp. 117-118

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٨

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٥٨

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٢

على الاستيلاء على سائر بلاد الشام (١)، فسار جماعة من أهل حلب الى بغداد لتحريض ضد على الفرنجة (٢) ، ويذكر ابن الاثير أنه قبل وصول وفد حلب الى بغداد أرسل الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين - وكان فى خلاف مع الفرنجة - الى السلطان السلجوقى فى بغداد ، يستنفره على الفرنجة ، ويحثه على قتالهم . ولما علم بذلك أهل بغداد صاحوا فى السلطان : " أما تتقى الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للاسلام ، حتى قد أرسل اليك فى جهادهم (٣) " عندئذ لم يتردد السلطان السلجوقى فى انفاذ عساكر الموصل والجزيرة الى بلاد الشام لصد الفرنجة عنها (٤) .

اجتمعت قوات كبيرة من الموصل والجزيرة بقيادة مودود - أتابك الموصل - وايازين ايلغازى بن أرتق (٥) ، وسارت نحو سنجار ، فاستولت على بعض حصون الفرنجة القريبة منها سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) (٦) ، ثم حاصر جند الموصل والجزيرة

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .
Grousset: Histoire des Croisades. Vol. I p.460

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص١٥٨
Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 p.121

(٣) ابن الاثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٤هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص١٧٣
Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.121

(٥)

(٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

مدينة الرها ، غير أنهم مالبثوا أن اضطروا الى التقهقر عنها الى حران لحمل الفرنجة على تعقبهم (١) ، لكن الفرنجة فطنوا الى خدعة قوات المسلمين ولم يتتبعوا قواتهم بل عمدوا الى تحصين مدينة الرها ، وتزويدها بالجند والعتاد والمؤن حتى تستطيع الصمود ضد هجمات قوات الموصل والجزيرة (٢) .

ولما عاد مودود واياز بن ايلغازى الى الرها حاصراها ، فاستعصت على قواتهم (٣) ، مما اضطرهم الى الرحيل عنها ، فقصدوا تل باشر (٤) ، وحاصروها خمسة وأربعين يوما ، وكادت تسقط فى أيديهم لولا أن جوسلين الثانى - صاحب تل باشر - اتصل بأحد قواد القوات الاسلامية الأكراد ، واتفق معه على رفع الحصار عن تل باشر مقابل مبلغ من المال (٥) . وفى نفس الوقت اتصل رضوان - صاحب حلب - بمودود - أتابك الموصل - يستنجده على الفرنجة - الذين

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٥٩

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥
Setton: A History of the Crusades Vol.I p.399

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٥٩

واستعطافاتهم على حلب ، وهكذا أتيحت الفرصة للقائد الكردى ليقنع (١) مودود برفع الحصار عن تل باشر ، والسير الى حلب (٢) . غير أن القوات الاسلامية التى اتجهت اليها مالبث أن هاجمها جوسلين (٣) - ولما اقتربت قوات الموصل والجزيرة من حلب أدرك أميرها رضوان أن تلك القوات وهؤلاء الأمراء الذين يتولون قيادتها يشكلون خطرا عليه وعلى سلطانه (٤) ، ومن ثم لم يخرج لاستقبال مودود وحلفائه ، بل أغلق أغلق أبواب حلب فى وجوههم (٥) .

لم يكف مودود - أتابك الموصل - عن مواصلة جهاد الفرنجة ، فسار على رأس قوات الموصل والجزيرة الى معرة النعمان لاسترداد النواحى التى استولى عليها تانكرد - صاحب أنطاكية - وانضم اليه طفتكين

---

(١) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2p.122

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٧ .
Setton: A History of the Crusades Vol.I p.406

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ
Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.122

(٤) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧
Grousset: Histoire des Croisades Vol.I p.465

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ص ١٥٩
Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.400

ـ أتابك دمشق ـ لكن حدثت خلافات بين الأمراء المشتركين في حملة مودود وبين (١) أتابك دمشق الذى طلب منهم المسير الى طرابلس والاستيلاء عليها (٢) ، فأبوا اجابة طلبه لأنهم رأوا في ذلك مخاطرة لا يستفيد منها الا هو (٣) ، كما أن ـ أتابك دمشق ـ رفض التعاون مع هؤلاء الأمراء (٤) ، وتوجس منهم خيفة حين علم أن بعضهم يزمع التآمر عليه بغية انتزاع دمشق منه ، فشرع في مهادنة الفرنجة سرا (٥) ، وسرعان ماتفرق الأمراء المسلمون ولم يبق مع مودود سوى اياز بن ايلغازى وطفتكين فاتجهوا الى نهر العاصى (٦) .

لما علم الفرنجة بتفرق القوات الاسلامية ، عولوا على استغلال هذه الفرصة لتحقيق مطامعهم ، فساروا الى فامية بقيادة بلدوين الأول ـ ملك بيت المقدس

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤ ـ ١٧٥

(٣) Setton: A History of the Crusades Vol. 1 p.400

(٤) لم يكن مودود بين هؤلاء الأمراء اذ كان متحالفا مع طفتكين .

(٥) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.126

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ .

وبلدوين دى بورج - أمير الرها - ، وجوسلين - صاحب تل باشر - وبرترام - أمير طرابلس - عندما اقتربوا من شيزر (١) ، استنجد صاحبها - سلطان بن منقذ - بمودود (٢) فاستجاب له ، وسار الى شيزر ، واشتبكت قواته مع قوات الفرنجة فى معركة دارت فيها الدائرة على الصليبيين (٣) .

ظل مودود - أتابك الموصل - يعمل على الاستيلاء على الامارات الصليبية فى بلاد الشام على الرغم مما واجهه من صعوبات فى سبيل تحقيق غايته ، فقصد الرها سنة ٥٠٦ هـ - (١١١٢م) منتهزا فرصة اتصال الأرمن - المقيمين فيها - سكانها (٤) به ، وتشجيعه على المسير اليهم لكراهتهم بلدوين دى بورج - أمير الرها -

---

(١) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.123

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧ .

(٣) Setton: A History of the Crusades. Vol.I p.400

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

ولما سار مودود الى هذه المدينة أبقى فيها فريقا من جنده لمحاصرتها ، بينما توجه الى سروج - على اعتبار أنها المركز الثانى للصليبيين شرقى الفرات - وحاصرها ، غير أن حاكم الرها فطن الى تآمر الأرمن عليه ، فأنزل بهم عقابا صارما . (١) أما جوسلين - صاحب تل باشر - فباغت عسكر الموصل ، ويبدو (٢) أن صاحب الموصل لم يأخذ حذره من الفرنجه ، وفى ذلك يقول ابن الاثير : " ولم يحذر منهم ، فلم يشعر الا وجوسلين - صاحب تل باشر - قد كبسهم " .

عاد أتابكة الموصل والجزيرة الى مهاجمة الامارات الصليبية فى بلاد الشام ، حين توالت غارات بلدوين الأول - ملك بيت المقدس - على دمشق ، (٣) فأعد مودود حملة اشترك فيها ايازين ايلغازى ، وبعض أمراء الجزيرة وساروا الى بلاد الشام (٤) حيث التقوا بطغتكين - أتابك دمشق - عند سلميه - من أعمال حماه - وعمدت القوات الاسلامية الى استدراج قوات الصليبيين الى نواحى دمشق ، واشتبكوا معهم فى معركة لقى فيها الصليبيون هزيمة فادحة سنة ٥٠٧ هـ - (١١١٣م) (٥)

---

(١) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.401

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

(٣) Setton: A History of the Crusades VolI.p.402

(٤) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.126

(٥) Grousset: Histoire des Croisades.Vol.I.p.484

أخذت القوات الاسلامية بعد ذلك النصر الذى أحرزته على الصليبيين تتابع اغاراتها على بلاد الفرنجة بين عكا وبيت المقدس ولم يفلح الفرنجة فى صد هجمات المسلمين (١) ، بل تحصنوا فى الاستحكامات والحصون دون أن يتمكنوا من مغادرتها (٢) ، ثم أذن مودود لقواته بالعودة الى العراق ، والبقاء هناك حتى الربيع ، وسار مع بعض خواصه الى دمشق (٣) حيث قتله الاسماعيليون (٤) بايماز من طغتكين — أتابك دمشق — ويذكر ابن الاثير أن طغتكين عمل على التخلص من مودود ، اذ رآه خطر يهدد حكمه فى دمشق ، ولما خشى من انتقام السلطان السلجوقى عقد هدنة مع بلدوين الأول — ملك بيت المقدس سنة ٥٠٨ هـ — (١١١٤م) ثم تحالف مع الفرنجة فى العام التالى (٥) .

تخلص الفرنجة بوفاة مودود من أقوى أعدائهم

كما تحطمت جهود السلاجقة الرامية الى تكوين جبهة اسلامية متحدة تقف فى وجه الصليبيين (٦) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٤ — ١٨٥

(٣) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.127

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

(٥) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.403

(٦) Ibid: The same page.

على أن السلطان محمد واصل سياسته فى العمل على استئناف الجهاد ضد الفرنجة ، فأسند أتابكية الموصل الى آقسنقر البرسقى (١) ، وأمره بقتال الصليبيين فأعد جيشا كبيرا انضم اليه صاحب ماديسن وعماد الدين زنكى ، وبعض أمراء الجزيرة (٢) ، وهاجمت القوات الاسلامية الرها وسروج وسميساط سنة ٥٠٨ هـ - (١١١٤م) (٣) .

حالت الخلافات التى ظهرت بين أتابكة الموصل والجزيرة دون تنفيذ سياستهم فى محاربة الصليبيين فنشب النزاع بين آقسنقر البرسقى - أتابك الموصل - وايازبن ايلغازى (٤) - ولما وقع اياز أسيرا فى يد البرسقى ، استدعى أبوه ايلغازى جند التركمان (٥) وهاجم البرسقى ، وهزمه وأرغمه على العودة الى الموصل ، ولم يلبث بعد ذلك أن عزله السلطان السلجوقى محمد ، وأحل محله فى

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٢) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.403

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٤) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.404

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

أتابكية الموصل جيوش بك - أما ايلغازى بن ارتق فخشى انتقام السلطان (١) السلجوقى منه ، وسار الى الشام حيث تحالف مع طغتكين - أتابك دمشق (٢) - واتفقا على الوقوف فى وجه السلطان محمد ، بل تحالف مع الفرنجة وراسلا روجر - صاحب أنطاكية (٣) .

واصل السلطان السلجوقى محمد مناهضة الصليبيين ، فأعد قوات كبيرة ضمت جيش الموصل بقيادة أتابكها جيوش بك وجند الجزيرة ، وأسند قيادة هذه القوات الى برسق - أمير همدان وأصفهان - وطلب السلطان من هذا الأمير البدء بالتخلص من طغتكين وايلغازى .

سار برسق الى الرها وحاصرها ، ثم مالبث أن رفع عنها الحصار واتجه الى حلب ، بعد أن علم أن لؤلؤ - نائب أمير حلب - انضم الى ايلغازى وطغتكين ، فلما اقترب منها أرسل اليه يطالبه بتسليمها ، وعرض عليه كتب السلطان بذلك ، لكن لؤلؤ رفض تسليم حلب (٤) ، واستنجد بطغتكين وايلغازى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٢) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.131

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ هـ

(٤) Setton: A History of the Crusades. Vol.I p.464

فسار الى حلب ، وكان ذلك مما حمل برسق على العدول عن مهاجمتها وقصد حماه - وكانت في حوزة طغتكين ، فاستولى عليها بمساعدة أمير حمص (١) .

استنجد طغتكين ببلدوين الأول - ملك بيت المقدس - وبونز - أمير طرابلس - فخشي برسق من تجمع أعدائه وعاد الى الجزيرة ، غير أنه لم يلبث أن أنقض فجأة على كفر طاب ، فاستولى على قلعتها (٢) ، وسلمها الى بني منقذ - أصحاب شيزر - ثم سارت قوات الموصل والجزيرة الى قلعة فاميه - وكانت وقتذاك خاضعة للفرنجة - ، فلما شاهدت هذه القوات تحصيناتها القوية انصرفت عنها الى المعرة (٣) ، لكنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها ، واتجه جيوش بك - أتابك الموصل - الى بزاعة ، وانتزعها من الفرنجة ، بينما اتجه جيش برسق الى حلب مما اضطر روجر - أمير أنطاكية - الى المسير للقاء المسلمين سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥م) فالتقى بجند الموصل والجزيرة على مقربة من مدينة سرمين حيث أنقض عليهم (٤) فأدى ذلك الى اثارة الاضطراب بين قوات المسلمين وعجز

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٧٦

(٢) نفس المصدر : جـ ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧

(٣) Runciman: A History of the Crusaders Vol.2 p.131-132

Grousset: Histoire des Croisades.Vol.I.pp.510-511

(٤)

موسق عن جمع شملهم (١) وحلت به الهزيمة (٢) .

لم يحاول سلاطين السلاجقة فى العراق - بعد هذه الهزيمة - استعادة الشام من الفرنجة ، كما أن السلطان محمد لم يعد مستعدا لانفاذ حملة أخرى لمحاربة الصليبيين ومن ثم تمتعت الامارات الصليبية بقدر من الهدوء لم تعرفه من قبل . أما روجر - صاحب انطاكية - فانه سار الى كفرطاب واستعاده الى حوزته ، ومن ناحية أخرى ، فقد أزعج ذلك الانتصار الذى أحرزه الصليبيون طغتكين - أتابك دمشق - وايلغازى بن أرتق - أمير ماردين - وسارعا الى مصالحة السلطان السلجوقى (٣) .

ظلت الموصل والجزيرة محط أنظار المسلمين فى بلاد الشام (٥) فلما اضطربت الأمور فى حلب (٤) بعد مقتل حاكمها لؤلؤ سنة ٥١٠ هـ - (١١١٧م) ، سار روجر أمير أنطاكية اليها ، واستولى على بعض أعمالها (٦) ، وساءت الأحوال

---

(١) Setton: A History of the Crusades Vol.I.pp.404-405

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ هـ

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٧٩ - ١٨١
Setton: A History of the Crusades.Vol.I.pp.404-405

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٧٩ - ١٨١

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٨

(٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

الاقتصادية في هذه المدينة ، فلم يتوافر فيها من المؤن مايكفي أهلها واستبد بهم الخوف ، ولو أتيحت لهم الفرصة للرحيل عنها لما ترددوا في ذلك (١) ، غير أن هذه المدينة مالبثت أن دخلت في حوزة نجم الدين ايلغازى ـ أمير ماردين ـ الذى سار اليها سنة ٥١١ هـ ـ (١١١٧ م) (٢) ورحب به أهلها لاعتقادهم أن قواته من جند التركمان قادرة على حماية بلدهم من خطر الفرنجة (٣) ٠

بذل ايلغازى أموالا للفرنجة مقابل هدنة عقدها معهم ، ثم سار الى ماردين لجمع العساكر ، واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش (٤) ٠

على أن الفرنجة مالبثوا أن نقضوا هذه الهدنة ، ففي سنة ٥١٢ ـ (١١١٨ م) هاجم روجر ـ أمير أنطاكية ـ عزاز والبراعة (٥) ، واستولى عليهما

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ص ١٨٠ ـ ١٨١

(٢) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 pp. 133-134

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٩ ٠

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٢ هـ ٠
Setton: A History of the Crusades. Vol.I p.405

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٧

وكانتا فى حوزة ايلغازى بن أرتق ، وبذلك انقطع الطريق الذى يصل بين حلب والبلاد الواقعة شرقى الفرات ، ثم أغار صاحب انطاكية على حلب (١) ، ولم يكن بها من الذخائر مايكفيها ، وبلغ من تخوف أهل حلب من الفرنجة أنهم تقاسموا معهم أملاكهم التى بباب حلب (٢) .

عاد ايلغازى بن أرتق — أمير ماردين — الى حمل لواء الجهاد ضد الصليبيين سنة ٥١٣ هـ — (١١١٩م) حين خرج الى الشام على رأس عشرين ألف مقاتل من العرب والأكراد والتركمان (٣) ، فنزل روجر — أمير انطاكية على مقربة من الاثارب ظنا منه أن أحدا لا يستطيع اعتراض قواته لضيق الطريق ، وأرسل الى ايلغازى يهدده ويحذره (٤) ، على أن ايلغازى لم يعبأ بتهديد الفرنجة

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٢) يذكر ابن العديم أن ايلغازى جدد الأيمان على الأمراء والمقدمين بأن يناصحوا فى حربهم ، ويصابروا فى قتال العدو ، وأنهم لا ينكلون ويبذلون مهجهم فى الجهاد ، فحلفوا على ذلك بنفوس طيبة .

(زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٨٧)

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٤) Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p. 153

فهاجم بلاد الرها ، وألحق بالفرنجة خسائر فادحة ، ثم عبر الفرات ، ومضى الى تفسرين — جنوب دمشق — ، فانضم اليه طفتكين ، وشنت القوات الاسلامية عدة هجمات على حارم وجبل السماق ، على حين هاجم بنو منقذ — أصحاب شيزر — الأراضي التى فى حوزة روجر — أمير أنطاكية — رغبة فى اشغاله عن مقاتلة المسلمين .(١)

استنجد روجر بجوسلين — أمير الرها — وبونز — أمير طرابلس — وبلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — (٢) ولما أتم ايلغازى اعداد قواته انقض على جيش الفرنجة وأحاط به ، وأنقطع وصول الامدادات الى الصليبيين مما اضطر روجر الى اقتحام صفوف القوات الاسلامية حتى لا يتعرض هو وجيشه للهلاك (٣) ، لكن المسلمين مالبثوا أن أوقعوا الهزيمة بالفرنجة (٤) ، وخر روجر صريعا فى ميدان القتال ، ولم ينج من فرسانه الا القليل ، ووقع فى أيدى المسلمين من السبى والغنائم والدواب مالا يحصى (٥) . وبلغ من كثرة ماقتل من الصليبيين فى هذه

---

(١) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 P;153

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ص ١٨٧

(٣) نفس المصدر ج٢ص ١٩٠

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٥) Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.413

الواقعة أن أطلقوا على السهل الذى دارت فيه اسم ساحة الدم (١) .

كفل انتصار المسلمين على الصليبيين فى واقعة ساحة الدم الأمان لمدينة حلب ، وفى نفس الوقت أصبح الطريق الى أنطاكية مفتوحا أمام قوات ايلغازى (٢) ، ولو أنه سار لمنازلتها لما استعصت عليه (٣) . غير أن ايلغازى قصد الأثارب ، واستولى عليها ، ثم زحف الى زردنا وامتلكها ، وخشى بلدوين الثانى ملك بيت المقدس تحرك المسلمين جنوبا لانتزاع بعض أملاكه ، فسار اليهم واشتبك مع ايلغازى فى معركة غير حاسمة (٤) ، عاد بعدها الأمير الأرتقى الى حلب ، وأصلح أمورها (٥) .

---

(١) Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p. 153

(٢) Ibid: Vol. 2 p. 155

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ١٩٤

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ

استقر رأى بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس - على المسير الى انطاكية وتحصينها ، كما ولى الوصاية عليها ريثما يبلغ بوهمند - أميرها الشرعى - سن الرشد (١) ، وانضم اليه جوسلين - صاحب تل باشر - فى الدفاع عن انطاكية بسبب تعرضها لغارات ايلغازى بن أرتق (٢) ، غير أن الأمير الأرتقى مالبث أن أن عقد هدنة مع الفرنجة تضمنت اعترافه بامتلاك امارة انطاكية البلاد الواقعة شرق نهر العاصى (٣) .

على أن الفرنجة سرعان مانقضوا هذه الهدنة ، وأغاروا على بلاد الشام والجزيرة ونهبوها (٤) ، وتوالت غارات جوسلين - أمير الرها - على منبج وبزاعة والاثارب (٥) كما انتهز بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس فرصة ثورة سليمان بن ايلغازى - والى حلب - على أبيه ، فشن غارات على أعمال حلب مما اضطر ايلغازى الى عقد صلح مع بلدوين الثانى ، نزل له فيها عن

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ

(٢) Setton: A Histor y of the Crusades. Vol I pp. 415-416

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص١٩٦ - ١٩٧

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol 2. P. 159

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٩٨

زردنا والأثارب سنة ٥١٥ هـ (١١٢٢م) .[1]

أتاحت هذه الهدنة لايلغازى بن أرتق — أمير ماردين وحلب — الفرصة لجمع قوات كبيرة من جند التركمان من ديار بكر ، ثم عبر بهم الفرات قاصدا الشام لمواصلة جهاد الصليبيين[2] ، وحاصر هو وابن أخيه بلك بن بهرام الأرتقى زردنا[3] ، واشتبكا مع بلدوين فى قتال حول الأثارب سنة ٥١٥ هـ — (١١٢٥م)[4] غير أن ايلغازى مالبث أن انسحب الى حلب لمرضه[5] .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ١٩٨

(٢) انتهز ايلغازى بن أرتق فرصة خروج بونز — أمير طرابلس — على طاعة ملك بيت المقدس ، ومسير بلدوين الثانى الى طرابلس لارغام بونز على الدخول فى طاعته .
(Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.161)

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ص ٢٠٣ — ٢٠٤

(٤) Setton: A History of the Crusades .Vol.I.p.417

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ص ٢٠٤ — ٢٠٦

أما بلك بن بهرام الأرتقي فسار الى الرها ، وحاصرها ، لكنه عجز عن الاستيلاء عليها ، ورفع عنها الحصار ، ولما علم أن أميرها يتعقبه ، عول على مهاجمته ، وأجل بقواته المهزيمة ، وانتهت هذه المعركة (١) بأسر جوسلين، ٥١٥ هـ (١١٢٢م) ، ونقله الى قلعة خرتبرت (٢) حيث عرض عليه الأمير بلك اطلاق سراحه مقابل النزول عن الرها ، لكنه رفض (٣) .

أضعفت وفاة ايلغازى بن أرتق من شأن الأراتقة بسبب اقتسام أملاكه بين أولاده وأقاربه ، فآلت حلب الى سليمان بن عبد الجبار الأرتقي ، واستفاد الملك بلك وبن الثاني من ضعف الأراتقة ، فاستولى على البيرة — شرقى حلب — واقليم بزاعة وما من بالقرب من حلب (٤) ، ولما عجز سليمان عن رد هجماتهم عقد صلحا مع بلك وبن الثاني تضمن اعادة الأثارب اليه سنة ٥١٧ هـ — (١١٢٣م)

---

(١) نصب بلك له كمينا في موضع رطب زاده سوءا انهمار الأمطار ، فانزلقت أرجل الخيل ، وتعثرت في سيرها ، ولم يجد فرسان التركمان صعوبة في تطويق الفرنجة ، فقتلوهم عن آخرهم .
(Setton: A History of the Crusades. Vol. I. p. 418)

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ

(٣) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 161

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .

في مقابل أن يكف الفرنجة عن بلاده (١) •

ولما علم بلك بن بهرام بن أرتق أن صاحب حلب نزل عن حصن الاثارب للفرنجة ، عظم ذلك عليه وأنكره ، فسار الى حران وملكها (٢) ، ثم قصد حلب وهاجمها ومنع الميرة عنها (٣) ، واضطر صاحب حلب الى تسليم البلدة لابن عمه بلك ابن بهرام (٤) •

كان لوقوع جوسلين - أمير تل باشر - أسيرا (٥) أثر بالغ في نفوس الفرنجة فولى بلدوين الثاني - ملك بيت المقدس - امارة الرها ، وسار على رأس قوة صغيرة وأقام معسكرا في موضع لا يبعد كثيرا عن كركر - الواقعة على نهر الفرات ، والتي انتزعها بلك من الفرنجة (٦) ، لكن بلك سرعان ما انقض على

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ٢ ص ٢١٠

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ

Runciman: A History of the Crusades.Vol.2p.167

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩

(٥) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.422

(٦) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ

معسكر بلدوين ، وقضى على كثير من جند الفرنجة ، وأسر بلدوين ، ثم نقل الى قلعة خرتبرت (١) .

عول الفرنجة على الانتقام من بلك فهاجموه ، بينما كان يحاصر منبج لانتزاعها منه ، فتصدى لهم ، وألحق بهم الهزيمة ، ثم عاد الى منبج حيث انتهت حياته أثناء حصاره القلعة سنة ٥١٨ — (١١٢٤م) (٢) .

تفرق عسكر بلك اثر وفاته ، فسار حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى — أمير ماردين — الى حلب ، واستولى عليها (٣) ، ونازعه فى حكمها الأمير دبيس بن صدقة

---

(١) فر بلدوين الثانى من الأسر بعد أن حلف للأسرى الفرنجة " على أنه لا يغير ثيابه ، ولا يأكل لحما ، ولا يشرب الا وقت القربان الا أن يجمع الجموع الفرنجية ، ويصل بهم الى خرتبرت ويخلصهم " وسار اليهم جوسلين حينما ساعد سكان القلعة الأرمن ، بلدوين والأسرى الفرنجة فى الاستيلاء على القلعة ، غير أن بلك ، لم يمكن جوسلين من القلعة واستعادها ، ورتب فيها من يحفظها ، ونقل بلدوين الى حران .

ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ص٢١٣

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

Runciman: A History of the Crusades. Vol.2. pp.163-165

(٢) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج٢ص٢٤٩

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ص ٢١٧ — ٢١٩

- صاحب الحله - وفى هذه الاثناء رأى حسام الدين أن يطلق سراح بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس - بعد أن تعهد بأداء مبلغ كبير من المال (١) ، وأن يعيد الى حلب مدن الاثارب وزردنا وعزاز وكفر طاب والجسر ، وأن يقف الى جانبه فى قتال دبيس بن صدقه ، وأن يحتفظ صاحب حلب بالرهائن ريثما يؤدى بلدوين الفدية كاملة . غير أن ملك بيت المقدس تخلى عن تعهداتـه بعد اطلاق سراحه (٢) .

ولما انتزع الفرنجة مدينة صور من الفاطميين سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م)، طمعوا فى الاستيلاء على بقية مدن الشام (٤) فقصدوا حلب ، وانضم اليهم دبيس بن صدقه - صاحب الحله - وياغى سيان الأرتقى وسلطان شاه بن رضوان . غير أن حسام الدين تمرتاش - صاحب ماردين وحلب - لم يغادر ديار بكر لنجـدة أهل حلب ، ويرجع السبب فى ذلك الى (٤) الانشغاله بالاستيلاء على ميافارقين بعد وفاة سليمان ، وظـل

---

(١) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2p.165

(٢) Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.423

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٤) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.452

أهل حلب يقاومون الفرنجة حتى ضعفت مقاومتهم (١) فلجأوا الى البرسقى - أتابك الموصل - وبعثوا اليه يستنجدونه فلبى طلبهم ، ولما أشرفت قوات الموصل على حلب ، رحل الفرنجة وحلفاؤهم عنها (٢) (٣) . ورأى البرسقى أن من المصلحة عدم تتبع الفرنجة حتى تستقر الأمور فى حلب ، ولما دخلها رحب به أهلها (٤) .

وهكذا اتحدت حلب والموصل تحت زعامة آقسنقر البرسقى ، مما يعتبر نواة لتكوين جبهة اسلامية ، تستطيع الوقوف فى وجه الصليبيين (٥) .

ظل البرسقى يواصل الحرب ضد الصليبيين بعد عودته الى الموصل ، فسار الى الشام ، وشن عدة هجمات على بلاد أنطاكية ، وحاصر الاثارب (٦) ، ثم اضطر

---

(١) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٤٩

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٣) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.173

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٥) سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦١

(٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٩ هـ
Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.173-174

الى رفع الحصار عنها والمسودة الى حلب ثم الى الموصل حيث قتله الاسماعيليه (١)، فخلفه ابنه عزالدين مسعود . لكنه لم يكن كأبيه فى جهاد الفرنجة ، ولم يلبث أن توفى ، وسادت الفوضى مدينة حلب ، فولى الناس عليهم أميرا من بنى أرتق يدعى سليمان بن عبدالجبار (٢)، فانتهز جوسلين - أمير الرها - وبوهمند الثانى - صاحب أنطاكية - فرصة ذلك الاضطراب الذى ساد حلب (٣)، وحاولا الاستيلاء عليها (٤) غير أن محاولتهما باءت بالفشل (٥). ولم يمض غير قليل حتى دخل عماد الدين زنكى بن آقسنقر هذه المدينة سنة ٥٢٢ هـ - (١١٢٩ م) حاملا تقليدا بحكمها من السلطان

---

(١) Setton: A History of the Crusades Vol.I.pp. 426-427

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٣٧

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة سنة ٥٢٢ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٣٧ - ٣٨

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٨

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج١ ص ٢٤١ - ٢٤٣

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٣٨ - ٣٩

السلجوقى[1] ، فأحسن أهلها استقباله[2] . وبانضمام حلب الى الموصل تحت سلطان زنكى ، انتقل صراع أتابكة الموصل والجزيرة مع الصليبيين الى دور جديد .

واصل عماد الدين زنكى سياسة أسلافه — أتابكة الموصل — فى مجاهدة الفرنجة بعد أن استفحل خطرهم فى بلاد الشام[3] ، وامتد ملكهم من ناحية ماردين الى عريش مصر ، فيما عدا حلب وحمص وحماه ودمشق التى بقيت فى حوزة بعض الأمراء المسلمين[4] ، بل ان هذه البلاد تعرضت لغارات متعددة شنها الفرنجة بغية السلب والنهب ، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا اتاوات على البلاد المجاورة[5]

---

(١) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.453

(٢) ويذكر ابن الاثير أن أهل حلب أظهروا من الفرح والسرور بمقدم زنكى مالا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى . (التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٣٧ — ٣٨)

(٣) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النوريه ورقة ٦١
Grousset: Histoire des Croisades.Vol.I.p.668

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ .

(٥) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص٣٢ — ٣٣

لهم ، مقابل عدم اعتدائهم عليهم (١) .

بدأ زنكى يناهض الصليبيين منذ سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩م) وعلى الرغم من أنه لم يستفد من الاضطرابات التى حدثت بأنطاكية بعد مقتل أميرها بوهمند الثانى (٢) ، فانه عمد الى مهاجمة بعض حصون الفرنجة التى تهدد ممتلكاته فى بلاد الشام ومنها حصن الاثارب (٣) سنة ٥٢٤ هـ — (١١٣٠م) — بين حلب وأنطاكية — وكان أهل حلب يلاقون كثيرا من الضر والضيق من هذا الحصن الذى اتخذه الفرنجة قاعدة لمهاجمة حلب ، ونهب أموالها ومحاصيلها (٤) ، بل

---

(١) Archer: The Crusades P;199
Stevenson: The Crusaders in the East

(٢) حينما قتل بوهمند الثانى — أمير أنطاكية — على يد الترك السلاجقة بآسيا الصغرى ، رفضت زوجته أليس تولية ابنة بوهمند — كونستانس — الحكم وانفردت بالسلطان ، وطلبت من عماد الدين زنكى مساعدتها ، تعهدت له بالدخول فى طاعته اذا عمل على ابقاء أنطاكية فى حوزتها . غير أن بلدوين الثانى — ملك بيت المقدس — سار الى أنطاكية ، واحبط مؤامرة أليس .
(Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.431)

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : حوادث سنة ٥٢٤ هـ

(٤) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٣٩
Grousset: Histoire des Croisades.Vol.I.pp.675-676

بل كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها الغربية (١) ، فلما هاجم عماد الدين زنكي هذا الحصن ، حشد الفرنجة جنودهم لصده ، ودارت بين عماد الدين والصليبيين معركة حلت فيها الهزيمة بهم (٢) ، ووقع كثير من فرسانهم في الأسر (٣) ، واستطاع أتابك الموصل أن يستولى على حصن الاثارب عنوة (٤) ثم سار زنكي من الاثارب الى قلعة حارم - على مقربة من أنطاكية - فحاصرها ، وضيق عليها الحصار . ولما رأى الفرنجة أنه لا طاقة لهم بزنكي وجنده ، عرضوا عليه الكف عنهم في مقابل منحه نصف دخل بلدهم ، فأجابهم الى ذلك

---

(١) لما احتشد الفرنجة للدفاع عن الحصن ، استشار زنكي أصحابه فيما يفعل فأشاروا عليه بالعودة الى الحصن خوفا من الهزيمة ، ولكن زنكي رفض مشورتهم ، وقال لأصحابه ، ان الفرنجة متى رأونا قد عدنا عن الحصن طمعوا وساروا في أثرنا ، وخربوا بلادنا .

(ابن الأثير) الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ)

(٢) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٣

(٣) ابوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين ج١ ص ٧٨

(٤) دمر عماد الدين زنكي هذا الحصن بعد الاستيلاء عليه ، وقال لقواته : " ان هذا أول مصاف عملناه معهم ، فلنذقهم من بأسنا مايبقى رعبه في قلوبهم " .

(ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج١ ص ٤٢)

Archer: The Crusades.p.200

ورفع الحصار عن حارم (١) .

على أن عماد الدين زنكي انصرف بعض الوقت عن قتال الصليبيين بعد عودته الى العراق ، وانشغاله بالصراع الدائر بين السلاجقة والخلفاء العباسيين ، والاضطرابات التي أثارها الأكراد في شمال العراق (٢) .

وعلى الرغم من تغيب زنكي عن الشام ، فان جهوده في محاربة الصليبيين لم تتوقف ، فأمد سيف الدين سوار – نائبه في حلب – بجند من التركمان وطلب اليه مجاهدة الفرنجة ، فشن سوار هجمات على انطاكية مما حصل أهلها على الاستنجاد بفولك – ملك بيت المقدس – فسار الى انطاكية (٣) ، وفي طريقه اليها علم أن سيف الدين سوار هاجم تل باشر التابعة لامارة الرها – وغنم منها مغانم كثيرة (٤) ، ولم يستطع الصليبيين صده عنها ، فتقدم فولك الى قنسرين ، حيث كان سوار معسكرا بقواته ، واشتبك الفريقان في معركة انتصر فيها الصليبيون (٥) ، وعاد فولك الى فلسطين سنة ٥٢٧ هـ – (١١٣٢م) (٦) .

---

(١) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ٧٨
Stevenson: The Crusaders in the East.p.43

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ٤٣ وما بعدها .

(٣) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.194

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٦٠

(٥) Setton: A History of the Crusades.Vol.I pp.431-432

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٧ هـ

انتهز سوار فرصة الفتن الداخلية التى حدثت فى أنطاكية نتيجـــة النزاع على الحكم ، فهاجم انطاكية (١) والقرى الصليبية المجاورة لهـا (٢) حتى بلغت غاراته اللاذقية (٣) سنة ٥٢٠ هـ - (١١٢٥م) ويذكر ابن القلانسى (٤) أن جند زنكى عادوا الى حلب ومعهم مايزيد على سبعة آلاف أسير عـدا ماغنمـوه من الدواب والأسلحـة .

رأى عماد الدين زنكى بعد عودته الى بلاد الشام سنة ٥٣١ هـ (١١٣٧م) أن يعمل على تحقيق سياسته فى اقامة جبهة اسلامية متحدة حتى يتيسر لـه استئناف الحرب ضد الصليبيين ، فهاجم حمص مرة أخرى لكن معين الدين أنر - واليها من قبل أتابك دمشق - تصدى له (٥)، بل استعان عليه بالفرنجة (٦)

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٢

سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان (القسم الأول)

جـ ٨ ص ١٤٦

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ٢ ص ٢١٠

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٠ هـ

(٤) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٥) Stevenson: The Crusaders in the East.p.137

(٦) Grousset: Histoire des Croisdes.Vol.2 pp.69-70

فسار الصليبيون الى حمص لمنع زنكي عنها ، فاضطر أتابك الموصل الى رفع الحصار عن حمص ، وسار لمواجهة الصليبيين عند بارين — بين حماه وحمص — وكان الصليبيون قد اتخذوها قاعدة يشنون منها الغارات على البلاد الواقعة بين حمص وحماه (١) .

استنجد ريموند — صاحب طرابلس — بفولك ملك بيت المقدس (٢) ، واشتبكا مع عماد الدين في معركة رهيبة في صدده عن بارين (٣) ، لكن عماد الدين زنكي هزم الفرنجة ، وألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد (٤) ، ووقع في الأسر كثيرون ، منهم ريموند — أمير طرابلس — بينما فر فولك الى حصن بارين ، واحتمى به ، واضطر الى الاستنجاد ببطريرك بيت المقدس ، وأميري الرها وأنطاكية . وقد لبى هؤلاء الثلاثة طلبه وخرجوا لنجدته على رأس جيش كبير (٦) . غير أن جند زنكي شددوا الحصار على القلعة وقذفوها بالمنجنيقات ، ولما ندرت الذخائر والمؤن لدى الفرنجة اضطر فولك الى طلب الأمان من زنكي في مقابل تسليم القلعة ،

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩

(٢) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٧ — ٨٨
Setton: A Hisbory of the Crusades Vol.I.p.438

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٧٢ — ٧٣

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٩ — ٦١
Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.204

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١ — ٢٦٢

فاظهر زنكي في بداية الأمر عدم اكتراثه بهم.(١) لكنه حين بلغه اقتراب جيوش الفرنجة — الذين استنجد بهم فولك — منح الأمان لجند هم المحاصرين بالقلعة في مقابل تسليمها(٢)، وأذن للملك فولك وفرسانه بمغادرة القلعة(٣) والعودة الى بلادهم، كما أطلق سراح — أمير أنطاكية — وجميع أسرى الحرب الأخيرة(٤)، واستولى على القلعة وأنفذ اليه الفرنجة خمسين ألف دينار مقابل اطلاق سراح أسراهم.(٥)

كان لاستيلاء زنكي على قلعة بارين أهمية كبيرة اذ أن امتلاكه لها يعوق الفرنجة عن الوصول الى أعالي وادي نهر العاصي فضلا عن أنه يمكن زنكي من السيطرة على حمص وحماه اللتين كانتا في دائرة نفوذ دمشق.(٦)

---

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦١

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٦٢

(٤) Setton: A History of the Crusades Vol.I.p.438

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ

(٦) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.204

وبينما كان زنكي محاصرا لقلعة بارين ، تمكن من فتح معرة النعمان وكفرطاب وغيرها من البلاد الواقعة بين حلب وحماه (١)، ومما يجدر ذكره أن هذه البلاد أفادت من استيلاء زنكي عليها ، اذ عمرت وزاد دخلها (٢) .

واصل زنكي سياسته التي تنطوي على توحيد القوى الاسلامية في الشام لمواجهة الخطر الصليبي ، فهاجم دمشق سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩م) مما اضطر معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — الى الاستنجاد بالصليبيين (٣)، وبذل لهم الأموال في مقابل صد زنكي عن دمشق ، فخرجوا لنصرته (٤)، لانهم أيقنوا بالخطر الذي يواجههم من جراء استيلاء زنكي على دمشق (٥) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢١ هـ

Zoe Olden Bourg : Les Croisades.p.521

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٣) أرسل معين الدين أنر ، أسامه بن منقذ الى بيت المقدس للسعي الى الاتفاق مع الفرنجة على زنكي ، فاتفق أسامه معهم على أن يساعد أنر الفرنجة في انتزاع بانياس من عماد الدين زنكي ، وأن يبذل أمير دمشق للفرنجة ٢٠ ألف دينار كل شهر يحشد بها الفرنجة قوات لمحاربة زنكي ، وأن يجعل صاحب دمشق رهائن عند الفرنجة ضمانا لتنفيذ الاتفاق .

(أسامه بن منقذ : الاعتبار ص ٨)

(٤) Archer: The Crusades. p.196

(٥) Runciman: A History of the Crusades Vol.2 p.227

ولما سارت الفرنجة الى دمشق ، اضطر عماد الدين زنكي الى رفع الحصار عنها وقصد حوران معتزما قتال الفرنجة قبل أن يلتقوا بأهالي دمشق ، غير أن الفرنجة لم يواصلوا زحفهم الى هذه المدينة خوفا من وقوع اشتباك بينهم وبين عماد الدين زنكي (١) .

أما عن موقف معين الدين أنر - نائب أتابك دمشق - فانه عمل على الوفاء بتعهداته للفرنجة ، فانتهز فرصة غياب - أتابك الموصل عن بلاد الشام (٢) وسار الى بانياس (٣) لانتزاعها وتسليمها للفرنجة - وكانت من أملاك زنكي - وانضم اليه فولك - ملك بيت المقدس - وريموند - أمير انطاكية - وعجز أهل بانياس - عن صد أنر وحلفائه عن بلدهم (٤) ، مما هون عليه أمر الاستيلاء

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٢) Grousset: Histoire des Croisades.Vol.2.p.137

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ١ ص ٨٨ - ٨٩

Zoe Olden Bourg: Les Croisades. p.568

(٤) Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.443

عليها ، وتسليمها للفرنجة[1] . وهكذا أدى التحالف بين حكام دمشق وبيت المقدس الى عرقلة الجهود التي بذلها عماد الدين زنكي في تكوين جبهة اسلامية متحدة تستطيع مواجهة الخطر الصليبي[2] .

على أن غارات قوات عماد الدين زنكي لم تتوقف في بلاد الشام ، فيذكر ابن العديم[3] أن الفرنجة لما أغاروا سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١م) على سرمين وعاثوا فيها سلبا ونهبا ، ثم تحولوا الى جبل السماق وكفرطاب[4] ، لم يقف قواد عماد الدين زنكي في بلاد الشام مكتوفي الأيدى ازاء أعمال الفرنجة التخريبية ، فاجتمع كثير من جند التركمان بقيادة علم الدين بن سيف الدين سوار ، وساروا الى أنطاكية ، وشنوا عليها غارات وغنموا منها كثيرا من الغنائم[5] .

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٢) زاد التحالف بين فولك ملك بيت المقدس وأنر نائب أتابك دمشق — حينما زار معين الدين أنر وأسامه بن منقذ الملك فولك في عكا ، واحسن استقبالهما ثم زارا حيفا وبيت المقدس .

(أسامه بن منقذ ، الاعتبار ص ١٩٦)

(٣) زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٧٥

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ

(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٤

واصل قادة زنكي جهودهم في مقاومة الصليبيين ، ففي سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) خرج القائد سيف الدين سوار — نائب زنكي في حلب — الى أنطاكية واشتبك مع بعض القوات الصليبية واوقع بهم الهزيمة وغنم منهم مغانم كثيرة ، ولما خرج صاحب أنطاكية الى بزاعة للانتقام من جند زنكي ، رده سوار على أعقابه[1] .

كما استولى عماد الدين زنكي في نفس السنة على بعض بلاد ديار بكر التي كانت في حوزة جوسلين — أمير الرها[2] — وعمل على اصلاح أمورها وأبقى بها حامية من الجند لدرء الاخطار التي تتعرض لها[3] .

كان للنزاع الذي حدث بين ريموند — صاحب أنطاكية — وجوسلين — أمير الرها — ، وضعف مملكة بيت المقدس على أثر وفاة ملكها فولك ، وعجز خليفته بلدوين الثالث عن المحافظة على وحدة الفرنجة في الشام وتوحيد كلمتهم ، أثر بالغ في اتاحة الفرصة أمام زنكي لاستئناف الجهاد ضد الصليبيين[4] ، فأعد جيشا لمهاجمة الرها التي كانت من أشرف المدن عند النصارى ، وأكثرها محلا[5] .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ٢ ص ٤٧٧

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٨ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني ايوب جـ١ ص ٩٢

(٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٨

Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades.p.263

Stevenson: The Crusaders in the East.p.153

(٤)

(٥) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢

كانت امارة الرها تشكل خطوا كبيرا على المسلمين (١) ، فأدى موقعها على خطوط المواصلات بين الموصل وحلب وبين بغداد ودولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى (٢) ، الى تعرض المسلمين لاخطار جسيمة (٣) ، كما أن الفرنجة اتخذوها قاعدة لشن غاراتهم على البلاد الجزرية (٤) .

رأى عماد الدين زنكى أنه اذا ماقصد الرها اجتمع بها من الفرنجة من يحمل على صده (٥) ، فيتعذر عليه فتحها ، فاتجه الى ديار بكر ليوهم الفرنجة أنه منشغل عنهم بمحاربة قرأ رسلان - أمير ماردين - الذى تحالف مع جوسلين الثانى - أمير الرها - (٦) وقد تمكن زنكى من انتزاع

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٩٢
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٧
أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧
(٤) على الرغم من أن الفرنجة اتخذوا الرها قاعدة لشن الغارات على المسلمين فقد يسر موقعها على المسلمين أمر الاستيلاء عليها ذلك أن نهر الفرات فصلها عن الامارات الصليبية ، وأحاط بها المسلمون من ثلاث جهات .
(Grousset: Histoire des Croisades.Vol.2 p.175)
(٥) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.235
(٦) Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.461

عدة قلاع في ديار بكر.(١) أما فيما يتعلق بأمير الرها فانه لم يتخل عن حليفه أمير ماردين(٢)، فخرج على رأس جيش كبير عبر به الفرات الى البلاد الشامية(٣) ليحول دون الاتصال بين حلب والموصل، وعسكر بقواته في تل باشر(٤). ولما وقف زنكي على تحركات ~~خاله~~ جوسلين، عقد الصلح مع الأراتقة، وسار الى الرها(٥).

لم يترك جوسلين في الرها حامية كبيرة(٦)، بل اعتمد في الدفاع عنها على السكان الأصليين من المسيحيين على الرغم من قلة خبرتهم(٧)

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج٢ ص ٢٧٦ — ٢٧٧

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣

(٤) Setton: A History of the Crusades. Vol. I p.461

(٥) قبل أن يصل زنكي الى الرها أرسل حملة استطلاعية بقيادة صلاح الدين الياغيسياني — أمير حماه — لمواجهة الرها، غير أن الياغيسياني ضل الطريق في ليلة حالكة الظلام غزيرة الامطار، فلم يبلغ بقواته الرها الا بعد أن وصل اليها عماد الدين زنكي. (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩).

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣ — ٩٤

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

بشؤون الحرب والقتال ، كما تولى الدفاع عن المدينة الجند المرتزقة (١) .

لما زحف عماد الدين زنكى الى الرها شاهد مدينة تجمع بين حسن التنسيق ، ودقة التحصين (٢) ، فراسل أهلها يعرض عليهم الأمان – لكن زعماء المسيحيين رفضوا ذلك العرض الذى تقدم به زنكى (٣) أملا فى أن تصل اليهم نجدات من جوسلين ، ومن أميرى أنطاكية وبيت المقدس (٤) .

على أن ريموند – أمير انطاكية – خيب أملهم حين رفض ارسال نجدة اليهم ، أما ميليسند – ملكة بيت المقدس – فأرسلت جيشا الى الرها ، لكنه (٥) وصل اليها بعد فتحها ، بينما ازدادت قوات عماد الدين زنكى بما أنضم اليها من الأكراد والتركمان (٦) .

حاصرت قوات عماد الدين زنكى الرها من جميع الجهات سنة ٥٣٩هـ(١١٤٤م) وحالت دون وصول الأقوات والميرة اليها (٧) ، ونصبت على أسوارها المنجنيقات (٨) ، وبعد

---

(١) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.235

(٢) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.461

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ص ٢٧٧ – ٢٧٩

(٤) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.273

(٥) Grousset: Histoire des Croisades.Vol.2 pp.179-180

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ – ٦٩

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٩٤
Archer: The Crusades.p.202

عدة هجمات ، تمكن جند الموصل من تحطيم أسوار الرها ، ودخلوا المدينة (١) بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما ، وفر أهلها الى قلعتها (٢) ، لكن هيو — (٣) رئيس الأساقفة اللاتين أمر باغلاق القلعة دونهم (٤) ، مما جعلهم يواجهون خطر هجوم قوات زنكى (٥) .

أما عن زنكى فانه أمر جنده بالكف عن قتال المسيحيين الشرقيين ، بينما حصرت قواته الفرنجة ، ونكلت بهم (٦) .

رأى زنكى بعد دخوله مدينة الرها أن يقطعها لزين الدين على كجك وطلب اليه أن يعمل على اصلاح أمورها ونشر العدل بين أهلها (٧) ، " فسار زين

---

(١) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. pp. 266-267

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

(٣) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ورقة ٦٢

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ — ٦٩

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٩٤

Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 p.273

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩

ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٧٩

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤

ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٩

Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 p.237

الدين في أهل الرها سيرة حسنة (١) ، وشملهم بعنايته ورعايتـه ، فطابت نفوسهم (٢) وانضموا الى المسلمين في الدفاع عن المدينة ضد هجمات الفرنجة الذين يخالفونهم في مذهبهم الديني . وهكذا عادت الرها الى حالها الأول مدينة مسيحية يحكمها (٣) أمراء مسلمون (٤) .

علت مكانة زنكي بعد ذلك الانتصار الرائع الذى أحرزه على الصليبيين ، فمنحه الخليفة العباسي الهدايا ، ولقبه بطل الاسلام ، الملك المظفر المنصور ، قاهـر الكفرة والمتمردين (٥) .

كان لسقوط الرها آثار بعيدة المدى على المسلمين ، اذ أنها أول امـــارة صليبية قامت في الشرق ، ولم يعد للفرنجة بعد زوالها الا بلاد تقع على ساحل البحر المتوسط كما أن سبل الاتصال بين حلب والموصل صارت آمنة (٦) .

لم يكتف عماد الدين زنكي بفتح الرها ، بل عول على انتزاع أعمالها مــــن جوسلين الثاني ، فسار الى سروج (٧) — التي تعتبر ثاني الحصون الصليبية الكبـيرة

---

(١) Vasileiv: History of the Byzantine Empire.p.418

(٢) ابوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين .
Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.461

(٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤

(٤) Grousset: Histoire des Croisades. Vol.2 pp.190-191

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٢

(٦) Cambridge Medieval History. Vol.5 p.307

(٧) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

الواقعة شرقى الفرات — • ويذكر ابن القلانسى[١] أن هذا الحصن كان محصنا تحصينا قويا • فلما نزل زنكى عليه • قطع عنه سائر مايصل اليه من المؤن والمعدات حتى استولى عليه[٢] •كما أمتلك زنكى البلاد والمعاقل التى كانت فى حوزة جوسلين على نهر الفرات[٣] • حتى لم يبق لهذا الأمير الصليبى سوى البيرة التى تتوافر فيها المؤن والذخائر • فحاصرها[٤] عماد الدين زنكى سنة ٥٣٩ هـ — (١١٤٥م)[٥] غير أن الفرنجة قاوموه مقاومة عنيفة • واضطر زنكى الى رفع الحصار عنها • وعاد الى الموصل[٦] لاقرار أمورها الى وضعها الصحيح[٧] • بعد محاولة السلطان السلجوقى ألب أرسلان الاستئثار بالسلطة فى أتابكيته[٨] •

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ص ٨٤

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٩ — ٧٠

Runciman : A History of the Crusades.Vol.2 p.237

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧٠ — ٧١

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٠

(٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠ — ٢٨١

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب ج ١ ص ٩٦

(٨) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.461

انتهز حسام الدين تمرتاش - أمير ماردين - فرصة رفع زنكي للحصار عن البيره ، وعودته الى بلاده ، وسار الى البيره ، وشدد الحصار عليها ، وحال دون وصول المؤن والذخيرة اليها (١) ، ولما عجز أهلها عن مقاومته ، رأوا أن من الخير تسليم بلدتهم لأمير ماردين خشية من وقوعها في يد زنكى (٢) ، وهونوا لتمرتاش (٤) أمر الاستيلاء على البيرة (٣) ، وهكذا لم يبق بيد الفرنجة أي بلد شرقي الفرات .

كان للهزائم التي ألحقها جند الموصل والجزيرة بالصليبيين في الشام أثر بالغ في نفوسهم (٥) ، فصولوا على الانتقام من المسلمين ، ففي سنة ٥٣٩ هـ - (١١٤٥ م) اجتمع حشد كبير من الصليبيين بنواحي انطاكية لاستعادة الرها واعمالها (٦) كما أن سكان الرها من الأرمن أرسلوا الى جوسلين الثاني يطلبون منه القدوم الى مدينتهم ، واستعادتها (٧) وخاصة أن زنكى ترك حامية صغيرة ، ولما

---

(١) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades.p. 288

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٣) أبو شامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ١ ص ١٠٣

(٤) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.238

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ٢ ص ٢٨١

(٦) Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.461

(٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢

علم عماد الدين زنكي بذلك باغت جموع الصليبيين ، وألحق بهم هزيمة ساحقة ، (١) وردهم على أعقابهم ، ثم سار الى الرها وقضى على المتآمرين . (٢)

كذلك عول زنكي على محاربة حسام الدين تمرتاش — صاحب ماردين — (٣) لاعتقاده أنه تحالف مع الفرنجة الذين مكنوه من ضم البيرة الى حوزته ، فهاجم ماردين ، واستولى على بعض أعمالها ، ثم سار نحو الجنوب سنة ٥٤١ هـ — (١١٤٦ م) (٤) لمحاربة سالم بن مالك — صاحب قلعة جعبر ، وهو من حلفاء الفرنجة — . غير أن زنكي مالبث أن وافته منيته ، اذ قتله أحد غلمانه . (٥)

استقر رأى جوسلين الثاني — بعد مقتل عماد الدين زنكي على استرداد البلاد التي انتزعت منه ، (٦) فأرسل الى أهل الرها سنة

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨١

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢

Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.239

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٨٤ — ٨٦

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٨ — ٩٩

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٢

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٠

٥٤١ هـ – (١١٤٦ م) يحرضهم على العصيان ، وتسليم البلد اليه ، فأجابوه الى ذلك ، وسار الى الرها ، واستعادها[1] . غير أن جند عماد الدين زنكي اعتصموا بالقلعة ، ورفضوا تسليمها الى الفرنجة[2] ، وسار سيف الدين غازي بن زنكي – الذي خلف أباه في حكم الموصل – الى الرها لنجدتها[3] ، كما زحف اليها أخوه نورالدين محمود – صاحب حلب[4] فلما بلغ ذلك جوسلين ، وأيقن بعجزه عن التصدى للقوات الاسلامية عاد أدراجه[5] .

وبذلك فشلت محاولة جوسلين استعادة الرها . لكنه لم يلبث رغم تلك الهزيمة التي حلت به أن واصل سياسته في العمل على استرداد هذه المدينة ، فأرسل الى البابا يوجين الثالث يستنجده ، ويطلب منه انفاذ حملة تمكنه من استعادة البلاد التي انتزعها منه

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤١ هـ

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٢

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب جـ ٢ ص ٢٩٠

(٤) Grousset: Histoire des Croisades.Vol.2 p.203

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٦

(٦) Vasiliev: History of the Byzantine Empire.p.418

المسلمون[١] ، وكان البابا قد وقف على ضعف شأن الفرنجة فى بلاد الشـــام من الحجاج والقادمين من بيت المقدس الى أوربا[٢] ، فقرر الدعوة الى حرب صليبية جديدة ، ولقيت دعوته موافقة كنراد الثالث — أمبراطور المانيا — ولويس السابع — ملك فرنسا[٣] .

سارت حملة صليبية ثانية الى بلاد الشام سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨م) على رأسها كونراد الثالث — أمبراطور ألمانيا — ولويس السابع — ملك فرنســا واتجهت الى هذه البلاد عن طريق آسيا الصغرى[٤] ، غير أنها لم تقم بالمهمة التى جاءت من أجلها وهى استرداد الرها[٥] ، واستعادة شمال الشـــام ، وانما عمدت الى مهاجمة دمشق[٦] ، على الرغم من أن أتابكة دمشق حرصـــوا على صداقة الفرنجـــة فى بلاد الشام[٧] ، وذلك تحت تأثير مملكة بيت المقـــدس

---

(١) Setton: A History of the Crusades. Vol. I p.466

(٢) Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p.247

(٣) Setton: A History of the Crusades. Vol. I p.467

(٤) Ibid: Vol. I. p.406

(٥) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٦) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص١١٢

(٧) أبو شامـــة ، الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص١٢٧

وأطماعها في التوسع ، اذ أدرك حكام بيت المقدس الأهمية العسكرية والاقتصادية لمدينة دمشق (١) .

اجتمع شمل هذه الحملة عند طبرية سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨م) ثم سارت عن طريق بانياس الى غوطة دمشق (٢) ، فأعد معين الدين أنر - نائب أتابك دمشق - العدة لمدها ، وبعث الى سيف الدين غازي - أتابك الموصل - يستنجده (٣) ، فسار الى دمشق على رأس عشرين ألف مقاتل وانضم اليه نورالدين محمود - صاحب حلب - (٤) فنزلوا بمدينة حمص ، وكتب سيف الدين غازي الى معين الدين أنر يقول له : " قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح في بلادى ، فأريد أن تكون نوابي بمدينة دمشق ، لأحضر أنا وألقى الفرنج ، فان انهزمت دخلت وعسكرى البلد ، واحتمينا به ، وان ظفرنا فالبلد لكم لاينازعكم فيه أحد " (٥) ، كما أرسل سيف الدين غازى الى الفرنجة

---

(١) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النوريه ورقة ٩٠
Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.406

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٧ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٨ ص ١٩٧

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٥) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٨٦
ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ١١٢

يطلب منهم الكف عن مهاجمة دمشق (١) ، ويتوعدهم بالحرب .

كذلك حذر معين الدين أنر الفرنجة المقيمين في بلاد الشام من سيف الدين غازي اذا استمروا في مهاجمة دمشق (٢) ، ومن مؤازرة الحملة الصليبية الثانيـــة (٣) وعرض عليهم النزول عن مدينة بانياس (٤) فضلا عن أموال كثيرة يمنحها لهـــــم

---

(١) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٩٠ — ٩١

Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.508

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٨٦

(٣) أرسل معين الدين أنر الى الفرنجة القادمين الى بلاد الشام يقول :

" ان ملك الشرق قد حضر ، فان رحلتم والا سلمت البلد اليه وحينئـــذ تندمون وأرسل الى الفرنجة المقيمين في بلاد الشام يقول : " بأي عقـــل تساعدون هؤلاء علينا ، وأنتم تعلمون أنهم ان ملكوا دمشق ، أخـــذ وا ما بأيديكم من البلاد الساحلية ، أما انا ان رأيت الضعف عن حفظ البلـــد سلمته الى سيف الدين ، وأنتم تعلمون أنه ان ملك دمشق لا يبقـــى لكم معه في الشام مقام .

(ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ١١٢)

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان القسم الاول جـ ٨ ص ١٩٨ .

فى مقابل التخلى عن هذه الحملة[١] .

حاصر الصليبيون مدينة دمشق خمسة أيام ، لكن المدينة صمدت بفضل الامدادات التى تدفقت عليها ، واستطاع أهل هذه المدينة صد هجماتهم على أسوار المدينة[٢] ، بينما انتشرت قوات فى غوطة دمشق تهاجم الفرنجة المرابطين بها[٣] . وبلغ من شدة هجماتهم أن اضطر الفرنجة الى نقل معسكرهم من الغوطة الى شرق دمشق . غير أنهم لم يفيدوا من هذا المكان الذى عسكروا به لعدم وفرة مياهه ، فضلا عن مناعة أسوار دمشق فى هذه الجهة[٤] .

ولما علم الصليبيون أن قوات الموصل وحلب شرعت فى الزحف لنجدة دمشق ، وأن الفرنجة فى الشام اتفقوا مع معين الدين أنر على التخلى عنهم[٥] ، استقر رأيهم على رفع الحصار عن دمشق ، وأبحر الامبراطور الألمانى

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى ايوب جـ ١ ص ١١٣
Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.509

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩
(٣) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.288

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ
Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.509

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩
Stevenson: The Crusaders in the East.p.160

كنراد الثالث منهكا عائدا الى بلاده[1] - وهكذا لم تحقق هذه الحملة شيئا سوى أنها فقدت كثيرا من جندها وعتادها[2] .

لم تقف جهود سيف الدين غازى - أتابك الموصل - فى محاربة الصليبيين عند هذا الحد ، بل اشترك فى انتزاع حصن العريمه[4] من الفرنجة[5] ، ذلك أن برتراند - أمير تولوز - عول على الانتقام من ريموند الثانى - أمير طرابلس - لاتهامه بالتحريض على قتل أبيه[6] الكونت الفونسو[7] ، فزحف أمير تولوز الى حصن العريمة ، وانتزعه من ريموند الثانى[8] ، وكان ذلك

---

(١) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 p.284

(٢) Grousset: Histoire des Croisades.Vol.2 p.271

(٣) Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.511

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٩٠

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ١ ص ١١٤

(٧) المصدر السابق جـ ١ ص ١١٤

(٨) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ٢٠٠ .

ما حمل هذا الأمير على الاستنجاد بسيف الدين غازى ، وبعض أمراء المسلمين[1] ، وطلب منهم أن يعاونوه فى استرداد هذا الحصن ، فأجابوا طلبه[2] .

هاجمت القوات الاسلاميه حصن العزيمة ، واحتمى به برتراند . ولما ضيقت عليه هذه القوات الحصار اضطر الى التسليم[3] . وبذلك تيسر للمسلمين الاستيلاء على هذا الحصن ، كما وقع فى أيديهم كثير من الاسرى من بينهم برتراند[4] .

كذلك انضم اتابكة الموصل والجزيرة الى نورالدين محمود فى الحرب[5] التى نشبت بينه وبين الفرنجة سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣م) ذلك أن الفرنجة قصدوا مصر فى هذه السنة ، فعوّل نورالدين محمود على مهاجمة بلادهم

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٢

(٢) Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 pp. 287-288

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٤

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٥٩ هـ

وسار لنجدته قطب الدين مودود - أتابك الموصل - وقرا أرسلان بن داود ابن أرتق - صاحب حصن كيفا - وألب أرسلان بن تمرتاش - صاحب ماردين (١) - ولما اجتمعت قواتهم عند نور الدين محمود ، نازل حارم ، ونصب عليها المنجنيقات ، غير أن قوات الفرنجة مالبثت أن زحفت اليها واضطرت القوات الاسلامية الى الانسحاب قرب حلب . ومع ذلك فشلت قوات الفرنجة فى تتبعها (٢) وعادت الى حارم ، فتعقبهم المسلمون ، وألحقوا بهم الهزيمة ووقع فى أيديهم كثير من أسراهم كان من بينهم بوهمند - صاحب أنطاكية (٣) - غير أنه لم يستمر طويلا فى الأسر ، فقد أطلق سراحه بعد أن أدى أموالا كثيرة (٤) .

لم تقف جهود قطب الدين مودود فى محاربة الفرنجة عند هذا الحد ، بل أنضم الى نور الدين محمود للمرة الثانية فى مهاجمة الفرنجة

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٤٥

Setton: A History of the Crusades.Vol.I p.551

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٤٦

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩

Runciman: A History of the Crusades.Vol.2 pp.225-226

فتوغلت قوات الموصل وحلب فى أعمال أنطاكية (١) ، وحاصرت حصن الأكـراد - على مقربة من حمص - ونزلوا بعرقـه ، كما حاصروا حلبـ (٢) واستولوا عليهـا ثم فتحت قوات الموصل وحلب ، والعريمـة (٣) وصافيتا (٤) سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦م) وقصدوا حصن هونين ، وألحقوا الهزيمة بالفرنجة ،وعاد قطب الدين الى الموصل بعد أن منحه نورالدين محمود الرقة مكافأة له على حسن بلائه فى مناهضة الفرنجة (٥)

مهدت الانتصارات التى احرزها كل من نورالدين محمود وقطبالدين مـودود على الصليبيين فى أنطاكية السبيل لبعض أمراء بنى أرتق للتوسع فى بلاد الفرنجـة فهاجم قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - الأجزاء الشمالية من امارة الرها ونجـح فى الاستيلاء على كـركـر (٦) .

كذلك أسهم أتابكة الموصل والجزيرة فى الحروب التى قام بها صلاح الدين يوسف بن أيـوب ضد الصليبيين ذلك أنـه لما تزايدت غارات ريجنالد - أمير حصن الكرك -

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٩

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ١ ص ١٥٣

(٣) العريمـه : قال أبو عبيد الله السكونى وبين أجا وسلمى موضع يقال لـه العريمه وهو رمل وبه ماء يعرف بالعبسيه

(ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٦ ص ١٦٤)

(٤) صافيتا : قرب بلدة عرقه آخر عمل دمشق شرقى طرابلس .

(المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ القسم الأول ص ١٠٠)

(٥) Stevenson: The Crusaders in the East.p.165

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ
Setton: A History of the Crusades.Vol.I.p.551

على المدن الاسلامية ، وكثر تعرضه لقوافل المسلمين المتجهة الى مصر أو القادمة منها (١) ، عوّل الى السلطان صلاح الدين على مهاجمة هذا الحصن ، وانضم اليه قوا أرسلان — صاحب حصن كيفا وآمد — وعندما اشتد حصار المسلمين لحصن الكرك ، استنجد صاحبه بالفرنجة ، فخرج لنجدته ريموند الثالث — أمير أنطاكيه — فاضطر المسلمون الى رفع الحصار عن الحصن ، وسارت قواتهم الى نابلس ، فأحرقوها ودمروها ، ثم عادوا الى دمشق سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) (٢) (٣) .

ولما خرج صلاح الدين لحصار حصن الكرك سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧م) سار أتابكة الموصل والجزيرة ودياربكر لنجدته (٤) كما عهد هذا السلطان لمظفر الدين كوكبورى — صاحب حران والرها — بالمسير الى عكا (٥) لمهاجمتها

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٠ هـ

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٥٣

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٥٥

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ٢ ص ١٣٩ — ١٤٠

(٥) أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ٤٨

فزحف اليها ، واشتبك مع الفرنجة فى معركة انتهت بانتصار قواته ، واستيلائها على كثير من الغنائم (١) .

واصل صلاح الدين الحرب ضد الصليبيين سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) فأرسل الى أمراء الموصل والجزيرة وديار بكر يستنفرهم ، ويحثهم على سرعة القدوم الى بلاد الشام ، فأجابوا طلبه (٢) ، ويذكر ابن شداد أن السلطان صلاح الدين سر كثيرا لقدوم هؤلاء الأمراء وأكرم وفادتهم ومنحهم الهدايا ، وسارت القوات الاسلامية المتحالفة الى حصن الأكراد ، واستولت عليه ، ثم هاجمت أنطرطوس واعملوا فيها التخريب ، واستولوا على جبله ، ثم قصدوا اللاذقية وضموها الى حوزتهم ، كما فتحوا حصون صهيون وباكاس والشغر وسرمينية وبرزيه (٤) وانتزعت القوات الاسلامية الى جانب ذلك درب ساك على نهر العاصى وبغراس ، ولما عقد صلاح الدين هدنة مع بوهمند الثالث — أمير أنطاكية — أذن لعسكر الموصل والجزيرة بالعودة الى بلادهم ، وكافأ حلفاءه ، وأجزل لهم العطاء (٥) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٣ هـ

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ١٣٦

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨٤ هـ

(٤) العماد الكاتب : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ٢٤٠ ومابعدها

(٥) نفس المصدر ص ٢٦٢

وهكذا لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهدا فى دفع الخطر الصليبى عن البلاد الاسلامية ، ففى بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عن بلاد الشام والعراق ، ولما علا شأن الاتابكة ، وقوى بأسهم وكثر جندهم تحول موقفهم من الدفاع الى الهجوم ، فأغاروا على الامارات الصليبية ، بل انتزعوا بعض مدن الفرنجة ، كما حدث فى عهد **ايلغازى** بن أرتق - أمير ماردين - وعماد الدين زنكى - أتابك الموصل - .

وصفوة القول أن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين يعد بداية للجهود التى بذلها الأيوبيون ثم المماليك من بعدهم فى سبيل اجلاء الصليبيين نهائيا عن البلاد الاسلامية .

---

٣ - مع المغـــول :

بينما استطاع أتابكة الموصل والجزيرة التصدي للصليبيين الا أنهم لم يتمكنوا من الدفاع عن بلادهم ضد الغزو المغولي ، ففي سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م) أنفذ أجتاي Ogtai ابن جنكيزخان وخليفته جيشا من ثلاثين ألف مقاتل بقيادة شيرماجون Churmagun وبيدشو Baidshu الى ايران (١) ، وبعد أن تمكنت قوات المغول من الاستيلاء على الري وهمذان (٢) واصلت زحفها الى أذربيجان (٣) ، فاستنجد سلطانها جلال الدين منكبرتي بأتابكة ديار بكر والجزيرة (٤) ، وأرسل اليهم يقول : "ان جيشا جرارا من عساكر التتار ، كأنه النمل والثعابين من حيث الكثرة والقوة ، قد تحرك نحونا ، فاذا ترك وشأنه ، فسوف لا تصمد أمامه القلاع والأمصار ... فليسارع كل منكم الى امدادنا بفوج من الجنود ، حتى اذا ما وصلهم نبأ اتفاقنا واتحادنا فترت قوتهم وفت في عضدهم ، فيتشجع

---

(١) Howorth: History of the Mongols.Vol.I p.130

(٢) حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٩٣

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٧٥

(٤) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٠٤ - ١٠٥

جنودنا ، وتقوى قلوبهم (١)

على ان أمراء ديار بكر والجزيرة لم يصلوا على نجدة جلال الدين منكبرتي ، فأخذ يتنقل من بلد الى آخر ، ولم تزل قوات المغول تتعقبه حتى بلغ مدينة آمد (٢) ، فاشتبك معهم في معركة على أبواب هذه المدينة (٣) وأخذت قوات المغول تعبث فسادا فيها ، كما أغاروا على مدينتي أرزن وميافارقين (٤) ، وقصدوا مدينة أسعرد (٥) ، فقاتلهم أهلها قتالا شديدا ثم منحهم المغول الأمان (٦) ، فأوقفوا القتال . غير أن المغول لم يفوا بعهدهم ، ونكلوا بسكان البلدة ، ولم ينج منهم الا القليل . ثم واصلوا زحفهم حتى بلغوا ماردين ، وأعملوا فيها النهب والتخريب ، واضطر صاحب ماردين الى الاحتماء بالقلعة . غير أن المغول انصرفوا عن ماردين واتجهوا الى نصيبين ، فنهبوها ، وقتلوا كل من ظفروا به من أهلها (٧) .

---

(١) قطب الدين اليعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ص ١٨٢

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٣) قتل في هذه المعركة وأسر كثير من الخوارزمية ، وتفرق الباقون ، وولى السلطان جلال الدين هاربا في قلة من فرسانه ، ولجأ الى جبال كردستان ، حيث قتله أحد الأكراد .
(محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص ١٠٨)

(٤) Howorth: History of the Mongols. Vol. I p. 130

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٥

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٥

لم يكتف المغول بما أحدثوه في بلاد دياربكر والجزيره من تخريب وتدمير، بل أغاروا كذلك على سنجار وأعمالها (١)، وهاجموا الخابور والموصل وأعمالها، وامتدت غاراتهم الى الفرات وعادوا الى آمد ثم بدليس (٢) فتحصن أهلها بالقلعة والجبال، لكن المغول مالبثوا أن تغلبوا عليهم (٣).

كذلك تعرضت أتابكية اربل لهجمات المغول سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م) فشنوا غارات على أعمالها، وتغلبوا على جند التركمان والأكراد الذين اعترضوا طريقهم (٤)، كما أنهم بعد أن دخلوا اربل عاثوا فيها وفي أعمالها نهبا مما اضطر أميرها مظفر الدين كوكبوري الى الاستنجاد بأتابك الموصل، فأرسل اليه جيشا عاونه في صد المغول عن بلاده (٥).

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ
(٢) بدليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط طولها خمس وستون درجة وعرضها ثمان وثلاثون درجة (ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ : ص ١٠)
(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ١٥٥
Howorth: History of the Mongols. Vol. I p.132
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ
(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٧٥

على أن المغول مالبثوا أن عادوا فاراتهم على اربل سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) ، فتحصن أهلها بالقلعة واضطروا الى فداء أنفسهم بالمال بعد أن شدد المغول حصارهم.(١)

كذلك امتدت غارات المغول الى ماردين ، فسير هولاكو جيشا اليهـــا سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) غيرأن أميرها الملك السعيد تحصن فى القلعة (٢) وأرسل القائد المغولى اليه يحذره من التمادى فى المقاومة ، لكـــن الملك السعيد، رفض الاستسلام ، لما عرفه من غدر المغول (٣) الذين ظلـــوا يشددون الحصار على قلعة ماردين ، حتى اجتاحها الغلاء والوباء والقحط ، فثار مظفرالدين على ابيه الملك السعيد ، وانتزع منه القلعــــة وأرسل الى القائد المغولى يطلب منه الكف عن القتال فى مقابل نزولـــه عن القلعة ، فاستجاب له ، وأقره هولاكو على حكم ماردين .(٤)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : تاريخ المغول جـ١ ص ٣٢٥

(٢) ابوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ٣ ص ١٥٤ — ١٥٥

Howorth: History of the Mongols.Vol.4 p.161

(٣) حذره القائد المغولى قائلا : "اهبط من القلعة ، وقدم الطاعـــة والولاء للملك الصالح ، ليبقى لك رأسك ومالك ونساؤك وأبناؤك ، ومهما تكن قلعتك محكمة مرتفعة ، فلا تغتر بأبراجها وا رتفاعها ، ولو بلغت رأسك السماء ، فانها ستصير ترابا تحت أقدام جيش المغـــول فان كان الاقبال والسعادة حليفين لك ، فعليك أن تستمع لنصحى .." (رشيد الدين فضل الله : تاريخ المغول جـ١ ص ٣٢٥)

(٤) لما قصد الملك المظفر هولاكو وجه اليه اللور لأن قتل أباه ، فقال لـــه =

كان هولاكو يحرص على أن يظل أمير ماردين تابعا له ، فلما خرج عليه ، أبناء بدر الدين لؤلؤ - حكام الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر - واستنجدوا بالظاهر بيبرس - سلطان المماليك في مصر - ، خشي أن يحذو الملك المظفر - أمير ماردين - حذوهم ، فلما قدم عليه أكرم وفادته ، وقال له : بلغني أن أولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد الى مصر ، وأنا أعلم أن اصحابهم كانوا السبب في خروجهم ، فاترك أصحابك الذين وصلوا معك عندي ، فاني لا آمن منهم أن يحرفوك عني ، ويرغبوك في النزوح عن بلادك الى مصر .(١) فأجاب صاحب ماردين طلبه ، وعهد اليه هولاكو بحكم نصيبين بالاضافة الى ماردين .(٢)

= الملك المظفر : انما فعلت ذلك لأني كلما تضرعت اليه ، وبكيت أمامه لكيلا يفرطوا في القلعة وفي دماء الناس ، لم يستجب لي ، فأقدمت على هذا العمل الخاص من أجل المصلحة العامة ، لأني عرفت أن القلعة ستفتح باقبال الملك ، وانه سوف يقتل عدة آلاف من الأبرياء ، فالحقيقة أن التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف ، خصوصا أنه كان ظالما معتديا ، وقد قتل ابنه ، والناس غير راضين عنه ، وأنا العبد معترف بذنبي ، فلو منحني الملك مقام أبي ، فان له ما يشاء .

فصفا كنه هولاكو ، وسلمه ماردين .

(رشيد الدين فضل الله : تاريخ المغول جـ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦)

(١) قطب الدين اليونيني : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٨

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٩٢

ظل الملك المظفر على ولائه لهولاكو ، فانضم الى قوات المغول في حصار الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) . ولما توفى سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٢ م) استمر خلفاؤه على ولائهم للمغول ، وبلغ من اخلاص نجم الدين غازى الثانى المنصور بن قرا أرسلان - الذى ولى ماردين سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٣ م) - للمغول أن منحه هولاكو التاج والمظلة الملكية ، وجعله من خواصه ، وفوض اليه الملك في كل من ديار بكر وديار ربيعه (١) .

كذلك دخل بدر الدين لؤلؤ - أتابك الموصل - في طاعة المغول (٢) بل صحب هولاكو في فتح بغداد ، فأنفذ جيشا الى هذه المدينة سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) بقيادة ابنه الملك الصالح ، انضم الى قوات المغول (٣) ولما سقطت بغداد في أيدى المغول ، سارع بعض حكام البلاد الاسلامية الى هولاكو ، يقدمون له فروض الولاء والطاعة والتهنئة ، وفي مقدمتهم بدر الدين لؤلؤ - أتابك الموصل - (٤) الذى شمله هولاكو بالاعزاز والتكريم وأعاده الى بلاده محملا بالهدايا (٥) .

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذانى : جامع التواريخ - تاريخ المغول المجلد الثانى ج ١ ص ٣٢٦ .

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠٧

(٣) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧

يذكر رشيد الدين فضل الله أن هولاكو أرسل الى بدر الدين لؤلؤ رؤوس وزراء الخليفة العباسى ، فعلقها على أسوار الموصل .
(تاريخ المغول المجلد الثانى ج ١ ص ٣١٠)

(٤) فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول في التاريخ ج ١ ص ٢٦١

(٥) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ - تاريخ المغول المجلد الثانى ج ١ ص ٢٩٩

كما وقف بدر الدين لؤلؤ الى جانب المغول فى فتح ميافارقين (١) سنة ٦٥٧هـ .

واصل المغول سياستهم التوسعية ، فزحفت بعض قواتهم على الجزيرة فى طريقها الى الشام واستطاع هولاكو أن يستولى على آمد ونصيبين وحران والرها وسروج والبيرة (٢) ، وحرص على الاستعانة ببعض أمراء المسلمين فى غزوة بلاد الشام ، فأرسل الى بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - يقول : " ان سنك قد جاوزت التسعين ، ولذلك أعفيناك من السير معنا ، ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية ، لفتح ديار الشام ومصر " . فلم يتردد بدر الدين فى انفاذ جيش الى هولاكو بقيادة ابنه (٣) .

لما توفى بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٧ هـ قسم هولاكو امارته بين أبنائه الثلاثة ، تولى الملك الصالح حكم الموصل ، على حين فوض حكم سنجار لعلاء الدين وجزيرة ابن عمر للمجاهد اسحاق (٤) . غير أن ابناء بدر الدين لؤلؤ مالبثوا أن خرجوا على المغول ، وغادروا بلادهم ، ولجأوا الى

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٧ ص ٤٧

(٢) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ - تاريخ المغول ج١ ص ٣٠٥

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥

(٤) Howorth: History of the Mongols. Vol.4 p.181

سلطان المماليك في مصر ، فأرسل هولاكو جيشا استولى على بلادهم سنة ٦٦٠هـ . (١٢٦١م)(١) .

كذلك أظهر الصاحب تاج الدين بن صلايه - حاكم اربل - ولاءه للمغول ففى أثناء حصار هولاكو بغداد قصد القائد المغولي أرقيونويان - مدينة اربل ، وطلب من حاكمها تمكينه من الاستيلاء على القلعة ، فحاول تاج الدين اقناع حاميتها بالتسليم ، بغريق(٢) ، ولما استعصت اربل على المغول ، استنجدوا ببدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - فأمدهم بفريق من الجند غير أنه لم يكن بهذه الامدادات أى تأثير في سقوط القلعة(٣) فى أيدى المغول ، فاستدعى القائد المغولي بدر الدين لؤلؤ ، فسار الى اربل ، وحاصر قلعتها ، وهدم أسوارها وسلمها للمغول(٤) .

---

(١) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ : تاريخ المغول المجلد الأول ج ١ ص ٣٢٧

(٢) لم يقبل القائد المغولي اعتذار صاحب اربل عن تمكين المغول من فتح البلده ، وقال له : " ان الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة وأرسله الى هولاكو فأمر بقتله .

(قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١)

(٣) قطب الدين البعلبكى : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١

(٤) Howorth: History of the Mongols. Vol.4 pp.133-134

وهكذا لم يتمكن اتابكة الموصل والجزيرة من صد الخطر المغولى الذى تعرضت له بلادهم ، بل خشوا بأسهم ، واضطروا الى الدخول فى طاعتهم . غير أن هذه السياسة التى اتبعها هؤلاء الاتابكة لم تجد نفعا ، فتعرضت بلادهم لغارات المغول التى اقترنت بالتخريب والتدمير .

الباب الرابع

التنظيمات الادارية والمالية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

---

١ - التنظيم الادارى

(أ) التقسيم الادارى

(ب) الوظائف والدواوين الادارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة •

٢ ـ الادارة المالية

(أ) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصاريفها

(ب) المعاملات المالية

الباب الرابع
التنظيمات الادارية والمالية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة

١ - التنظيم الادارى

(أ) التقسيم الادارى :

قامت دول الاتابكة فى شمال العراق ، فى البلاد الواقعة بين أعالى نهرى دجله والفرات . وكان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة (١) ويحدها من الجنوب الخط الواصل بين تكريت على نهر دجلة ، وهيت على نهر الفرات (٢) .

وينقسم اقليم الجزيرة الى ثلاثة أقسام ، هى ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، وقد عرفت بذلك نسبة الى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام (٣) .

١ - ديار ربيعه : تقع فى شرق ديار مضر ، وتتألف من الاراضى التى فى شرق نهر الخابور الكبير المنحدر من رأس العين ، ومن الاراضى التى تقع فى

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢١٨
ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٦ - ٩٧

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

شرق نهر الخابور الكبير المنحدر من رأس العين ، ومن الأراضى التى تقع فى شرق الهرماش وكذلك ما على ضفتى نهر دجله من أراض تمتد بانحدار النهر من تل فافاز الى تكريت (١) ، ومن أهم مدنها :

(أ) الموصل : قاعدة ديار ربيعة ، على ضفة دجلة الغربية حيث تتصل فروع النهر ، فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ويقال ان اسم الموصل جاء من هذا الاتصال (٢) • وقد ارتفع شأن الموصل بعد أن اتخذها عماد الدين زنكى بن آقسنقر حاضرة لدولته • وأقام زنكى وخلفاؤه بها المساجد والمدارس والمارستانات (٣) ، وظلت الموصل على هذه الحال من الازدهار والعمران حتى دمرها المغول سنة ٦٦١هـ (١٢٦١م) •

(ب) اربل (٤) : تقع على بعد متساو تقريبا بين نهرى الزاب الكبير والزاب الصغير •

وقد ازدهرت هذه المدينة فى عهد أتابكها مظفرالدين كوكبورى ، وزادت اتساعا بعد أن ضم اليها الجزء الأسفل منها الواقع فى سفح الجبل واقام عليه قلعة حصينة (٥) •

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٥

(٢) نفس المصدر ص ١١٥

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٧٧ ــ ٧٨

(٤) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٩

(٥) Encyc. of Islam: Art Irbil

(٥) ياقوت : [illegible]

(جـ) العمادية : وهى بالقرب من منابع الزاب الاعلى شمال الموصل ، وتنسب الى مؤسسها عماد الدين زنكى بن آقسنقر – أتابك الموصل – (١) وكانت قبل ذلك حصنا للأكراد يسمى آشب (٢) .

(د) الحديثه : وتسمى حديثة الموصل ، تمييزا لها عن حديثة الفرات وتقع عند مصب الزاب الاعلى على الضفة الشرقية لنهر دجلة (٣) ، وتبعد تسعة فراسخ عن الموصل (٤) . وقد بنيت هذه المدينة على شكل دائرة وكانت عاصمة اقليم الجزيرة قبل الموصل (٥) .

(هـ) نصيبين : وهى من أجمل بقاع الجزيرة وأحسنها (٦) وأكثرها عمرانا وتقع على طريق القوافل من الموصل الى الشام (٧) .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٢١٤

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٦٤

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٩

(٤) الفرسخ ثلاثة أميال على وجه التقريب .

(ش . أ . م حسينى : الادارة العربية ص ١٨٠)

(٥) ياقوت معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٣٤

(٦) نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٨٨

(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٤

(و) جزيرة ابن عمر : فى شمال نيسابور ،وتنسب الى مؤسسها الحسن بن عمر التغلبى (١) . وقد وصفها ابن حوقل (٢) بأنها ثغر الجزيرة ،لوقوعها غربى دجلة ، وشرقى الفرات . وقد اتخذها معزالدين سنجر شاه عاصمة لأتابكيته سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) وظلت على هذه الحال حتى استولى عليها المغول سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢م) .

(ز) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ،مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين (٣) وقد اتخذها ايلغازى بن أرتق وابناؤه من بعده حاضرة لدولتهم وكان لها قلعة شماء تسمى الشهباء (٤) .

(ح) سنجار : تقع فى وسط بوية ديار ربيعة فى لحف جبل سنجار المالى (٥) ، وبينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وتبعد عن نصيبين ثلاثة ايام أيضا (٦) — وقد اتخذها عماد الدين زنكى الثانى ابن مودود سنة

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٤

(٢) المسالك والممالك ص ١٥٢

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥

(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٢٧

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٢

(٦) رحلة ابن جبير ص ٢٢٧

٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) خاضع لأتابكية جديدة انفصلت عن أتابكية الموصل وظلت سنجار على هذه الحال حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦١٢ هـ (١٢٢٠ م) .

٢ — ديار مضر :

تحف بضفاف الفرات من سميساط الى عانه التي يسقيها نهر البليخ — أحد روافد نهر الفرات — الآتي من حران [1] . ومن أشهر مدنها :

(أ) الرقة : تقع على نهر الفرات ، فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات [2] وهي قصبة ديار مضر [3] .

(ب) الرها : تقع عند منابع أحد روافد البليخ ، ويدين أغلب أهلها بالنصرانية ، ولذا كثر بها بناء الكنائس والأديرة [4] وقد أسس الصليبيون فيها امارة صليبية ، وظلوا يحكمونها حتى استولى عليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) [5] .

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٣

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٠٥

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٣ — ١٣٤

(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٤

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩

٣ ـ <u>ديار بكر</u> : تقع على نهر دجلة الأعلى[1] ، ومن أشهر مدنها :

(أ) آمد : قصبة اقليم ديار بكر ، ويطل عليها جبل مرتفع وهي حصينة ومنيعة[2] ، شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم ، وعرضها كذلك ، ويحيط بها نهر دجلة[3] ، استولى عليها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩ هـ (١١٧٣ م) من ولد اينال التركماني[4] ، وسلمها للأمير الأرتقي نورالدين محمد ابن قرا أرسلان أمير حصن كيفا ـ الذي أحكم هو وخلفاؤه تحصينها[5] .

(ب) ميافارقين . بلد حصين ، يحيط به سور مبني بالحجارة ، حوله خندق[6] . وقد حكمها بنو أرتق منذ سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) حتى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)[7] .

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٦١

(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٦١

(٤) Encyc.of Islam: Art of Amid

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٨

(٦) المصدر السابق : ص ٧ ، ٨ .

لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٣

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ

(جـ) حصن كيفا[(١)] : يقع على ضفة الفرات الجنوبية، وبه قلعة حصينة ، وقـــد حكمها بنو أرتق بعد أن زال عنها حكم بني مروان ، وظل الأراتقـــة يحكمونها حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١م)[(٢)] .

انقسمت دول أتابكة الموصل والجزيرة الى عدد من البلدان ، علـى أن هذا التقسيم لم يكن ثابتا طوال حكم الأتابكة ، بل تعرض للتغيير من وقت الى آخر ، ذلك لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهـــم على حساب الدول المجاورة لهم ، ويظهر ذلك جليا في أتابكية حصن كيفا ، فقد نقصت رقعتها في سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩م) حين انتزع عماد الدين زنكي بن آقسنقر — أتابك الموصل — دارا وسرجه منهـــــا[(٣)] . على أن هذه الأتابكية لم تستمر على هذا الوضع ، بل انضمت اليهـــا آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣م)[(٤)] .

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٤

(٢) زامباور : معجم الأنساب جـ ٢ ص ٣٤٤

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ

(٤) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٢ ص ٢١٧
Cambridge Medeival History. Vol.4 p.317

ولما توفى نورالدين محمد بن قرا أرسلان - أتابك حصن كيفا - وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان الثانى ، حاول عمه عماد الدين الاستحواذ على حكم هذه الاتابكية ، لكنه فشل ،[1] فقصد خرتبرت ، وانتزعها من أتابكية كيفا سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥م) وهكذا فقدت هذه الاتابكية احدى ولاياتها الهامة .

أما عن أتابكية ماردين فقد اتسع نطاقها فى عهد أميرها ايلغازى بن أرتق بانضمام حلب اليها سنة ٥١١ هـ (١١١٧م) فضلا عن بعض الحصون والقلاع فى بلاد الشام ،[3] كما اتسعت رقعة هذه الاتابكية سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) حين أقطع السلطان السلجوقى محمود ميافارقين لايلغازى بن أرتق - أمير ماردين -[4] ولم تستمر هذه الاتابكية على هذه الحال من الاتساع ، بل فقدت فى عهد أميرها - حسام الدين تمرتاش - بعض ممتلكاتها فى بلاد الشام ، ومن بينها حلب ، سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤م) حين عجز هذا الأمير

---

(١) أبوالفدا : المختصر فى تاريخ البشر جـ ٣ ص ٧٣

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢١٨

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

Runciman: A History of the Crusades. Vol.2 pp. 133 - 134

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٦

ضمن حمايتها من غارات الصليبيين ، فأعلن أهلها الانضمام الى الموصل بدلا من التبعية لماردين (١) .

كذلك فقدت هذه الاتابكية بعض ولاياتها ، اذ انتزع عماد الدين زنكي بن آقسنقر — أتابك الموصل — منها نصيبين سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧م) (٢) ، كما استولى على بعض البلاد والقلاع في ديار بكر سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) (٣) .

على أن هذه الاتابكية اتسعت رقعتها بانضمام البيرة اليها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) (٤) ، ولما دخل أتابكة ماردين في طاعة المغول زادت ولاياتها فضم هولاكو اليها نصيبين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨م) (٥) وفي سنة ٦٩١ — (١٢٩٢م) (٦) ضم المغول الى هذه الاتابكية ديار ربيعه وديار بكر .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ٣٥ — ٣٦

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٦٦

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

Runciman : A History of the Crusades. Vol.2 p.238

(٥) قطب الدين اليونيني : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨

(٦) نفس المصدر جـ ١ ص ٣٢٦

أما عن أتابكية الموصل ، فقد زادت ولاياتها فى عهد أتابكهـا عماد الدين زنكى بن آقسنقر حتى أصبحت تشتمل على أراض واسعة فى الجزيرة وبلاد الشام (١) .

على أن هذه الأتابكية انكمشت بعد وفاة عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، فاسترد مجير الدين آبق بن طغتكين - أتابك دمشق - مدينة بعلبك . أما نور الدين محمود بن زنكى فقد انتزع من هذه الأتابكية حلب وحماه وحمص (٢) ، كما أخذ منها الرقة والرحبة والرها (٣) .

كذلك انفصلت عن أتابكية الموصل بعض بلاد الجزيرة ، ومنها سنجار سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) (٤) وكونت أتابكية مستقلة تشتمل على نصيبين والخابور (٥) . كما انفصلت جزيرة

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج١ ص ٣٤

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢٠

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٨

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٢ - ١٥٣

ابن عمرعن الموصل سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) ، وكونت أتابكية مستقلة (١) .

(ب) الوظائف والدواوين الادارية فى دول أتابكية الموصل والجزيرة :

١ ـ النائب :

كان الاتابكة ينيبون موظفين عنهم فى ادارة شؤون أتابكياتهم يعرفون بالنواب ومن مهام النائب الاشراف على عمارة البلاد وجباية الأموال ، واذا ماتعرضت الاتابكية لغزو خارجى أو ساد الاضطراب فيها كان النائب يتأهب لاخماده ، ولم تقتصر مهمة النائب عند هذا الحد ، بل كان يولى الاتابكة ويعزلهم ، فكان نصير الدين جقر ـ نائب عماد الدين زنكى بن آقسنقر فى الموصل ـ يحكم أتابكية الموصل نيابة عن أتابكها ، كما استعان به عماد الدين زنكى فى بعض الحروب التى قام بها فى الجزيرة (٢) .

ومن أشهر الذين شغلوا وظيفة النائب فى الموصل زين الدين على كجك بن بكتكين ، وقد استنابه أكثر من أتابك ، فكان نائبا لعماد الدين زنكى بن آقسنقر ، وابنيه سيف الدين غازى (٤)

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣١٥

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

وقطب الدين مودود[1] . وكان لهذا النائب دور كبير في تولية سيف الدين غازي بن زنكي أتابكية الموصل[2] ، كما عمل على توطيد سلطان قطب الدين مودود بن زنكي[3] ، وقد كافأه الأتابكة الذين اتخذوه نائبا لهم بأن منحوه بعض الاقطاعات من بينها اربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧م)[4] .

ازداد نفوذ بعض النواب ، وطغت سلطتهم على سلطة الأتابكة فأسند النائب فخرالدين ، الى سيف الدين غازي بن مودود ولاية الموصل بدلا من أخيه عماد الدين — الذي كان مرشحا للولاية بعد وفاة أبيه[5] . وقد استنجد عمادالدين وبعض أمراء الموصل بنورالدين محمود ، ليخلصهم من استبداد هذا النائب ، فسار نورالدين الى الموصل[6] ، وعزله عنها[7] .

---

(١) كثرت العمارة في الموصل خلال حكم زين الدين لها ، فبنى المدارس والأربطة ، كما نشر العدل في الرعية .
(ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧٣)
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٧
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني ايوب ج ١ ص ١٩٢
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٩٢ — ١٥٣
(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٥ هـ

وكان يسند الى النائب أحيانا النيابة فى عدة أتابكيات ، فتولى مجاهد الدين قيماز النيابة فى أتابكيات الموصل واربل وجزيرة ابن عمر (١).
وبلغ من ثقة سيف الدين غازى الثانى بن مودود - أتابك الموصل - به "أن رد اليه أزمة الأمور فى الحل والعقد ، والرفع والخفض" (٢)، ولما حاول مظفر الدين كوكبورى - أتابك اربل - استعادة نفوذه فى أتابكيته عزله مجاهد الدين قيماز (٣)، وولى مكانه أخاه زين الدين (٤). كما ساعد عز الدين مسعود ابن مودود على تولى أتابكية الموصل سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) (٥) وأزال العقبات التى اعترضت تولية نور الدين أرسلان شاه بن مسعود أتابكية الموصل سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣م) (٦). وقد عمل مجاهد الدين قيماز على

---

(١) أبوشامه : الروضتين فى أخبار الدولتين
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٧
ابن خلكان : وفيات الأعيان
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٣٥
زامباور : معجم الأنساب جـ ٢ ص ٢٤٤
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢٧٣
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٨٩ - ١٩٠

لدخال كثير من الاصلاحات في الاتابكيات التي ولى فيها وظيفة النائب فبنى المدارس والأربطة والمساجد والمارستانات (١)، وضبط الأمور في هذه الاتابكيات حتى ان عزالدين مسعود - أتابك الموصل - عجز عن ادارة اتابكيته عندما قبض على مجاهد الدين قيماز سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣م) فعمد الى اطلاق سراحه، وأعادته الى عمله (٢).

ومن بين من ولى وظيفة النائب : بدرالدين لؤلؤ، فقد أسند اليه أمير الموصل نورالدين أرسلان شاه الأول ابن مسعود الاشراف على جميع شؤون أتابكية الموصل المدنية والعسكرية (٣)، كما عهد اليه بتربية ابنه وولى عهده عزالدين مسعود الثاني. ولما توفى نورالدين أرسلان شاه الأول أقام بدرالدين مسعود الثاني أميرا على الموصل، كما ولى بعد وفاة هذا الأمير سنة ٦١٥ هـ (١٢١٩) ، نورالدين أرسلان شاه الثاني حكم هذه الامارة (٤). وبلغ من علو منزلة بدرالدين لؤلؤ أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله عهد اليه بأن يتولى أمور الموصل نيابة عن أميرها نورالدين ارسلان شاه الثاني (٥). ولما توفى هذا الأمير سنة ٦١٦ هـ (١٢٢٠م) ولى

(١) أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ١ ص ١١١
(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٨٤
(٣) أبوالفدا : المختصر في تاريخ البشر جـ ٣ ص ٧٠
(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٥
(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٦٩

بدر الدين لؤلؤ ناصر الدين محمود الموصل (١) . ثم انفرد بدر الدين بحكم الموصل بعد وفاة ناصر الدين سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) (٢) . وهكذا استطاع هذا النائب أن يصبح أتابكا على الموصل .

كذلك ولى وظيفة النائب فى أتابكية سنجار ، مجاهد الدين يرنقش وكان دينا خيرا ، غير أنه كان شديد التعصب ضد المذهب الشافعى ، فأقام مدرسة للحنفية بسنجار ، وشرط أن يكون النظر فى أوقافها الى الحنفيين من أولاده ، دون الشافعيين (٣) .

٢ - الوزير :

لم تكن وظيفة الوزير ذات صبغة سياسية كما هو الحال فى الدولة العباسية ، انما اقتصر عمل الوزير على الاشراف على دواوين الاتابكة ، فضلا عن معاونته النائب فى ادارة شؤونها وتدعيم سلطة الاتابكة فى داخل حدود اماراتهم ومن أبرز وزراء الموصل ، جمال الدين محمد بن على الاصفهانى الذى ولى الوزارة لعماد الدين زنكى بن آقسنقر

---

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٢) رشيد الدين فضل الله : تاريخ المغول جـ ١ ص ٣١٧

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٩١

وسيف الدين غازى بن زنكى ، وقطب الدين مودود بن زنكى الذى عرف باهتمامه بانشاء المدارس والمساجد والمارستانات فى الموصل [(١)] ، غير أنه اتهم فى أواخر أيامه باستيلائه على أموال الاتابكية ، فاقصى عن منصبه [(٢)] .

ومن أشهر وزراء أتابكية اربل شرف الدين أبو سحاق ابراهيم ، ولى الوزارة سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) ومما يجدر ذكره أنه اذا ماحضر الى الديوان أنشده أحد الحراس بقوله : فرحنا وقلنا تولى الوزير وأفلح ديواننا بالوزارة [(٣)] .

وكان ابن نيسان — وزير صاحب آمد — مستبدا بالسلطة فى هذا البلد ، وليس لاتابكها معه سوى الاسم فقط ، ولما اتجه صلاح الدين الأيوبى الى آمد سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يقاوم أهلها القوات الأيوبية لأنهم نفروا من وزيرهم ابن نيسان الذى أساء السيرة فيهم ، بل يسروا لقوات بنى أيوب أمر الاستيلاء على آمد [(٤)] .

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٢٩

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٣ ص ١٢٢

(٣) قطب الدين اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ١ ص١١٢

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

كذلك زاد نفوذ نظام الدين البقش - وزير ماردين - على نفوذ أتابكها بولق أرسلان بن ايلغازى الثانى . ولما توفى هذا الأتابك سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م) أقام البقش أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان أميرا على ماردين ، ولم يكن لهذا الأمير من الأمر شيء ، انما الحكم ظل لوزيره نظام الدين البقش . غير أن اتابك ماردين لم يقبل مسلوب السلطة ، بل عول على استعادة نفوذه ، فانتهز فرصة مرض وزيره سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤م) وتخلص منه . وبذلك آل اليه أمر أتابكية ماردين . (١) (٢)

٣ - الشحنة :

استحدث السلاجقة هذه الوظيفة ، ومن مهام صاحبها حفظ الأمن والنظام فى البلدة أو المدينة التى يلى فيها هذه الوظيفة ، فهو محافظ المدينة أو الأمير المشرف على حراستها (٣) . ويذكر ابن خلدون أن سبب انشاء هذه (٤) الوظيفة هو كثرة الفتن فى المدن العراقية . ولم يستطع السلاجقة القضاء عليها ، فاتخذوا الشحنة لحسم ما يحدث من الخلل . كما اختفى الشحنة بالدفاع عن المدن التى يتولون العمل فيها من الأخطار الخارجية ، فلما اتجه نورالدين

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، القسم الثانى ج ٨ ص ٥١٨

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٢

(٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٥ - ٣٦

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ٤٧٧

محمود الى سنجار لانتزاعها من أخيه قطبالدين مودود سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧م) وبلغ ماكسين خرج شحنتها للدفاع عنها (١) .

كانوا الاتابكة يستعينون أحيانا بالشحنة فى فتح بعض البلاد القريبة التى لاتحتاج الى جهد كبير (٢) . وقد يلى الشحنة حكم بعض الولايات اذا تجلت كفاءته ، فكان ايلغازى بن أرتق شحنة بغداد قبل أن يلى حكم ماردين (٣) ، كما أن الشحنة يلى أحيانا بعض الولايات بالاضافة الى عمله فقد عين السلطان السلجوقى محمود ، عماد الدين زنكى بن آقسنقر شحنة بغداد واليا على الموصل (٤) — ثم ولاه شحنة العراق كله بالاضافة

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ

(٢) استعان عماد الدين زنكى بن آقسنقر سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) بالشحن فى فتح الخابور . كذلك استرد سيفالدين غازى الثانى بن مودود بمعاونة الشحنه سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣م) الخابور .

ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٣٧

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب جـ ٢ ص

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص

Encyc.of Islam: Art Ortokids.

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٢٢

الى حكم بعض الولايات (١) • وكان الاتابكة يحرصون على تولية رجال عرفوا بالعدل والانصاف فى هذه الوظيفة ، ولا يسمحون لهم بالحاق الضر والأذى بالأهلين ، فلما توجه ايلغازى بن أرتق — أمير ماردين وحلب — الى حلب سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) للقضاء على ثورة ابنه سليمان ، شكى الناس اليه من ايذاء الشحنة لهم ،فعزله (٢) •

٤ — الوالى :

كانت دول أتابكة الموصل والجزيرة تتألف من ولايات يلى كل منها وال • ويختص الوالى بالاشراف على شؤون الولاية • وكان الوالى اذا ما اظهر مقدرة وكفاية يتدرج فى الترقى حتى يصل الى أرفع وظائف الاتابكية ،فوالى الرها زين الدين على كجك لما أحسن السيرة فيها ولاه عماد الدين زنكى بن آقسنقر نائبا له فى دولته كلها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤) (٤) كما أن جمال الدين محمد بن على الأصفهانى — والى نصيبين — لما ظهرت كفاءته ، أضاف عماد الدين زنكى ابن آقسنقر اليه ولاية الرحبة ، ثم اتخذه وزيرا له (٥) • وكان مجاهد الدين

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣١

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٣١

ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٢

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٢ ص ١٧٧

قيماز واليا على اربل قبل أن يلي وظيفة النائب فى أتابكية الموصل سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥م) .(١) ولم تقتصر مهمة الوالى على ادارة شؤون ولايته ، بل كان عليه أن يدرأ عنها الأخطار الخارجية ، ولذلك حرص الولاة على تحصين قلاع ولاياتهم وحشدها بالجند .

انحصرت الأعمال الادارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة فى الدواوين الآتية :

أ ــ ديوان الرسائل :

ويسمى أيضا بديوان الانشاء ، ويعرف رئيسه بكاتب الرسائل أو كاتب الانشاء ،(٢) وكان للأتابك كاتب ، ولنائبه كاتب ، ويشترط فى كاتب الرسائل أن يكون قد تمرس فى الكتابة ،(٣) ويختص كاتب الرسائل باذاعة المراسيم ، وتحرير الرسائل وختمها .(٤)

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٧

(٢) ابن الساعى : الجامع المختصر (مقدمة الدكتور مصطفى جواد)

(٣) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ص ٧٨ ــ ٧٩

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٢٤٦

القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ج ١ ص ٤٢ ــ ٤٤

ومن أشهر كتاب الرسائل في الموصل في العصر الأتابكي مجد الدين أبو السعادات — أخو المؤرخ عز الدين بن الأثير — (١) فكان مجد الدين كاتب الانشاء لمجاهد الدين قيماز — نائب عز الدين مسعود — أتابك الموصل — ولما ظهرت كفاءته ولاه الأتابك عز الدين مسعود ديوان رسائله ، كما قام بهذا العمل لنور الدين أرسلان شاه بن مسعود — أتابك الموصل — (٢) وولى ضياء الدين بن الأثير ديوان الرسائل لناصر الدين محمود ابن مسعود — أتابك الموصل — سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وظل يلى هذا الديوان في عهد بدر الدين لؤلؤ (٣) .

ومن بين من ولى ديوان الانشاء في أتابكية اربل مجد الدين الشيباني في عهد مظفر الدين كوكبوري ، وبلغ من علو منزلته أن لقب بالرئيس (٤) . غير أن مظفر الدين تنمر عليه واعتقله سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢١ م) ، ومن أشهر من ولى ديوان الانشاء في أتابكية ماردين ، الشاعر على بن يوسف بن عامر ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٥٧

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠٨

(٤) قطب الدين اليونيني : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ١١٣

وذلك فى عهد أميرها ناصر الدين بن أرتق (١) . وقد لقى ديوان ديـــوان الانشاء من وزير الموصل جلال الدين الاصفهانى عناية كبيرة وفى ذلك يقــول ابن الاثير : (٢) " وضع للناس فى كتابة الانشاء وضعا لم يعرفوه ، وشرع لهـــم شرعا استحسنوه وبذل بذلا استعظموه " .

(ب) ديوان الجيـــــش :

وله مجلسان ، أحدهما يتولى أمر استحقاقات الجند ، وتقدير أرزاقهـم ويختص الثانى بالنظر فى السجلات التى تدون فيها اسماء الجند ، وحفظهـــا فى أماكن خاصة بها ، ومما يجدر ذكره أن جند عماد الدين زنكى بن آقسنقـــر (٣) كانوا يتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش كل ثلاثة شهور بانتظام ، وبلغ من حرصه على عدم تأخر رواتب جنده عن موعدها ، أن الديوان لما أخر رواتب الجنـــــــد وشكوا اليه ، ذهب الى الديوان وعذر موظفيه من هذا العمل بقوله : " اذا كنتم تهملون أمر جندى الذين تحت ركابى ، ومن هو ملازمى فى سفرى واقامــــتى وبهم من الحاجة الى النفقات فى أسفارهم ماتعلمونه ، فكيف يكون حال من بعدعنى "

---

(١) قطب الدين اليعلبكى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٢٧٠

(٢) التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ١٧٧

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٣

فانتظم ديوان الجيش بعد ذلك فى صرف رواتب الجند فى موعدها المحدد (١) .

(جـ) ديوان البريد :

كانت مهمة صاحب ديوان البريد موافاة الاتابك بكافة الأخبار والحوادث التى تصل اليه من أعوانه المنتشرين فى أنحاء الاتابكية .

اعتمد الاتابكة على البريد فى ادارة شؤون أتابكياتهم ، فكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر شديد العناية بأخبار الأطراف ، وما يجرى لأصحابها وأخبار السلطان السلجوقى ، وينفق على ذلك أموالا كثيرة ، وكان يطالع ويكتب اليه بكل مايفعله السلطان فى ليله ونهاره من حرب وسلم وذلك عن طريق عيونه الذين كانوا يصلون اليه كل يوم (٢) .

لم يال الاتابكة جهدا فى سبيل تحسين أحوال البريد ، فاستخدموا الحمام الزاجل فى نقل البريد وقد عنوا عناية كبيرة بتربية هذا الطائر وتدريبه . ويقول القلقشندى (٣) : ان البلاد الشامية والمصرية أخذوا الحمام الزاجل من الموصل

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ص ٧٧

(٣) صبح الأعشى فى صناعة الانشا جـ ١٤ ص ٣٦٧

وأن أول مانقله من الموصل من الملوك ، نورالدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) . وكانت تصل الاتابكية عن طريق الحمام الزاجل أخبار البلاد البعيدة فيقفون على مايجرى فى مملكتهم الواسعة ، كما استعانوا به فى نقل رسائلهم أثناء حروبهم . وكانت أبراج الحمام الزاجل منتشره فى جميع أنحاء البلاد الجزرية ، (١) وترجع أهمية الحمام الزاجل الى سرعته فكان يطير عدة لمدة ثلاث عشرة ساعة بدون انقطاع بسرعة كيلو متر فى الدقيقة ، وينقل الرسائل ، ويعود الى وطنه مهما بعدت المسافة . (٢)

حرص الاتابكة على ادارة دواوينهم على خير وجه حتى أن الدواوين الادارية فى عهد عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، كانت تضاهى دواوين سلاطين السلاجقة لكثرة أعمالها و سيرها بسرعة ودقة ، (٣) فضلا عن تنظيمها الادارى ، فكانت الشكاوى ترفع أولا الى الديوان المختص ، فاذا لم يحقق الديوان الشكوى ، يرجع صاحبها الى أمير حاجب ، فاذا لم

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا جـ ١٤ ص ٣٨٩

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٢٥
Encyc.of Islam: Art Hamam.

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٣

ينظر فيها ، يرجع صاحب الشكوى اليه . ولضمان سير الدواوين الادارية سيرا حسنا ، أحسن عماد الدين زنكى اختيار موظفيها وكان لا يرفع أحدا منهم فوق القدر الذى يستحقه ، ولا يضعه دونه ، ويوسع عليهم فى أرزاقهم (١) ولا يتغير على أحد منهم الا بذنب عظيم يوجب التغيير (٢) . (٣)

كذلك سار قطب الدين مودود بن زنكى - أتابك الموصل - على سياسة أبيه فى اختيار موظفيه من بين ذوى الكفاية ، الأمر الذى جعل ادارة أتابكيته تسير سيرا حسنا . وكان ينهى عماله عن أخذ أموال من الرعية بغير وجه حق . ويقول : ان أحدا أخذ من أموال رعيتى دينارا واحدا صلبته (٤) .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٨٣

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٠٦

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٠

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٤٩

٢ - الادارة المالية

(أ) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها :

من أهم الموارد المالية الثابتة لدول أتابكة الموصل والجزيرة والجزية والخراج والمكوس .

١ - الجزية :

كان للجزية دواوين في دول أتابكة الموصل والجزيرة ويعرف ديوان الجزية في هذه الدول بديوان الجوالي (١) . ويقوم صاحبه بالنظر في أمور الجباية من أهل الذمة وكان يرد الى هذا الديوان ، أموال وافرة بسبب كثرة أهل الذمة في بلاد الاتابكة مثل الرها (٢) ، وحربت وقرى الموصل (٣) .

لم يلتزم بعض الاتابكة بأخذ الجزية من أهل الذمة وفقا للقواعد التي قررها الفقهاء (٤) ، انما رفعوا من قدرها ، فأتابك الموصل عماد الدين

ديوان الجوالي [illegible]

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢

(٣) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥

(٤) قرر الفقهاء أن تكون الجزية على قدر الطاقة ، ولذلك قسم أهل الذمه الى ثلاث طبقات ، تدفع الطبقة العليا منهم أربعة دنانير ، والطبقة الوسطى دينارين ، والطبقة الدنيا دينارا .
(جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ١٠٩)

زنكي بن آقسنقر وخلفته في حكم الموصل ، سيف الدين غازي الأول ، وقطب الدين مودود كانوا يأخذون من أهل الذمة جزية تزيد على القدر الذي حدده الشرع ، ولما فتح نورالدين محمود بلاد الجزيره سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) أمر باعادة الجزية الى القدر الذي أجازه الفقهاء (١) . على أن سيف الدين غازي الثاني بن مودود — أتابك الموصل — رفع الجزية عن أهل الذمة بعد وفاة نورالدين محمود (٢) . ا لى الصدر

٢ — الخراج :

تعددت طرق جباية الخراج في دول أتابكة الموصل والجزيرة ومن أهمها :

(أ) جباية الخراج بوساطة عامل الخراج ، فكان الأتابك يعينه ويخضع لسلطانه المباشر ويختص بجباية الخراج ، والانفاق على عمارة الولاية ، ومنح رواتب الموظفين ، وارسال ما تبقى الى الخزانة الرئيسية في حاضرة الأتابكية . ومن بين من ولي هذه الوظيفة في أتابكية الموصل ابن الأثير — والد المؤرخ عزالدين — وكان عامل خراج جزيرة ابن عمر

---

(١) سبط ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ ١٠ ص ٢٧٠

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ١ ص ١٠٤

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٨

ومما يجدر ذكره أنه شكى الى الاتابك قطب الدين مودود من تدخل الوالي في عمله ، فاستجاب لشكواه ، ونهى والي جزيرة ابن عمر عن التدخل في أمر جباية الخراج .

كان الخراج يجبى أحيانا على وحدة المساحة في الارض الزراعية سواء أستغلها أصحابها للزراعة أو لم يستغلوها وأحيانا يجبى على وحدة المساحة في الارض التي تزرع فعلا وأحيانا يؤخذ بنسب معينه من المحصول .

كان جباة الخراج في بلاد الموصل والجزيرة يلجأون الى وسائل العسف في جبايته (١) مما حمل الفلاحين على رفع شكاياتهم الى الاتابكة فاذا كان الخراج يؤخذ على الارض الزراعية يضطر المزارع الى دفع ضريبة على مايملكه من أراضي على الرغم من أن جزءا من هذه الاراضي قد يكون غير مزروع (٢) ، ويذكر عزالدين بن الاثير أن فخرالدين - نائب الموصل في عهد قطب الدين مودود - أمر والده - عامل الخراج في جزيرة ابن عمر بأخذ الخراج في تريبة المقيمه على جميع أراضيها الزراعية سواء التي تزرع فعلا أو التي لاتزرع ، ولما شرع ابن الاثير في تنفيذ ما أمر

---

(١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٤٨

(٢) المصدر السابق

بسه ، رفع أهل العقيمه شكواهم إلى أتابك الموصل ، فأمر ابن الاثـــير بأن يأخذ الخراج من الأرض المزروعة فقط(١) .

أما عن مقدار جباية الخراج ، فكان يختلف من أتابكية الى أخــــرى ففي أتابكية ماردين كان الفلاحون يؤدون العشر عما تنتجه الأرض ، وفــي أتابكية الموصل كانت ضريبة الخراج تزيد عن العشر ، لذلك هــــرب بعض الفلاحين من الموصل الى ماردين(٢) .

(ب) الجباية بطريق الضمان :

شاع نظام الضمان في جباية الخراج في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، فكان على الضامن للمدينة أو الولاية أن يقدم للحكومة مبلغا معينا مـــن المال ، سبق أن اتفق مع الحكومة عليه ، واذا ما أخل الضامن بالتزاماتــه كأن يعجز عن دفع المال المتفق عليه ، فان الحكومة كانت تفرض عليه عقوباته فعزل عماد الدين زنكي بن آقسنقر أحد عماله سنة ٥٣١هـ (١١٣٦م) بسبب

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) نفس المصدر ص ٧٩

مال أنكسر عليه من جملة ضمانه ، وعجز عن تسديده (١) . وقد ألحق الضمان ضررا كبيرا بأهل الخراج من المزارعين وبالارض ، لأن الضامن كان يلجأ في بعض الأحيان الى استخدام العنف للحصول على المال المحدد بالضمان ، ليسلمه الى الحكومة فضلا عن الربح الذي يجنيه لنفسه . وقد لاحظ نورالدين محمود ابن زنكي ذلك ، حين فتح الموصل سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) فأزال عن أهلها الظلم الذي لحق بهم من الضامنين (٢) . ويذكر الفارقي (٣) أن عميد الدولة بن فخرالدولة بن جهير ضمن لنظام الملك ديار بكر ثلاث سنين بألف ألف دينار ، ولم يكن عميد الدولة يكتفي بجمع الضرائب المقررة على ديار بكر ، بل كان يفرض ضرائب أخرى على البساتين المحيطة بها ، وعلى ماتنتجه المزارع من الخضر والبقول والفاكهة . مما حمل أهالي ديار بكر على رفع شكواهم الى السلطان السلجوقي ، فأسقط عنهم هذه الضرائب وظل الضامنون في ديار بكر في عهد بني أرتق لايفرضون على الأهلين ضرائب اضافية (٤) .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول جـ٨ ص٢٠٤
(٢) المصدر السابق :
(٣) تاريخ الفارقي ص ٢٢٤
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٥

(جـ) الجباية عن طريق الاقطاع :

كان الاقطاع المدني والاقطاع العسكري يسودان دول الأتابكة ، ففي هذه الدول كان يمنح الموظفون اقطاعات مدنية بدلا من الرواتب (١) .

كما كان يمنح قواد الأتابكة وجندهم اقطاعات عسكرية ، وقد انتقل هذا النظام الى أتابكة الموصل والجزيرة من السلاجقة (٢) ، فقد اتخذت الدولة السلجوقية من من نظام الاقطاع ركنا أساسيا من أركان سياستها المالية والعسكرية حين أمر الوزير نظام الملك بتوزيع الأراضي على شكل اقطاعات على الجند ، لأنه رأى أن تسليم الأراضي الى المقطعين يضمن عمارتها لعناية مقطعها بأمرها (٣) .

---

(١) منح أتابكة الموصل زين الدين علي كجك - النائب في الموصل - اقطاعات تتكون من سنجار وحران وقلاعها لمكاريه جميعها وتكريت واربل ، ومنح عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، صلاح الدين الياغيسياني أمير حاجب مدينة حماة على سبيل الاقطاع .
(ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٥ ، ٨٥)

(٢) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ٢٧٩

(٣) يعلل العماد الأصفهاني أسباب اتخاذ نظام الملك لهذا القرار بقوله " ان الملك قد أختل نظامه ، والدين قد تبدلت أحكامه في أواخر دولة الديلم وأوائل دولة السلاجقة ، وقد خربت الممالك بين اقبال هذه وادبار تلك ، ولم يكن لأحد من قبل اقطاع ، فرأى نظام الملك ان الأموال لاتحصل في البلاد ، لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لا ~~خللها~~ ، ففرق على الأجناد اقطاعا ، وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا ، فتوافرت دواعيهم على عمارتها ، وعادت في أقصر مدة الى احسن حال من حليتها " ١
أخبار دولة سلجوق ص ٥٥) .

على أن الاقطاعيين اعتبروا الاقطاعات التي منحت لهم ملكا وراثيا (١)، فترتب على ذلك انتشار الظلم والفساد . وكان المقطع يتعهد بأن يقدم للحكومة مبلغا معينا من المال ، وأن يحارب هو وجنده تحت لواء الاتابك كما كان مسؤولا عن تموين جنده بالمؤن والمعدات (١).

كان الاقطاع في هذه الفترة نوعان : اقطاع تمليك ، أي من حق المقطع توريث اقطاعه لورثته والاستمرار في اقطاعه مادام المقطع راضيا عنه . وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل - أقوى الاقطاعيين في عصره ، اذ شملت دولته البلاد الواقعة بين حلب والموصل (٢).

والنوع الثاني من الاقطاع ، اقطاع استغلال لا تمليك ، وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ، ويقول : " مهما البلاد لنا ، فأي حاجة بكم الى الأملاك ، فان الاقطاعات تغني

---

(١) حسين أمين : تاريخ الدولة السلجوقية ص ٢٠٧

(٢) كان عماد الدين زنكي يقطع كبار قواده أثناء حروبه ، ويستعين بكل قوة تخدم غرضه ، فلما وفد عليه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه أقطعهما ، فأخذ نجم الدين شهرزور ، وأخذ أسد الدين الموزر . كذلك أقطع عددا من المدن لزين الدين علي كجك .
(أبو شامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ص ١١٢)
ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب جـ ١ ص ١٠٤)

عنها ، وإن خرجت البلاد عن أيدينا ، فان الأملاك تذهب معها
وقد صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم
وغصبوهم (١) . العقارات

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول جـ ٨ ص ١٩٠ .

٣ - المكـــــــوس

ومن الضرائب التي فرضها أتابكة الموصل والجزيرة على التجـــار المكوس ، وقد انشئت لها دور في أماكن مختلفة من بلاد الجزيرة وخاصة على ضفاف الأنهار ، وكانت السفن تمنع من المرور ما لم تدفع الضريبة المقررة الى المشار . ومن مهام العشار تنظيم التجارة الداخلية ، ومكافحة التهريب . وقد أشتط بعض العشارين في جمع ضريبة المكوس ، فكانوا يأخذون من التجار أكثر من الضريبة المقررة ، ومن بين هؤلاء العشارين ، ابن الهاروني وقد شكاه التجار الى عماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل - فعزل [(١)] . ولما فتح نورالدين محمود بن زنكي الموصل وغيرها من البلاد الجزيرية سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) خفف عن أهلها عبء ضريبة المكوس [(٢)] ولكن سيف الدين غازي الثاني بن مودود ، أعاد المكوس الى ما كانت عليه بعد أن ولي الموصل [(٣)] . كذلك أمر نورالدين أرسلان شاه الأول بن مسعود

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٧٠

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٤

(٣) نفس المصدر القسم الأول ج ٨ ص ٣٢٥

جباة الضرائب "الا يأخذوا من التجار أكثر من الضرائب المستحقة ، وكان أحد التجار قد شكى اليه من أن ضامن المكس ، يفرض عليهم أكثـــر من الضرائب المقررة (١) .

هناك ضرائب أخرى فرضت في بلاد الموصل والجزيرة في العصــــــر الاتابكي ، تذكر من بينها " غلة دار الضرب " وهي ماكان يخصص لبيت المال في دار ضرب النقود ، ونسبتها واحد في المائة مما يضرب من هذه النقود (٢) ، وكانت هذه الضريبة تختلف من بلد الى آخر ، ومن وقت الـى آخـــر (٣) .

كما فرضت ضرائب المؤن (٤) في ذلك العصر ، وقد فسرها ابن الفوطي بأنها ضريبة اضافية يأخذها مستوفوا الضرائب من التجار من سائر الأجناس والأماكن ، وقد ألغيت هذه الضريبة عن ميافارقين سنة ٥٠٢ هـ (٥) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٧ هـ

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ١٠ ص ٦١ — ٦٢

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٤) الحوادث الجامعة ص ١٦٢

(٥) تاريخ الفارقي ص ٢٢٥

كذلك فرضت ضريبة على المنسوجات التى راجت صناعتها فى الموصل فى العصر الاتابكي (١) ، كما فرضت على الدور والحوانيت فى أتابكيات الموصل والجزيرة تسمى " العقار " (٢) أما المعادن التى كانت تستخرج من بعض بلاد الجزيرة ، فكان عليها ضريبة تقدر بالخمس (٣) .

على أن نورالدين محمود بن زنكي خفف عبء الضرائب عن أهل الجزيرة ، فلما فتح هذه البلاد سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) ألغى الضرائب الاضافية ولم يبق الا على الجزية والخراج والمكوس (٤) . وكتب منشورا بذلك جاء فيه " وقد علمتم معاشر الرعايا ماكان مرتبا من المظالم المجحفة بأحوالكم ، والمكوس المستولية على شطر أموالكم ، والرسوم المضيقة عليكم فى أرزاقكم ، والمؤن التى تساهمكم فى منافع أملاككم .... وقد بقى من رسوم الظلم ومعالم الجور فى سائر الاعمال بولاياتنا ما أمرنا بازالته الآن ، وأضفنا ذلك الى ماكنا أسقطناه أولا ... " (٥) .

---

(١) جعفر حسانى : العراق فى العصر المغولى ص ١٠٩

(٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ج ٥ ص ٨٥

(٣) اشتهرت مدينة المعدن فى بلاد الجزيرة بكثرة مايستخرج منها من منها من النحاس والحديد .
(ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ص ٦٦)

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٣١٢

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٢٧٤ — ٢٧٥

تعد المصادرات في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الاتابكي موردا ماليا لكثرة المصادرين ، فصادر عماد الدين زنكي بن آقسنقر أموال نائبه نصير الدين جقر بعد وفاته سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) ، وصادر أموال وذخائر أهله وأقاربه وعماله[1] ، كما صادر عماد الدين زنكي أموال وزيره ابي المحاسن علي بن أبي طالب بعد عزله[2] .

كانت الأموال التي تأتي من الموارد السابق ذكرها تنفق على مصالح دول الاتابكة في الوجوه الاتية :

١ - رواتب موظفي الاتابكيات على اختلاف مراتبهم مما يجدر ذكره أن بعض كبار رجال دول الاتابكة كانوا يتقاضون مرتبات كبيرة فقد رفع عماد الدين زنكي بن آقسنقر رواتب موظفيه ، حتى صار لوزيره جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني عشر دخل أتابكية أتابكية الموصل ، كما أن قطب الدين مودود بن زنكي - أتابك الموصل - سار على سياسة أبيه في تحسين رواتب موظفيه ، وكان يقول : " اذا لم يظهر احساني على من يخدمني ، من الذي يحسن اليهم "[3] .

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٧١

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٥٠

٢ ـ أعطيات الجنـــــد :

كان بعض الاتابكة يمنحون جندهم أحيانا اقطاعات عوضا عـــن المرتبات . أما الجند الذين ليس لهم اقطاع ، فيتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش ، وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقـر يمنح جنده رواتبهم كل ثلاثـة شهور (١) أما جند التركمان في ديار بكر ، فكانوا لايتقاضـــون أجورا ، انما يذهبون الى ميدان القتال مجهزين أنفسهم بالأسلحـــة والمؤونـة اللازمة ، ويأخذون أجورهم من الغنائم التي يحصلون عليهـــا من ميدان القتال (٢) .

٣ ـ الانفاق على مرافق البلاد ، واقامة الجسور ، وانشاء القناطـــر وقد اهتم بعض وزراء الاتابكة بهذه المرافق كالوزير جمال الديـــن الأصفهاني الذي أقام (٣) في بلاد الموصل الكثيرمن الجسور والقناطر ، وكذلك فعل مجاهد الدين قيماز ـ النائب في اتابكية الموصل (٤) .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٨٢

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٤ هـ

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٢٦

(٤) نفس المصدر ص ١٩٤

٤ - نفقات الحـــــروب :

كان الاتابكة ينفقون الكثير من الأموال في اعداد جيوشهم وتجهيزها بالاسلحة وغيرها من العتاد الحربي ، وكذلك في بناء الحصون والقلاع .

كان مظفرالدين كوكبوري - أتابك اربل - يقسم موارد بـــــلاده ثلاثـة أقسام ، قسم في أبواب البر ، وقسم ينفقه على اعطيات الجند ، وتجهيزهم بالمؤن والأسلحة ، وقسم يدخره لعدو يقصده (١) .

كان بكل دولة من دول أتابكة الموصل والجزيرة بيت للمال يعـــــرف بالمخزن ، وله فروع في سائر ولايات الاتابكة ، وينقسم المخزن الـــــى قسمين ، يشرف أحدهما على النفقات ، ويرسل ماتبقى الى المخـــــزن الرئيسي في حاضرة الاتابكية ، ويشرف الثاني على الموارد .

ومما يجدر ذكره أن عماد الدين زنكي بن آقسنقر كان يودع أموالـــه في عدد من مخازن الموصل وسنجار وحلب وغيرها حتى يضمن وجود احتياطي من المال تحت تصرفه ، اذا ما تعرضت بلاده للغزو (٢) . وكان قطب الديـــن مودود ابن زنكي يدخل الى المخزن في بعض الأوقات ليتابع سير ادارته ،

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثانـــــي ج ٨ ص ٦٨٢ - ٦٨٣

(٢) أبوشامـــة : الروضتين في أخبار الدولتين

ولايخرج منه الا وقد أرضى العاملين فيه بالصلات والمنح (١) .

وقد زادت أموال أتابكية الموصل بعد أن قصدها سنة ٥٦٢هـ (١١٦٧م) وعقد صلحا مع أخيه قطب الدين مودود ونزل له . بمقتضاه عن أمـــوال المخزن بسنجار ، فنقلها نورالدين على ستمائة جمل ، وستة وتسعيـــن بغلا محملة ذهبا (٢) .

على أن موارد المخزن في الموصل والجزيرة تعرضت للنقصان في بعض السنوات ، كما حدث في عامي ٥٧٤هـ ، ٥٧٥هـ حين انتشر الوبـــاء والقحط في بلاد الموصل والجزيرة وديار بكر (٣) ، وحل الخراب والدمار بلاد الجزيرة سنة ٥٨١هـ (١١٨٥م) نتيجة الفتن والحروب التي قامت بين الأكراد والتركمان (٤) .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٩٨

(٣) المصدر السابق ١٧٨

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(ب) المعامـلات الماليـة .

استخدم أتابكة الموصل والجزيرة الدنانير والدراهم والفلوس في معاملاتهم ، ففي أتابكيات الموصل وسنجار وإربل والجزيرة كانت دنانيرهم ذات شكل دائري غير أنها لم تكن ثابتة في وزنها وقطرها ولم تظهر صور على هذه الدنانير ، بل نقش عليها عبارات من جهتيها ففي احداها (لله الأمر من قبل ومن بعد وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعبارة (باسم الله ضرب هذا الدينار ب... سنة ... هـ)(١) كما نقش على هذا الوجه (لا اله الا الله وحده لاشريك له) ثم اسم الخليفة المعاصر وألقابه ، وأحيانا اسم الاتابك وألقابه . أما الوجه الآخر فنقش عليه (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وعبارة (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم اسم الاتابك المعاصر وألقابه(٢) واسم السلطان السلجوقي ولما دخلت الموصل وسنجار في دائرة نفوذ نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) ظهر اسمه على دنانير هاتين الاتابكيتين . وظل الأمر جاريا على ذلك حتى خضعت أتابكيات الموصل والجزيرة للأيوبيين فنقشوا أسماء سلاطينهم على الدنانير .(٣)

---

(١) محمد باقر ناظر ، الدينار الاتابكي ص ٢٧

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ جا سنة ١٩٥٤ ص ٢٣٣ — ٢٣٤

(٣) نفس المصدر ص ٢٣٧

أما بدر الدين لؤلؤ فنقش على الدنانير التي سكها في الموصل اسم الخليفة العباسي ، وظل الأمر على هذه الحال حتى دخل في المغول سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) فحذف اسم الخليفة المستعصم من الدينار ، ونقش اسم مانجوخان - أمبراطور المغول غير أنه أبقى على أسماء سلاطين الأيوبيين على دنانير الموصل ، فنقش اسم الملك الكامل بن العادل بن أيوب - صاحب مصر - وأخيه الملك الأشرف موسى بن العادل - صاحب الشام والبلاد الجزريه ، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) ظهر اسم الملك الناصر يوسف الأيوبي - صاحب حلب - على دنانير الموصل واستمر الأمر على ذلك حتى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .(١)

كما نقش على الدنانير التي سكت في عهد اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ اسم مانجوخان ، ولما خرج هذا الأتابك على المغول ، حذف سلطانهم من السكة ، ونقش اسم السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) كما نقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي أتاه الظاهر بيبرس .(٢)

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٤ جـ ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٣٩

(٢) محمد باقر كاظم ، الدينار الأتابكي ص ٥٣ - ٥٦

أما أتابكة ماردين وحصن كيفا ، فظهر على بعض دنانيرهم صور الأباطرة بيزنطيين ، ونقوش بيزنطية ، مما يعطي دليلا على أن الأراتقة ضربوا بعض دنانيرهم في بلاد الدولة البيزنطية (١) . ولم تظهر أسماء السلاطين السلاجقة على العملات الأرتقية ، انما ظهر أسماء سلاطين الأيوبيين بعد أن دخل الأمراء الاراتقة في طاعة بني أيوب ونقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسي مقرونا باسم الأمير الأرتقي (٢) ، فالخليفة العباسي المستنجد بالله نقش اسمه على الدينار الأرتقي من نجم الدين ألبي — أمير ماردين — والمستضيء بأمر الله اقترن اسمه في حصن كيفا باسم الأمير نور الدين محمد ، كما نقش اسم الخليفة الناصر لدين الله على السكة مع اسم ولي عهده ، عدة الدنيا والدين محمد مقرونا باسم غازي وبولق اللذين تعاقبا على حكم كيفا (٣) .

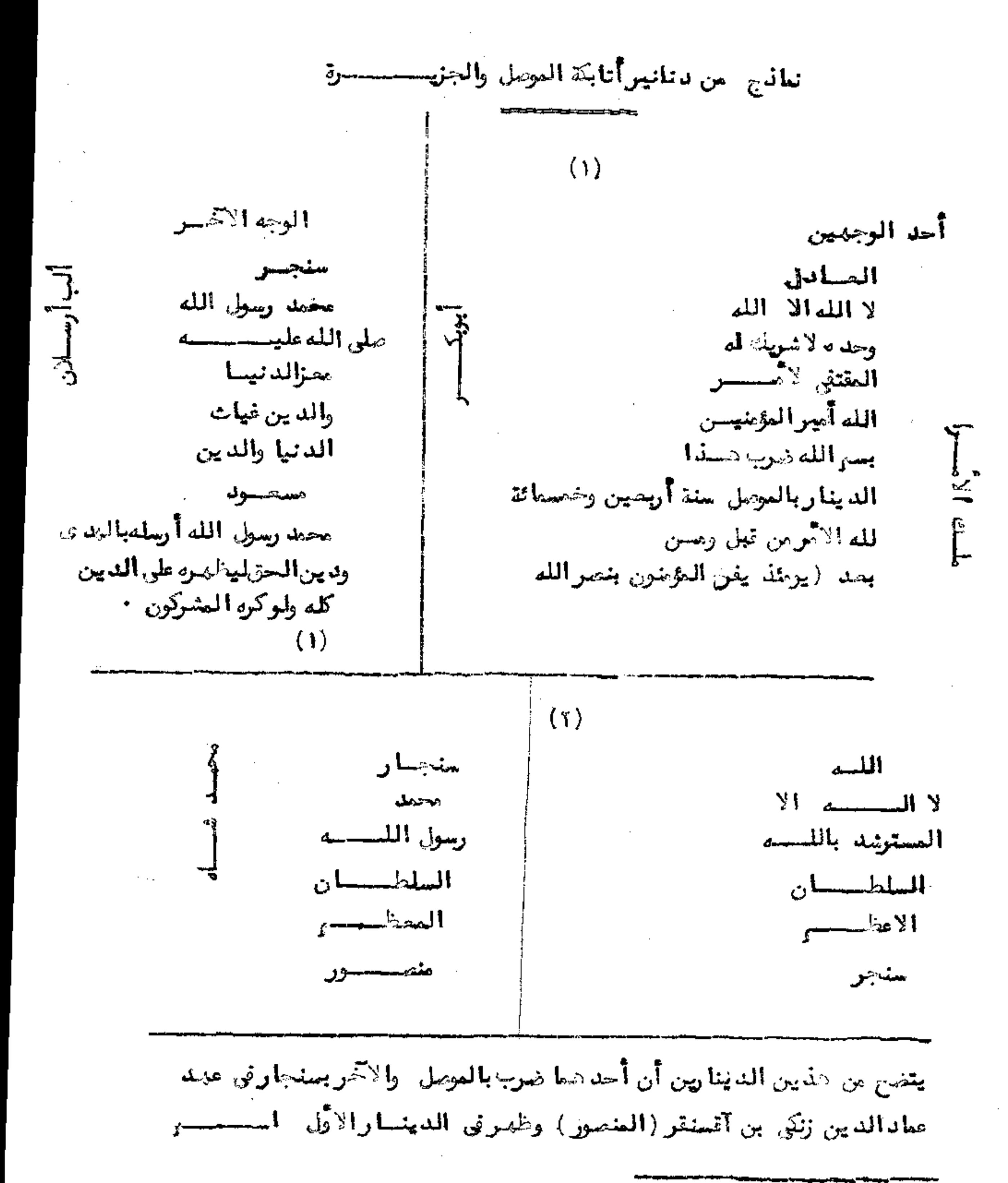
---

(١) Lane - Poole : Coins of the Urtuki Turkumans.p.14

(٢) أنستاس الكرملي : النقود العربية وعلم النميات ص ١٢٨

(٣) نفس المصدر ص ١٢٨

نماذج من دنانير أتابكة الموصل والجزيـــــــرة



يتضح من هذين الدينارين أن أحدهما ضرب بالموصل والآخر بسنجار في عهد عماد الدين زنكي بن آقسنقر (المنصور) وظهر في الدينـــار الأول اســـــــم

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ٤ جـ ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٢٣ — ٢٢٤

أبي بكر الدبيس ـ أحد الأمراء المقربين الى عماد الدين زنكي بن آقسنقر واسم الخليفة المقتفي لأمر الله والآخر المسترشد بالله ، ونقش اسم السلطان سنجر على الدينارين كما نقش اسم السلطان ألب أرسلان ـ الذي كان زنكي أتابكا له ، ونقش على الدينار الثاني اسم السلطان السلجوقي محمد شاه .

(٣)

أحد الوجهين
غازي بن
لا اله الا الله
وحده لا شريك له
المستضيء بأمر
الله أمير
المؤمنين
لله الأمر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
بسم الله ضرب هذا
الدينار بالموصل .. وستين
وخمسمائة

الوجه الآخر
العادل
محمد
رسول الله
صلى الله عليه
بن زنكي
ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون .

محمود

يتبين من هذا الدينار أن اسم سلاطين السلاجقة حذف من دنانير الموصل واستبدل باسم نورالدين محمود الذي دخلت الموصل في طاعته .

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٣٧

(٢٤)

الامام
لا اله الا اللـــه
وحده لا شريك لـــه
الناصر لدين اللـــه
أمير المؤمنيـــن
للـــه

الملك

العادل

عـــــــــز الدين

بن مســـود ود
محمد رسول اللـــه
صلى اللـه عليـــه
نورا لدنيا والديـــن
أتابك أرسلان شــــاه
محمد رسول الله أرسلـــه
بالهدى وديـــن الحـــق
ليظهره على الدين كله ولو كـــره
المشركون .

بن زنكي

الملك العادل ملك مصر والشام (٥٩٦ هـ ـ ٦١٥ م.) وسبب ورود اسمـــه هو أن الدولة الاتابكية بالموصل دخلت فى التبعية لبنى أيوب منذ سنة ٥٨٩ هـ .

(٥)

بن على
لا اله الا اللـه
وحده لا شريك لـــه
الناصر لدين اللـــه
أمير المؤمنيـــن
لله الامر من قبل ومـــن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنـــون
بنصر اللـــه
بسم الله ضرب هذا
الدينار باربل سنة تسع وستمائة

الملك

العـــادل
محمد رسول اللـــه
صلى الله عليـــه
وسلم ملـــــك
الامـراء كـوكـــبو
ى

أبو بكر

يتضح من هذا الدينار أن مظفرالدين كوكبوري ــ أتابك اربل كان فى طاعـــة بنى أيوب (١)

---

(١) محمد باقر كاظم ، الدينار الاتابكى ص ٦٠

(٦)

على اسم الله ضرب بالحصـــن
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

يميره

(١)

ملك الأمرا محيى
العدل نورالدين
محمد بن قرا أرســــلان
أبن أرتق نصــــير
الامام الناصـــر
لدين اللـــه

لم تظهر الدراهم الفضية فى بلاد الجزيرة الا فى عهد بدر الدين لؤلؤ ـ أتابك الموصل ـ لنقص معدن الفضة فى تلك البلاد ، ومن ثم ضربت فيها دراهم نحاسية • وهناك دراهم نقش عليها صور فى الوجه • أما النوع الثانى فخال من الصـــــور كما هو الحال فى هذا الدرهم

Lane - Poole : The Coins of the Urtuki Turkumans. ( )
p.19

(٧)

الامام	بن زنكـى
الناصر	الملك العادل
للدين أمير	العالم عمـــاد
المؤمنين	الدنيا والديـــن
ضرب هذا الدرهم في نصيبين	زنكي بن مودود (١)

وكان هناك بدول الاتابكة الى جانب الدنانير والدراهم فلوس نحاسية ، بـدأ استعمالها منذ أن ولي قطب الدين مودود الموصل ، ويتجلى تنوع وزيادة الألقـــاب ذلك أن الاتابك كان يضرب هذه العملة دون الرجوع الى الخليفة العباسي . وهذا النوع من العملة يساعد على مرونة العمليات التجارية ، وشراء الحاجيات البسيطة .(٢)

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي م٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٤١

(٢) محمد باقر كاظم الحسيني : الدينار الاتابكي ص ٦٢

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة
والحكام المعاصرين لهم فى الشرق

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

ثانيا : الخلفاء العباسيون

ثالثا : السلاجقة

رابعا : أتابكة الشرق

خامسا : السلاطين والأمراء الأيوبيون

سادسا : الأمراء الصليبيون فى بلاد الشام

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم في الشرق

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

(أ) أتابكة الموصل

عماد الدين زنكي بن آقسنقر ٥٢١ هـ - ٥٤١ هـ (١١٢٧ - ١١٤٦م)

سيف الدين غازى الأول بن زنكي ٥٤١ - ٥٤٤هـ (١١٤٦ - ١١٤٩م)

قطب الدين مودود بن زنكي ٥٤٤ - ٥٦٤ هـ (١١٤٩ - ١١٧٠م)

سيف الدين غازى الثاني بن مودود ٥٦٤ - ٥٧٢ هـ (١١٧٠ - ١١٧٦م)

عز الدين مسعود الأول بن مودود ٥٧٢هـ - ٥٨٩هـ (١١٧٦ - ١١٩٣م)

نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود ٥٨٩ هـ - ٦٠٧هـ (١١٩٣ - ١٢١٠م)

عز الدين مسعود الثاني بن أرسلان شاه ٦٠٧هـ - ٦١٥هـ (١٢١٠ - ١٢١٨م)

نور الدين أرسلان شاه الثاني بن مسعود الثاني ٦١٥ - ٦١٦هـ (١٢١٨ - ١٢١٩م)

ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثاني ٦١٦ - ٦٣١هـ (١٢١٩ - ١٢٣٣م)

بدر الدين لؤلؤ ٦٣١ - ٦٥٧ هـ (١٢٣٣ - ١٢٥٦م)

ركن الدين اسماعيل لؤلؤ ٦٥٧ - ٦٦٠هـ (١٢٥٦ - ١٢٥٩ م)

(ب) أتابكة سنجار

عماد الدين أبو الفتح زنكي الثاني بن مودود ٥٦٦ - ٥٩٤ هـ (١١٧٠ - ١١٩٧م)

قطب الدين محمد بن زنكي الثاني ٥٩٤ - ٦١٦ هـ (١١٩٧ - ١٢١٩م)

عماد الدين شاهنشاه بن محمد ٦١٦ هـ (١٢١٩م)

جلال الدين محمود بن محمد ٦١٦ - ٦١٧هـ (١٢١٩ - ١٢٢٠م)

جـ ـ أتابكة الجزيرة :

معزالدين سنجر شاه بن غازى الثانى ٥٧٦ـ٦٠٥هـ(١١٨٠ ـ ١٢٠٨ م)

معزالدين محمود بن سنجر ٦٠٥ـ٦٣٩ هـ (١٢٠٨ ـ ١٢٤١ م)

مسعود بن محمود ٦٣٩ ـ ٦٤٨هـ (١٢٤١ ـ ١٢٥٠ م)

د ـ أتابكة اربل :

زين الدين على كجك بن بكتكين بن محمد ٥٦٣ هـ (١١٦٧م)

زين الدين أبوالمظفر يوسف على ٥٦٣ ـ ٥٨٦ هـ (١١٦٧ ـ ١١٩٠م)

مظفرالدين أبوسعيد كوكبورى بن على ٥٨٦ ـ ٦٣٠ هـ (١١٩٠ ـ ١٢٣٢م)

هـ ـ أتابكة حصن كيفا ثم آمد :

معين الدين سقمان الأول بن أرتق ٤٩٥ ـ ٤٩٨ هـ (١١٠١ـ ١١٠٤م)

ابراهيم بن سقمان ٤٩٨ ـ ٥٠٢ هـ (١١٠٤ ـ ١١٠٨م)

ركن الدولة داود بن سقمان ٥٠٢ ـ ٥٣٩ هـ (١١٠٨ ـ ١١٤٤م)

فخرالدين أبوالحارث قرا أرسلان بن داود ٥٣٩ ـ ٥٦٢ هـ(١١٤٤ـ١١٦٦م)

نورالدين محمد بن قرا أرسلان ٥٦٢ـ٥٨١ هـ (١١٦٦ ـ ١١٨٥م)

تسلم آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣م)

قطب الدين سقمان الثانى بن محمد ـ الملك المسعود ٥٨١ـ٥٩٧هـ(١١٨٥ ـ ١٢٠٠ م)

ناصرالدين محمود بن محمد ـ الملك الصالح ـ ٥٩٧ـ٦١٩هـ(١٢٠٠ـ١٢٢٢م)

ركن الدين مودود بن محمود ٦١٩ـ٦٢٩ (١٢٢٢ ـ ١٢٣١م)

الملك المسعود ، عزله الملك الكامل الثاني بن غازي صاحب ميافارقين

سنة ٦٢٩ هـ

و ــ أتابكة ماردين :

نجم الدين ايلغازي الأول بن أرتق ٥٠٠ ــ ٥١٦ هـ (١١٠٦ ــ ١١٢٢م)

حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي ٥١٦ ــ ٥٤٧ هـ (١١٢٢ ــ ١١٥٢م)

نجم الدين ألبي بن تمرتاش ٥٤٧ ــ ٥٧٥ هـ (١١٥٢ ــ ١١٧٩م)

قطب الدين ايلغازي الثاني بن ألبي ٥٧٥ ــ ٥٨٠ هـ (١١٧٩ ــ ١١٨٤م)

حسام الدين بولق أرسلان بن ايلغازي الثاني ٥٨٠ــ٥٩٧هـ(١١٨٤ــ١٢٠٠م)

ناصر الدين أرتق أرسلان بن ايلغازي الثاني ٥٩٧ــ٦٣٧هـ(١٢٠٠ ــ١٢٣٩م)

نجم الدين غازي الأول بن أرتق أرسلان ٦٣٧ــ٦٥٨هـ(١٢٣٩ــ١٢٥٩م)

قرا أرسلان بن غازي الأول ٦٥٨ــ٦٩١هـ(١٢٥٩ ــ ١٢٩١م)

شمس الدين داود بن قرا أرسلان ــ١٢٩١ ــ ١٢٩٣م)

ز ــ اتابكة خرتبرت :

عماد الدين أبوبكر بن قرا أرسلان ٥٨١ ــ ٦٠٠هـ(١١٨٥ ــ ١٢٠٣م)

نظام الدين ابراهيم بن أبي بكر ٦٠٠ ــ٦٣١هـ (١٢٠٣ ــ ١٢٣٣ م)

الخضر بن ابراهيم ٦٣١ ــ ٦٦٠ هـ (١٢٣٣ ــ ١٢٦١ م)

نور الدين أرتق شاه الملك المعز بن الخضر ٦٦٠هـ (١٢٦١ م)

ثانيا : الخلفاء العباسيون

أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدى ٤٨٧-٥١٢هـ (١٠٩٤-١١١٨م)

أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر (٥١٢هـ-٥٢٩هـ (١١١٨-١١٣٤م)

أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد ٥٢٩-٥٣٠- (١١٣٤-١١٣٥م)

أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر ٥٣٠-٥٥٥هـ (١١٣٥-١١٦٠م)

أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي ٥٥٥-٥٦٦هـ (١١٦٠-١١٧٠م)

أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد ٥٦٦-٥٧٥هـ (١١٧٠-١١٧٩م)

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء ٥٧٥-٦٢٢هـ (١١٧٩-١٢٢٥م)

أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر ٦٢٢-٦٢٣هـ (١٢٢٥-١٢٢٦م)

أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر ٦٢٣-٦٤٠هـ (١٢٢٦-١٢٤٢م)

أبو أحمد عبد الله المستعصم بن المستنصر ٦٤٠-٦٥٦هـ (١٢٤٢-١٢٥٨م)

ثالثا : السلاجقة :

(أ) السلاجقة العظام

ركن الدين طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ٤٢٩-٤٥٥هـ (١٠٣٧-١٠٦٣م)

ألب أرسلان بن داود ٤٥٥-٤٦٥هـ (١٠٦٣-١٠٧٢م)

ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥هـ (١٠٧٢-١٠٩٢م)

محمود بن ملكشاه ٤٨٥-٤٨٧هـ (١٠٩٢-١٠٩٤م)

بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨هـ (١٠٩٤-١١٠٤م)

محمد بن ملكشاه ٤٩٨-٥١١هـ (١١٠٤-١١١٨م)

أ ـ د سنجر بن ملكشاه ٥١١ ـ ٥٥٢ هـ (١١١٨ ـ ١١٥٧ م)

(ب) سلاجقة العراق :

محمود بن محمد بن ملكشاه ٥١١ ـ ٥٢٥ هـ (١١١٨ ـ ١١٣١ م)

داود بن محمود ٥٢٥ ـ ٥٢٦ هـ (١١٣١ ـ ١١٣٢)

طغرل الأول بن محمد ٥٢٦ ـ ٥٢٧ هـ (١١٣٢ ـ ١١٣٣ م)

مسعود بن محمد ٥٢٧ ـ ٥٤٧ هـ (١١٣٣ ـ ١١٥٢ م)

ملكشاه بن محمود ٥٤٧ ـ ٥٤٨ هـ (١١٥٢ م)

محمد بن محمود ٥٤٨ ـ ٥٥٥ هـ (١١٥٣ ـ ١١٥٩ م)

سليمان شاه بن محمد ٥٥٥ هـ ـ ٥٥٦ هـ (١١٥٩ ـ ١١٦١ م)

أرسلان شاه بن طغرل ٥٥٦ ـ ٥٧٣ هـ (١١٦١ ـ ١١٧٧ م)

طغرل الثاني بن أرسلان شاه ٥٧٣ ـ ٥٩٠ هـ (١١٧٧ ـ ١١٩٤ م)

جـ ـ سلاجقة الشام :

تتش بن ألب أرسلان ٤٧١ ـ ٤٨٨ هـ (١٠٧٩ ـ ١٠٩٥ م)

رضوان بن تتش (حلب) ٤٨٨ ـ ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ ـ ١١١٣ م)

دقاق بن تتش (دمشق) ٤٨٨ هـ ـ ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ ـ ١١١٣ م)

ألب أرسلان بن رضوان (حلب) ٥٠٧ ـ ٥٠٨ هـ (١١١٣ ـ ١١١٤ م)

سلطان شاه بن رضوان (حلب) ٥٠٨ ـ ٥١١ هـ (١١١٤ ـ ١١١٧ م)

رابعا : أتابكة الشـام :

أ ـ البوريون أتابكة دمشـق

طغتكيـن ـ ٤٩٧ ـ ٥١١ هـ (١١٠٣ ـ ١١١٧م)

تاج الملوك بورى (٥٢٣ ـ ٥٢٦ هـ (١١٢٨ ـ ١١٣١م)

شمس الملوك اسماعيل ٥٢٦ ـ ٥٢٩ هـ (١١٣١ ـ ١١٣٤م)

شهاب الدين محمود ٥٢٩ ـ ٥٣٣ هـ (١١٣٤ ـ ١١٣٨م)

جمال الدين محمد ٥٣٣ ـ ٥٣٤ هـ (١١٣٨ ـ ١١٣٩م)

مجير الدين أبق بن محمد ٥٣٤ ـ ٥٤٧ هـ (١١٣٩ ـ ١١٥٢م)

ب ـ أتابكة حلب ودمشق من بنى زنكى :

العادل نورالدين محمود بن زنكى

فى حلب ٥٤١ ـ ٥٧٠ هـ (١١٤٦ ـ ١١٧٤م)

فى دمشق ٥٤٩ ـ ٥٧٠ هـ (١١٥٤ ـ ١١٧٤م)

الصالح نورالدين محمود بن اسماعيل

فى حلب ٥٧٠ ـ ٥٧٧ هـ (١١٧٤ ـ ١١٨١م)

ضم حلب الى أتابكية الموصل وسنجار ٥٧٧ ـ ٥٧٩ هـ (١١٨١ ـ ١١٨٣م)

خامسا : بنو أيوب

(أ) فى مصر :

الناصر صلاح الدين يوسف ٥٦٤ ـ ٥٨٩ هـ (١١٦٨ ـ ١١٩٣م)

العزيز عثمان ٥٨٩ ـ ٥٩٥ هـ (١١٩٣ ـ ١١٩٨م)

المنصور محمد ٥٩٥ ـ ٥٩٦ هـ (١١٩٨ ـ ١١٩٩م)

العادل الأول أحمد ٥٩٦ ـ ٦١٥ هـ (١١٩٩ ـ ١٢١٨م)

الكامل الأول محمد ٦١٥ ـ ٦٣٥ هـ (١٢١٨ ـ ١٢٣٨م)

العادل الثانى أبوبكر ٦٣٥ ـ ٦٣٧ هـ (١٢٣٨ ـ ١٢٤٠م)

الصالح أيوب ٦٣٧ ـ ٦٤٧ هـ (١٢٤٠ ـ ١٢٤٩م)

المعظم توران شاه الرابع ٦٤٧ ـ ٦٤٨ هـ (١٢٤٩ ـ ١٢٥٠م)

الملك الأشرف الثانى موسى بن يوسف بن محمد ٦٤٨ ـ ٦٥٠هـ(١٢٤٩ـ١٢٥٢م)

(ب) الأيوبيون فى دمشق :

الافضل نورالدين أبوالحسن على ٥٨٢ ـ ٥٩٢ هـ(١١٨٦ـ١١٩٥م)

الملك العادل الأول ـ سيف الدين أبوبكر أحمد ٥٩٢ ـ ٦١٥هـ (١١٩٥ـ١٢١٨م)

المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥ - ٦٢٤ هـ (١٢١٨ - ١٢٢٧ م)

الناصر صلاح الدين داود ٦٢٤ - ٦٢٦ هـ (١٢٢٧ - ١٢٢٩ م)

الأشرف الأول مظفر الدين أبو الفتح موسى ٦٢٦ - ٦٣٤ هـ (١٢٢٩ - ١٢٣٧ م)

الصالح عماد الدين اسماعيل (للمرة الأولى) ٦٣٤ - ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)

الكامل الأول ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)

العادل الثاني سيف الدين أبو بكر ٦٣٥ - ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م)

الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٦ - ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م)

الصالح اسماعيل (للمرة الثانية) ٦٣٧ - ٦٤٢ هـ (١٢٣٩ - ١٢٤٥ م)

الصالح نجم الدين أيوب - صاحب مصر - ٦٤٣ - ٦٤٧ هـ (١٢٤٥ - ١٢٤٩ م)

المعظم توران شاه الرابع ومعه مصر ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ (١٢٤٩ - ١٢٥٠ م)

الناصر الثاني صلاح الدين يوسف صاحب حلب ٦٤٨ - ٦٥٨ هـ (١٢٥٠ - ١٢٥٩ م)

ج الأيوبيـــون في حلـــب :

الملك العادل الأول سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٧٩ - ٥٨٢ هـ (١١٨٣ - ١١٨٦ م)

الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي الأول ٥٨٢ - ٦١٣ هـ (١١٨٦ - ١٢١٦ م)

العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ٦١٣ - ٦٣٤ هـ (١٢١٦ - ١٢٣٦ م)

الناصر الثاني صلاح الدين يوسف ٦٣٤ - ٦٥٨ هـ (١٢٣٦ - ١٢٦٠ م)

د — الأيوبيون فى حمص

القاهر محمد بن شيركوه ٥٧٤ — ٥٨١ هـ (١١٧٨ — ١١٨٦ م)

المجاهد شيركوه الثانى ٥٨١ — ٦٣٧ هـ (١١٨٦ — ١٢٤٠ م)

المنصور ابراهيم ٦٣٧ — ٦٤٤ هـ (١٢٤٠ — ١٢٤٦ م)

الأشرف موسى الثانى ٦٤٤ — ٦٦١ هـ (١٢٤٦ — ١٢٦٢ م)

هـ — الأيوبيون فى حماه

المظفر الأول عمر ٥٧٤ — ٥٨٧ هـ (١١٧٨ — ١١٩١ م)

المنصور الأول محمد ٥٨٧ — ٦١٧ هـ (١١٩١ — ١٢٢٠ م)

الناصر قلج أرسلان ٦١٧ — ٦٢٦ هـ (١٢٢٠ — ١٢٢٩ م)

المظفر الثانى محمود ٦٢٦ — ٦٤٢ هـ (١٢٢٩ — ١٢٤٤ م)

المنصور الثانى محمد ٦٤٢ — ٦٨٣ هـ (١٢٤٤ — ١٢٨٤ م)

ز — الأيوبيون فى ميافارقين (وسنجار)

الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)

العادل سيف الدين أبوبكر ٥٩١ — ٥٩٦ هـ (١١٩٤ — ١١٩٩ م)

الأوحد نجم الدين أيوب ٥٩٦ — ٦٠٧ هـ (١١٩٩ — ١٢١٠ م)

الأشرف الأول موسى ٦٠٧ — ٦١٧ هـ (١٢١٠ — ١٢٢٠ م)

المظفر شهاب الدين غازى ٦١٨ — ٦٤٢ هـ (١٢٢١ م — ١٢٤٤ م)

الكامل الثانى ناصر الدين محمد ٦٤٢ — ٦٥٩ هـ (١٢٤٤ — ١٢٦٠ م)

الأمراء والملوك الصليبيون فى بلاد الشام

سادسا (أ) مملكة بيت المقدس

بلدوين الأول ٤٩٤ – ٥١٢ هـ	(١١٠٠ – ١١١٨ م)
بلدوين الثانى ٥١٢ – ٥٢٦ هـ	(١١١٨ – ١١٣١ م)
فولك الأنجوى ٥٢٦ – ٥٣٩ هـ	(١١٣١ – ١١٤٤ م)
بلدوين الثالث ٥٣٩ – ٥٥٨ هـ	(١١٤٤ – ١١٦٢ م)
عموري الأول ٥٥٨ – ٥٦٩ هـ	(١١٦٢ – ١١٧٣ م)
بلدوين الرابع ٥٦٩ – ٥٨١ هـ	(١١٧٣ – ١١٨٥ م)
بلدوين الخامس ٥٨١ – ٥٨٢ هـ	(١١٨٥ – ١١٨٦ م)
جاي لوزجنان ٥٨٢ – ٥٨٨ هـ	(١١٨٦ – ١١٩٢ م)
كونراد دى مونتفرات ٥٨٨ هـ	(١١٩٢ م)
هنرى دى شامبنى ٥٨٨ – ٥٩٣ هـ	(١١٩٢ – ١١٩٧ م)
عمورى الثانى ٥٩٣ – ٦٠٢ هـ	(١١٩٧ – ١٢٠٥ م)
مارى (ابنة كونراد تحت الوصاية) ٦٠٢–٦٠٧ هـ	(١٢٠٥–١٢١٠ م)
حناوى دى برين ٦٠٧ – ٦٢٢ هـ	(١٢١٠ – ١٢٢٥ م)
الامبراطور فردريك الثانى ٦٢٢ – ٦٤٨ هـ	(١٢٢٥ – ١٢٥٠ م)
كونراد الرابع ملك المانيا (ملك اسمى) ٦٤٨–٦٥٢هـ	(١٢٥٠ – ١٢٥٤ م)
كونرادين (ملك اسمى) ٦٥٢ – ٦٦٧ هـ	(١٢٥٤ – ١٢٦٨ م)

هيو الثالث ملك قبرص (الثاني) ٦٦٨–٦٨٣هـ (١٢٦٩ — ١٢٨٤م)

حنا الأول ملك بيت المقدس ٦٨٣ — ٦٨٤هـ (١٢٨٤ — ١٢٨٥م)

هنري الثالث ملك قبرص (الثاني) ٦٨٥ — ٦٩٠هـ (١٢٨٦ — ١٢٩١م)

(ب) أمراء أنطاكية النورمان

بوهيموند الأول ٤٩٢ — ٤٩٨ هـ (١٠٩٨ — ١١٠٤م)

تنكرد ٤٩٨ — ٥٠٦ هـ (١١٠٤ — ١١١٢م)

روجر دى سالرنو ٥٠٦ — ٥١٣ هـ (١١١٢ — ١١١٨م)

بوهيموند الثاني ٥٢٠ — ٥٢٥ هـ (١١٢٦ — ١١٣٠م)

ريموند دى بواتييه ٥٣١ — ٥٤٤هـ (١١٣٦ — ١١٤٩م)

ريجنالد دى شاتيون (أرناط) ٥٤٨ — ٥٥٥هـ (١١٥٣ — ١١٦٠م)

بوهيموند الثالث ٥٥٩ — ٥٩٨ هـ (١١٦٣ — ١٢٠١م)

بوهيموند الرابع ٥٩٨ — ٦١٣ هـ (١٢٠١ — ١٢١٦م)

ريموند روبان ٦١٣ — ٦١٦ هـ (١٢١٦ — ١٢١٩م)

بوهيموند الرابع (مرة ثانية) ٦١٦ — ٦٣١هـ (١٢١٩ — ١٢٣٣م)

بوهيموند الخامس ٦٣١ — ٦٤٩هـ (١٢٣٣ — ١٢٥١م)

بوهيموند السادس ٦٤٩ — ٦٦٧ هـ (١٢٥١ — ١٢٦٨م)

جـ — أمراء طرابلس :

ريموند الأول ٤٩٦ — ٤٩٩ هـ (١١٠٢ — ١١٠٥م)

وليم جوردان ٤٩٩ — ٥٠٢ هـ (١١٠٥ — ١١٠٨م)

برتراند ٥٠٢ — ٥٠٧ هـ (١١٠٨ — ١١١٣ م)

بونز ٥٠٧ — ٥٢١ هـ (١١١٣ — ١١٢٧ م)

ريموند الثاني ٥٢١ — ٥٤٧ هـ (١١٢٧ — ١١٥٢ م)

ريموند الثالث ٥٤٧ — ٥٨٣ هـ (١١٥٢ — ١١٨٧ م)

بوهيموند الرابع (+ أنطاكية) ٥٨٣ — ٦٣١ هـ (١١٨٧ — ١٢٣٣ م)

بوهيموند الخامس (+ أنطاكية) ٦٣١ — ٦٤٩ هـ (١٢٣٣ — ١٢٥١ م)

بوهيموند السادس (أنطاكية) ٦٤٩ — ٦٧٤ هـ (١٢٥١ — ١٢٧٥ م)

بوهيموند السابع ٦٧٤ — ٦٨٦ هـ (١٢٧٥ — ١٢٨٧ م)

سابعا : أباطرة الدولة البيزنطية :

ألكسيوس الأول كومنين ٤٧٣ — ٥١٢ هـ (١٠٨١ — ١١١٨ م)

حنا الثاني كومنين ٥١٢ — ٥٣٨ هـ (١١١٨ — ١١٤٣ م)

مانويل الأول كومنين ٥٣٨ — ٥٧٦ هـ (١١٤٣ — ١١٨٠ م)

ألكسيوس الثاني كومنين ٥٧٦ — ٥٧٩ هـ (١١٨٠ — ١١٨٣ م)

أندرونيق الأول كومنين ٥٧٩ — ٥٨١ هـ (١١٨٣ — ١١٨٥ م)

اسحق الثاني انجليوس ٥٨١ — ٥٩٢ هـ (١١٨٥ — ١١٩٥ م)

الكسيوس الثالث انجليوس ٥٩٢ — ٦٠٠ هـ (١١٩٥ — ١٢٠٣ م)

الكسيوس الخامس ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م)

مصـــادر الرسالــــــــة

مصادر الرسالة

أولا : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة

١ - ابراهيم علي طرخان :
(الاقطاع الاسلامي - أصوله وتطوره)
(القاهرة - ١٩٥٧)

٢ - ابن الاثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٨م) علي بن أحمد بن أبي الكرم
(أ) "الكامل في التاريخ" (١٢ جزءا - القاهرة ١٣٠٣ هـ)

٣ - (ب) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية "
حققه عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة - ١٩٦٣م)

٤ - أسامة بن منقذ : (ت ٥٨٤ هـ ، ١١٨٨م) مؤيد الدولة أبو المظفر
أسامة بن مرشد الكناني الشيزري .
(أ) "الاعتبار" نشره وحققه فيليب حتي (برنستون - ١٩٣٠م)

٥ - (ب) " لباب الآداب " تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة
(١٩٣٥م)

٦ - الأصفهاني : (ت ٥٩٧ هـ ، ١٢٠٠م) عماد الدين محمد .
"الفتح القسي في الفتح القدسي" تحقيق أحمد محمود صبح .
(ت ٧٤٢ هـ) .

٧ - ابن أبي أصيبعه (ت ٦٦٧هـ ، ١٢٧٠م) أبو العباس أحمد بن القاسم
بن خليفه موفق الدين .
"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" "جزءان - القاهرة ١٢٩٩ -
١٣٠٠ هـ)

٨ ــ أمير علي سيد
Ameer:Ali Sayed: "A short of the Saracens"
نقله الى العربية رياض رأفت باسم "مختصر تاريخ العرب والتمــــدن الاسلامى . (القاهرة ١٩٣٨) .

٩ ــ ابن أيبك (ت ٧٤٤ هـ) محمد بن على بن أيبك السروجى أبو عبد الله شمس الدين .
" الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب "
مخطوط بدار الكتب المصرية ، تاريخ رقم ٢٥٧٨

١٠ ــ بارتولد ، ف ، Barthold,F.
(أ) تاريخ الحضارة الاسلامية "
نقله الى العربية حمزه طاهر ــ القاهرة ١٩٤٢ م

١١ ــ (ب) تاريخ الترك فى آسيا الوسطى "
نقله الى العربية د . أحمد السعيد (القاهرة ــ ١٩٥٨م)

١٢ ــ باركر ، ارنست
" الحروب الصليبية " نقله الى العربية د . السيد الباز العريـــنى (القاهرة ــ ١٩٦٠)

١٣ ــ بيبرس الدوادار (ت ٧٢٤ هـ)
" زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة "
(مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧)

١٤ ــ بروكلمان ، كارل
Brockelman,Carl:Geschichte der Islamische" Volker und Staten.
نقله الى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير بعلبكى باسم (تاريخ الشعوب الاسلامية " دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ١٩٤٨).

١٥ - البنداري (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري)
الفتح بن علي بن محمد .
"تاريخ دولة آل سلجوق" (طبع على نفقة شركة الكتب العربية
سنة ١٣١٨ هـ ، ١٩٠٠ م)
١٦ - ابن جبير (ت ٦١٤ هـ ، ١٢١٧ م) محمد بن أحمد بن جبير
"رحلة ابن جبير" تحقيق الدكتور حسين نصار
(القاهرة - ١٩٥٥ م)
١٧ - ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م) أبو الفرج عبد الرحمن
علي بن محمد بن علي بن الجوزي .
" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ)
١٨ - حافظ أحمد حمدي
(أ) "الدولة الخوارزمية والمغول" (القاهرة - ١٩٤٩ م)
١٩ - (ب) " الشرق الاسلامي قبل الغزو المغولي "
(القاهرة - ١٩٥٠ م)
٢٠ - حتي، فيليب Hitti,Philipk.History of the Arabs.
(أ)
نقله الى العربية فيليب حتي وآخرون باسم "تاريخ العرب"
(بيروت - ١٩٥٣ م)
٢١ - (ب) (History of Synia)
نقله الى العربية الدكتور كمال اليازجي باسم " تاريخ سوريا
ولبنان وفلسطين "
٢٢ - حسن ابراهيم حسن
(أ) "تاريخ الاسلام السياسي "القاهرة - ١٩٦٢ م)
(ب) "تاريخ الدولة الفاطمية " القاهرة - ١٩٦٤)

٢٣ - حسن حبشي
(أ) " الحرب الصليبية الأولى " (القاهرة - ١٩٤٧ م)
٢٤ - (ب) " نورالدين محمود والصليبيون " (القاهرة - ١٩٤٨ م)
٢٥ - الحسن بن عبد الله : أبوعلي الحسن بن عبدالله بن محمد بن عمر بن محاسن .
" آثار الأول في ترتيب الدول " (القاهرة - ١٣٠٥هـ)
٢٦ - حسين أمين : " تاريخ العراق في العصر السلجوقي " (بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩ م)
٢٧ - الحسيني : (عاش في القرن السابع الهجري)
ناصر بن علي الحسيني
" أخبار الدولة السلجوقية " حققه محمد اقبال (لاهور - ١٩٣٣)
٢٨ - ابن حوقل : (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري)
أبوالقاسم محمد بن حوقل البغدادي
" المسالك والممالك "
(مجموعة المكتبة الجغرافية العربية . نشر دي خويه ١٨٧٠ م)
٢٩ - الخزرجي : (ت ٦١٣ هـ ١٢١٦ م) جمال الدين أبوالحسن على بن طاهر .
" أخبار الزمان في تاريخ بني العباس "
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٨٩٠ تاريخ
٣٠ - ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ ، ١٤٠٥ - ١٤٠٦م)
عبدالرحمن بن محمد بن محمد جابر .
" العبر وديوان المبتدأ والخبر " (٧ أجزاء - بولاق ١٢٨٤ هـ)

٣١ — ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٧٤ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي .
" وفيات الأعيان " حققه محمد محيي الدين عبد الحميد "
(القاهرة — ١٩٤٨)
٣٢ — الدميري : (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ م)
" حياة الحيوان الكبرى " (جزآن ١٣٠٩ هـ)
٣٣ — الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن
أحمد بن عثمان بن قايماز .
" دول الاسلام " (حيدرآباد — ١٣٣٣ هـ)
٣٤ — الراوندي : (ت ٥٩٩ هـ ، ١٢١٢ م) محمد بن علي بن سليمان
الراوندي .
" راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية "
نقله الى العربية ابراهيم أمين الشواربي ، وعبد النعيم حسنين
وفؤاد عبد المعطي الصياد . (القاهرة — ١٩٦٠)
٣٥ — زامباور : ادوارفون
" معجم الأنساب والأسرات الحاكمة "
نقله الى العربية الدكتور زكي حسن ، وحسن أحمد محمود
(جامعة القاهرة — ١٩٥١ م)
٣٦ — ابن الساعي : (ت ٦٧٤ هـ ، ١٢٧٥ م) أبو طالب علي بن أنجب
تاج الدين .
" الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير "
نشر وتحقيق الدكتور مصطفى جواد جـ ٩ (بغداد ١٩٣٤ م)

٣٧ — سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٦ م) شمس الدين
أبو المظفر يوسف قزوغلي .
" مرآة الزمان في تاريخ الأعيان "
القسمان الأول والثاني من الجزء الثامن (حيدرآباد — ١٩٥١)

٣٨ — سعيد الديوه جي : " الموصل في العهد الأتابكي "
(الموصل ١٩٥٨)

٣٩ — سعيد عبد الفتاح عاشور
" الحركة الصليبية " (القاهرة — ١٩٦٣ م)

٤٠ — السيد الباز العريني
(أ) الاقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث
عشر الميلادي "
(فصله من حوليات كلية الآداب — جامعة عين شمس — العدد
الرابع يناير سنة ١٩٥٧)
٤١ — (ب) " مصر في عصر الأيوبيين "(القاهرة — ١٩٦٠ م)

٤٢ — (جـ) "الشرق الأوسط والحروب الصليبية "
(القاهرة — ١٩٦٣ م)

٤٣ — السيوطي (ت ٩١١ هـ ، ١٥٠٥ م)
عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين
(" تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة)

٤٤ ـ أبو شامه : (ت ٦٦٥ ، ١٢٦٦ م) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن اسماعيل ابراهيم المقدسي .

(أ) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية "

(القاهرة ـ ١٢٧٨ هـ)

٤٥ ـ (ب) " تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري " المعروف بالذيل على الروضتين .

تحقيق السيد عزت العطار الحسيني . (القاهرة ـ ١٣٦٦ هـ)

٤٦ ـ ابن شاهنشاه (ت ٦١٧ هـ ، ١٢٢٠ م) محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، صاحب حماه .

" مضمار الحقائق وسر الخلائق "

تحقيق الدكتور حسن حبشي (نشره عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٦٩ م)

٤٧ ـ ابن الشحنة : محمد بن الشحنه .

" الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب "

(بيروت ـ ١٩٠٩ م)

٤٨ ـ ابن شداد : (ت ٦٣٢ هـ ، ١٢٣٤ م)

" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه "

وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لتاج الدين شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماه .

القاهرة ـ ١٣١٧ هـ)

٤٩ ـ ابن طبا طبا : (٧٠٩ هـ) فخر الدين محمد بن علي ابن طبا طبا المعروف بابن الطقطقي .

" الفخري في الآداب السلطانية " (القاهرة ١٩٢١ م)

٥٠ ـ عباس العزاوي : " تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام الى آخر العهد العثماني " (بغداد ـ ١٩٥٨ م)

٥١ ـ عبد العزيز الدوري
(تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ")
(بغداد ـ ١٩٤٨م)

٥٢ ـ عبد النعيم حسنين : " سلاجقة ايران والعراق "
(القاهرة ، ١٩٥٦ م)

٥٣ ـ ابن العبري : (ت ٦٨٤ هـ) غريغوريوس أبوالفرج ابن هرون الملطي .
" تاريخ مختصر الدول " (بيروت ـ ١٨٩٠ م)

٥٤ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ ، ١٢٦١م) كمال الدين أبوالقاسم عمر أحمد بن هبة الله بن العديم .
" زبدة الحلب في تاريخ حلب "
نشر وتحقيق سامي الدهان . (دمشق ١٩٥٤م)

٥٥ ـ ابن عساكر : (ت ٥٧١هـ ، ١١٧٥م) أبوالقاسم علي . ابن الحسين " .
"التاريخ الكبير" تحقيق عبد القادر بدران
(دمشق ١٣٢٩هـ)

٥٦ ـ العظيمي : محمد بن علي التنوخي الحلبي .
" تاريخ العظيمي " (نشره

٥٧ ـ ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح ابن عبد الحي
بن العماد الحنبلي .
" شذرات الذهب في أخبار من ذهب "
(القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ)

٥٨ ـ العمري : (ت ١٢٣٢ هـ) ياسين بن خيرالله الخطيب العمري .
" منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء "
نشر وتحقيق سعيد الديوه جي (الموصل ١٣٧٤ هـ)

٥٩ ـ ابن العميد : (ت ٦٧٢ هـ ، ١٢٧٣ م) الشيخ المكين جرجس
بن العميد .
" تاريخ المسلمين " (ليدن ١٠٣٥ هـ ، ١٦٢٥ م)

٦٠ ـ الفارقي : (ت ٥٩٠ هـ ، ١١٩٣ م) أحمد بن يوسف بن علي
الأزرق الفارقي . " تاريخ ميافارقين "
تحقيق الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض (القاهرة ـ ١٩٥٩ م)

٦١ ـ أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ) اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب
حماه .
"المختصر في تاريخ البشر (القاهرة ـ ١٣٢٥ م)

٦٢ ـ فؤاد عبد المعطي الصياد . " المغول في التاريخ "
(بيروت ـ ١٩٧٠ م)

٦٣ ـ ابن الفوطي : (ت ٧٢٣ هـ) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن
أحمد الصابوني .
" الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة "
تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١ هـ)

٦٤ — ابن قاضي شهبه ، (ت ٨٧٤ هـ) بدر الدين محمد بن تقي الدين أحمد .

"الكواكب الدرية في السيرة النورية"

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ ، تاريخ

٦٥ — القرماني ، (ت ١٠١٩ هـ) أبو العباس أحمد بن يوسف .

"أخبار الدول" (بغداد — ١٢٨٢ هـ)

٦٦ — القزويني ، (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٨٢ م) أبو عبد الله زكريا بن محمود .

"آثار البلاد وأخبار العباد" (جوتنجن ١٩٤٨ م)

٦٧ — قطب الدين اليونيني ، (ت — ٧٢٦ هـ) قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي

"ذيل مرآة الزمان"

(حيدر أباد — ١٩٥٤ م)

٦٨ — ابن القفطي ، (ت ٦٤٦ هـ — ١٢٤٨ م) جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد .

"أخبار العلماء بأخبار الحكماء" (القاهرة — ١٣٢٦ هـ)

٦٩ — ابن القلانسي ، (ت ٥٥٥ هـ ، ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزه بن أسد بن علي .

"ذيل تاريخ دمشق" (بيروت ١٩٠٨ م)

٧٠ — القلقشندي ، (ت ٨٢١ — ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد

"صبح الأعشى في صناعة الانشا" نشر وزارة الثقافة والارشاد المصرية .

٧١ - ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل
بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي .
"البداية والنهاية" (القاهرة - ١٩٣٢ م)

٧٢ - كرد علي : "خطط الشام" (مصر - ١٩٢٧)

٧٣ - الكرملي : أنستاس
" النقود العربية وعلم النميات "
(القاهرة - ١٩٣٩ م)

٧٤ - لسترنج : " بلدان الخلافة الشرقية "
نقله الى العربية ، بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد
(المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤ م)

٧٥ - الماوردي : (ت ٤٥٠ - ١٠٥٧ م) أبوالحسن علي بن محمد
بن حبيب البصري البغدادي
" الأحكام السلطانية "

٧٦ - متز : آدم

Mez, Adam: Die Renaissance des Islam.

نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبوريده باسم :
" الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري "
(القاهرة - ١٩٤٠ - ١٩٤١ م)

٧٧ - أبوالمحاسن : (ت ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف بن تغري بردي
"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة "
(نشر دار الكتب المصرية)

٧٨ ــ محمد أمين زكي
(أ) خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن "
نقله الى العربية محمد علي عوني (القاهرة ــ ١٩٣٩م)
٧٩ ــ (ب) تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي "
تعريب محمد علي عوني (القاهرة ١٩٤٥م)

٨٠ ــ محمد باقر كاظم الحسيني
" العملة الاسلامية في العهد الاتابكي "
(بغداد ١٩٦٦م)

٨١ ــ محمد جمال الدين سرور
(أ) "دولة بني قلاوون في مصر" (القاهرة ــ ١٩٤٧م)
٨٢ ــ (ب) " تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق " (القاهرة ــ ١٩٦٥م)

٨٣ ــ محمد فريد أبوحديد: " صلاح الدين الأيوبي وعصره "
القاهرة ــ ١٩٢٧م)

٨٤ ــ المقريزي: (ت ٨٤٥هـ ، ١٤٤١م) تقي الدين أحمد بن علي .
(أ) "السلوك لمعرفة دول الملوك" .
نشره وحققه الدكتور محمد مصطفى زيادة حتى نهاية الجزء الثاني
في ستة مجلدات ــ (القاهرة ١٩٣٤ ــ ١٩٥٨م)
٨٥ ــ (ب) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار"
"جزءان ــ بولاق ١٢٧٠هـ)
٨٦ ــ ابن ميسر: (ت ٦٧٧هـ ، ١٢٧٨م) محمد بن علي بن يوسف
"أخبار مصر" اعتنى بتصحيحه هنري ماسيه .
(المعهد العلمي الفرنسي ١٩٢٩م)

٨٧ ـ ناصرخسرو : (ت ٤٨١ هـ ـ ١٠٠٨م)

" سفرنامه "

نقله من الفارسية الى العربية الدكتوريحيى الخشاب

(القاهرة ـ ١٩٤٥م)

٨٨ ـ النســوى : محمد بن أحمد

" سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي "

نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى (القاهرة ـ ١٩٥٣م)

٨٩ ـ النويرى : (ت ٧٣٢ هـ)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

"نهاية الأرب في فنون الأدب"

مخطوط بدار الكتب المصرية من ٢٥ الى ٣٠

٩٠ ـ الهمذاني : رشيد الدين فضل الله

(ت ٧١٦ هـ ، ١٣١٦م)

"تاريخ المغول" نقله من الفارسية الى العربية محمد صــادق

نشأت ، وفؤاد عبد المعطى الصياد

(القاهرة ـ ١٩٦٠م)

٩١ ـ أبن الوردي (ت ٧٤٨ هـ)

أبو حفص زين الدين عمر

" تتمة المختصر فى أخبار البشر"

٩٢ ـ اليافعى : (ت ٧٦٨ هـ ١٣٦٧م)

عبد الله بن أسعد بن على

" مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان "

(حيدرأباد ـ ١٣٣٨ هـ)

٩٣ ـ ياقوت ، (ت ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد اللـــــه
الحموي الرومي .
" معجم البلدان " (١٠ أجزاء ـ القاهرة ١٩٠٦)

٢ ـ المصادر الأوربيـــــة

1- Archer(T.),Kingsford(C.): " The Crusades".
(London,1894)

2- Browne(E.D.): " Literary History of Persia."
(London,1906)

3- Cahen(L.): " La Syrie du Nord à l'Epoque des Croisades".
(Paris,1940)

4- Cambridge Med. Hist.
(Cambridge,1957)

5- Chalandon(F.) : " Histoire de la Premiere Croisades".
(Paris,1925)

6- Der Nersessian(S): "Armenia and the Byzantine Empire".
(Cambridge,1945)

7- Duggan,(A): " The Story of the Crusades".
(London,1965)

8- Gibb(H.A.R.) : " The Damascus Chronicle of the Crusades".
(London,1932)

9- Grousset: " Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem".
(Paris,1903)

10- Howorth: " Henery H.:" History of the Mongols".
(London,1876)

11- Lamb,(Harold):" The Crusades".

12- La Monte(J) : " Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem".

13- Lane-Poole(S.)(A):" Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem".
(London,1898)

14- (B):" Coins of the Urtuki Turkumans".
((London,1875)

15- (C.):" The Muhammadan Dynastics".
(Paris,1925)

16- Muir : " The Caliphate,Its rise,decline and Fall".
(London,1924)

17- Nicholson,(A)Reynold: " Literary History of the Arabs".
(Cambridge,1930)

18- Runciman:" A History of the Crusades".
(Cambridge,1957)

19- Setton,(K.M.):" A History of the Crusades".
(Pensylvanie,1958)

20- Stevenson;(W.B.):" The Crusaders in the East".

21- Vasiliev,(A.A.):" History of the Byzantine Empire".
(Madison,1952)

22- Vincent,(H.):" Jerusalem".

23- Zoe Olden Bourg:" Les Croisades".
(Paris,1962)